

مَجَلَّةُ
الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٦ م

١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

نسبة الاشتراك السنوي } في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

ديوان ابن النقيب

(١٠٤٨ - ١٠٨١ هـ)

في خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من ديوان ابن النقيب نقلت عن المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩٥ .

أما صاحب الديوان فهو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد المعروف بابن حمزة الحسيني وبابن النقيب . ولد بدمشق سنة ثمان وأربعين وألف ، وتخرج بوالده النقيب وبجماعة من علماء دمشق وغيرها ، وغلب عليه الشعر والأدب ، وشعره يدل على رقة طبعه وحسن ذوقه وافتتانه بمحاسن الطبيعة ؛ وله مجموعة تشمل على مختارات تشهد على حسن اختياره وحسن اطلاعه على الشعر . تكاد تكون كلها في وصف محاسن الطبيعة ووصف الجمال على اختلاف مظاهره ، وهي موجودة عندنا بخط الشاعر نفسه ، وليس هنا موضع الكلام عليها .

ولم يعيش الشاعر كثيراً بل توفي مطعوناً في حياة والده سنة إحدى وثمانين وألف ولم يكمل الثالثة والثلاثين من عمره ، ودفن في مقبرة الدحداح غربي قبر أبي شامة . وترجم له المحي في خلاصة الأثر وفي تفحة الريحانة .

أما ديوانه فقد جمع بعد وفاته ، جمعه ابنه السيد سمدي^(١) ورتبه على حروف المعجم . قال في مقدمة الديوان :

(... وبعد فلما كان الأدب كبس اللسان ، وزبرج النطق والبيان ،

(١) ولد السيد سمدي سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١٢٣٢ . انظر سلك الدور للرازي ١٥٦/٢ .

عن "لغاطر" ، والفكر الفائر ، جمع كلام سيدي الوالد السيد عبد الرحمن نجل السيد محمد النقيب وقد رأيت أني أحق الناس بجمع شوارده ، ولم تشعث مقاطيعه وقصائده ، فأعملت جواد العزم في تطلابه من مسوداته ، وتلقفته من أفواه رواته وقد رتبته على الحروف ، والأسلوب المألوف .

وعدد صفحات الديوان مائة واثنان وسبعون صفحة في كل صفحة تسعة عشر سطراً ، وقلمه القلم المعروف بالنسخ ، وخطه واضح مقروء على أنه لم يخل من الأغلاط . وقد ورد في آخره مانصه : (تم الديوان المنسوب نظمته للسيد عبد الرحمن النقيب في دمشق الشام عليه الرحمة والرضوان ، جمع السيد الشريف الحبيب النقيب السيد محمد معدي بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى . وافق الفراغ من نسخه ضخوة نهار الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ومائة وألف . على يد الفقير أحمد بن محمد الحموي غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين) .

والديوان من الدواوين النادرة من حيث طرافة الموضوعات وكثرة المواقف الشعرية ، وقلة الأغراض المشحونة بها دواوين الشعراء ، فلقد نثره عن الهجاء وخلا من الرثاء ، وكاد يخلو من المدح لولا بضع قصائد هي أشبه بالاخوانيات منها بالمدح المعهود في قصائد الشعراء ، فيكاد يكون كل ما فيه ترجمة عن عواطف النفس وهوى الشباب وعبادة الجمال في جميع مظاهره ، وتصويراً له ، وصاحب الديوان لا يرى الشعر إلا تصويراً وابتكاراً قال :

الشعر ضرب من التصوير قد كشفت عنه القرائح عن شتى من الصور
فأعتمد إلى قالب عون بُدَّ منه وأفرغ به أي معنى شئت مبشكر^(١)

أما الوصف فلقد طغى على جميع ما في الديوان من المعاني والأغراض ،

وأكثره في الرياض والانتهار والأشجار والأزهار . قال المحي في نفحة الريحانة^(١) :
(... ما أذكره له تشبيه زهر أو زهر ، أو وصف روض . مطلق على نهر ،
وهو من أغري بهذين النوعين وذلك إما ليل غريزي في فطرته ،
أو لأن دمشق متروحة فكرته) .

والطريف في وصفه عنايته الشديدة بالحركة حتى يكون الوصف صورة متحركة ،
من ذلك قوله في طلوع البدر من خلال الأغصان :

وكأنما الأغصان تنبها الصبا والبدر من خلل بلوح ويحجب
حسنا قد قامت وأرخت شعرها في لجة والموج فيها يلعب^(٢)
وقوله :

ومجلس حقت الفصول بنا فيه ووجه الرياض مبتهج^(٣)
كأن أوراقها يرف بها فوق الندامى نسيمها الأرج
خضر من الأزر لا تزال بها مناكب الراقصات تختلج
وقوله :

والنهر بين الفصول مطرد وموجه تابع ومتبع^(٤)
ولقد أكثر من وصف دمشق ومتنزهاتها في مناسبات مختلفة كوصف تزهة
مع بعض إخوانه في الغوطة أو في الربوة ، أو وصف الربيع في بستان من
بساتين دمشق . وله قصيدة في متنزهات دمشق ذكر فيها الغوطة والفيحة وبتيحة
والأشرفية وجديدة والحامة ودمر والشادروان والربوة والنيرين والصالحية وسفح
قاسيون ودير صران والشرف والمرجة .

(١) مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق ورقة ٢/١١٠ .

(٢) الديوان ورقة ١٢ .

(٣) الديوان ورقة ١٦ .

(٤) الديوان ورقة ٥٣ .

وكان كثيراً ما يختلف الى هذه الأماكن مع أصحابه أو وحده ، وقد يكتب على جذوع الشجر ما يوحيه اليه طيب المكان وحسنه ، قال ابنه جامع الديوان :
(ورأيت بخطه ما مثاله : وكتبت على شجرة بوادي دمشق وقد اتخذت في ذراها مقبلاً ، وأنحت في ظلها الوارف أصيلاً ، وقد كنت متن بردى ، من ظلها الأملئ برداً ، فوصفت ذلك المقليل بما صورته من المقال :

بامرحة الوادي سقيت من الحيا	غدقاً يواصل ذيله بقطاره ^(١)
لم أنس يومى في ذراك ^(٢) وجذا	من ظلك الأملئ ديب عذاره
لما أنحت بجانب النهر الذي	قد طاب لي عيش مضى بجواره
حيث النسيم جرى عليه مهنياً	فكأنما نجاه بعض مراره
فتجمدت منه الأمرة واغتدى	بخريره بنبك عن أخباره
باطيب ذياك النسيم جرى على	بردى يسابق ذيله بعشاره
قد رحت منه بالشميم مضحخاً	مما جاء الروض من أزهاره)

ولعل الربوة كانت أحب المتنزهات اليه فلقد قال فيها أكثر مما قال في غيرها من الشعر .

وكان مأخوذاً بحب الأزهار ، ولشدة شعوره بجمالها بتخيلها أحياء تحس وتتألم وتفرح وتحزن ، وقد وصف غير قليل من أنواعها كالورد والقرنفل واليانمين بألوانها المختلفة والتزجس والبنفسج والسنبل ، وكان القرنفل أحب الأزهار إليه قال فيه غير قليل من المقطوعات ، وجاراه في هذا الباب عدد من شعراء دمشق أشهرهم الأمير منجك الذي كان صديقاً له .

(١) الديوان ورقة ٣٩ .

(٢) الذرا : السر .

ووصف الربيع ومواكب السحرة ، والحمام والبلايل والشعاري وسجملها ،
والأنهار وهبوب الرياح والنسيم الواني ^(١) (على حد تعبيره) والروائح الذكية
والسحب والمطر وما الى ذلك من محاسن الطبيعة وبواعث الشعر .

ووصف ليالي الأنس وأوقات الصفاء ومجالس الطرب وما فيها من لهو وعبث
وشراب وغناء ورقص وله في ذلك مزدوجة لطيفة أولها :

يامؤثر اللهو وطيب النعمة^{*} ورافقا فيه محجوف الحشمة^(٢)

وفي الديوان قصيدة ^(٣) فريدة في بابها ليس لها نظير ، ذكر فيها مجالس الأنس
والطرب والمقنين والندماء في الدولتين الأموية والعباسية الى عهد الراعي ،
مراعيا الترتيب الزمني ، وختما بذكر البرامكة والحمدانيين وابن العميد والصاحب
ابن عباد ، والأماكن المشهورة بالحسن . ونحن ننقل هذه القصيدة من الديوان
مع ما كتب على الهامش وبين السطور من الشرح المختصر ، ونجمله في الدبل ؛
وما كان منه بين هلالين فهو من زياداتنا ، وأمكنة الفراغ ممحوة في الأصل
أو غير مقروءة أو ذهب بها تفريط المجلد في الحبك والقطع .

(١) ورد في الديوان قوله :

بكر الروض بالنسيم الواني ونجلي الزبيح في الوان
ورقة ٧٩ .

(٢) الديوان ورقة ٧٥ .

(٣) الديوان ورقة ٢٩ .

قال بذكر بني أمية وبني العباس وندما هم وأرباب الفناء من المشاهير :
 كلما جدد الشجبي أدكاره أزعج الشوق قلبه وأستطاره^(١)
 ليت شعري أين استقل عن الآس^(٢) بنوه وكيف أخلوا مزاره
 بعد ما راوحتهم صفوة العيش ونالوا طوع الهوى أوطاره
 وجروا في مطارده الأنس طلقا واجتلوا من زمانهم أبكاره
 بين كأس وروضة وغدير وسماع ولذة وغضاره
 أين حلوا فمشب ومقيل أو أناخوا فوردة وبهاره
 من ملك زفت بحضرته الكأس نس قيان يعزفن خلف الستاره
 ووزير قد بات يشرق اللذا ت وهنا والليل مرخ إزاره
 وأمير ممنطق بنداما • وكأس الطلأ لديهم مداره
 كم فتى من بني أمية أمسى وخيول الهوى به مستطاره

(١) استطاره الشوق : عبارة عن غاية

قال الوزير ابو محمد بن

عبدون بذكر

فما أنس لا أنس عهدي بها وجري فيها (ذبول المراح)

فكم لي سيف الله من طيرة

(٢) بنو اللهو : هم الذين تعاقدوا أكواسه ، وركبوا فخائمه وأفراسه •

وللصاحب في فحوه : أبناء الحروب الذين ذاقوا كؤوسها حلوة ومررة ، والتجفوا

لباسها مرة بعد مرة • وأما بنات اللهو فنقال للأوتار • قال ابن المعتز :

أفت لشربها طربا وعندي بنات اللهو تبعث بالوقار

ونجم الليل ير كض في الدياجي كأن الصبح يطلبه بشار

كيزيد^(١) وشأنه مع أبي قيس وما قد عراه في عمارة
ونداماه كآبن^(٢) جمعة والأخطل إذ عاقراه صفواً عقاره
وقضى ليله مع ابن زياد^(٣) وقتيب^(٤) بن مسلم ونهاره

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس
وكنيته أبو خالد . وأبو قيس قرد له كان يناديه يكنى أبا قيس ، فكان إذا
رآه قال : شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخه الله قرداً ، وربما وثب
فقمعد على عاتقه وربما عب معه في الكأس ، وإذا قمعد على وسادة الندام انكأ
على مثل تكائه ؛ ولما مات كنفه ودفنه وأمر أهل الشام عليه وعزوه
فيه وله بقول يزيد :

نديبي أبو قيس أخف . مؤنة وأحلم إما غاب حلم المنادم .
وعمارة : أخت الفريض وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، أخذت الفناء
عن أخيها وعن ابن مريج وابن عمرز وفيها يقول بعض فتيان العرب :
لو تميت ما اشتهيت لكأت غاية النفس في الهوى عمارة
بأبي وجهها الجميل الذي يز داد حسنا وهجةً وانضاره
(٢) ابن جمعة : هو قدامة بن جمعة بن هبيرة الخزرجي . والأخطل : هو
الشاعر المشهور واسمه غياث بن غوث من بني تغلب ويكنى أبا مليكة (كذا
والصواب أبا مالك) وكانت نصرانياً من أهل الجزيرة وهو وجريرو والفرزدق
طبقة واحدة .

(٣) هو مسلم بن زياد وكان نديماً ليزيد .

(٤) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي كان شهياً مقداماً وكان
أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد بن معاوية وهو صاحب الجرون وكان الحرون
من المشاهير يضرب به المثل .

وكمروان^(١) وابنه حين واسى بلذاذات عيشه سُماره
 نادمته أبناء^(٢) يالية اللا ثي قضى في ربوعهم أسجاره
 وكنل الوليد^(٣) ذي القصف إذ كا ن يغب اصطباحه وابتكاره
 ولديه الغريض^(٤) وابن سُريج أظهرأ كل صنعة مختاره
 من غناء ألد من نشوة الكأ س وأشهى من صبوة مستثاره
 وسليان^(٥) ذي الفتوة إذ كا ن لنحو الذلفاء^(٦) ييدي افتزاره

(١) ومروان بن الحكم وكان غليظاً . وابنه : هو عبد الملك بن مروان
 ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية وبكنى أبا الوليد ويقال له أبو الأملاك
 وذلك أنه ولي الخلافة أربعة من ولده .

(٢) (أبناء يالية : هم أبناء يالية بن هرم بن رواحة كانت يأتهم ليلاً
 وينادهم) .

(٣) (الوليد بن عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة ٨٦ وتوفي سنة ٩٦
 كان من أفضل خلفاء بني أمية) .

(٤) الغريض : قال صاحب الأغاني اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل
 كان يكنى أبا مروان ولقب بالغريض لأنه كان طري الوجه نضراً غض الشباب
 حسن المنظر فلقب بذلك والغريض الطري من كل شيء وهو أحد المغنين ورئيسهم .
 وابن مريج : هو أبو يحيى عبيد الله بن مريج ذكر صاحب الأغاني أنه كان
 أحسن الناس غناءً وكان بنتي مرتجلاً ويوقع بالقضيب .

(٥) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان كان أכולاً قيل أنه نزل بالطائف
 فأكل سبعماية رمانة في يوم وخروفين وست دجاجات وأربعة صحون لوزينج .

(٦) الذلفاء : مغنية كانت لأخيه شراؤها عليه ألف ألف درهم ثم صارت إليه .

وزيد بن ^(١) خالد وأبو زيد نديان يشفيان أواره
 بجديث يستعجل الراح بالراح . ويحث أنجماً سيّاره
 إذ بغنى سنان ^(٢) كان يغالي ويجلّي بشدوه أكداره
 وابن عبد العزيز ^(٣) إذ راوح الكأ س ووالاه في زمان الإيماره
 وزيد ^(٤) المعمود إذ خامرته نشوة الراح ليله ونهاره
 وسبت ليه حُبابة ^(٥) واستهـوته حتى أباح فيها اشتهاه
 واستمالت به سلامة ^(٦) حتى أفلق الوجد فكره وأثاره
 إذ يناجيه لحن مقبّد ^(٧) بالشجـو كما شاء معملاً أوتاره

(١) يزيد بن خالد التميمي كان سليمان يخرجه ويناديه . وأبو زيد الأسدي
 كان خاصاً به يخالسه ويناديه .

(٢) مفن كان بأنس به سليمان بن عبد الملك ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه
 ويستمتع بمحدثه وغناؤه .

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه وهو أشج بني مروان وأعد لهم .

(٤) يزيد بن عبد الملك مات عشقاً ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره ودفن باللقاء .

(٥) حبابة جارية كانت تسمى العالية أخذت الفناء عن ابن مريج وكانت
 مدنية شغف بها يزيد فكان يوماً يلعبها فضربها بحجة ومائة وقيل بعنة فدخلت
 في حلقها فشرقت فماتت فامتنع من دفنها حتى أنثت دفنها قهراً عليه .

(٦) سلامة جارية اشترت ليزيد من المدينة بعشرة آلاف دينار وكانت
 حسنة الوجه والفناء .

(٧) هو معبد بن وهب أحد المغنين المشهورين .

ولكم ألف الغناء لديه ضرب عرادة على زماره
 وهشام^(١) إذ استبدّ اختياراً بالرساطون^(٢) واستلذ اختياره
 من شراب ظلت أفاويه العطش به ذات قحّة سيّاره
 والوليد^(٣) المليك إذ واصل الكاسات والاهو جهده واقتداره
 واغتدى في تهتكٍ ومجونٍ كان يجني قطوفه وثماره
 ومناه ذكرى سليبي^(٤) لوجدٍ ظل يذكي لهيبه واستعاره
 إذ يغنيه مالك^(٥) بن أبي السمع وعمر^(٦) الوادي فينفي وقاره
 ولكم خفف ابن عائشة^(٧) اللحن له فاستخفه واستطاره

(١) هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

(٢) الرساطون : شراب كان يصنع لهشام يطبخ بأناوبه كثيرة فيجىء طيب الرائحة قوياً صلباً وقيل يتخذ من الخمر والعسل .

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المتزندق كان عباً للشرب والاهو والطرب وقتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

(٤) سليبي : هي بنت سعيد بن خالد أخت أم عبد الملك التي كانت تحته وله فيها خبر طويل .

(٥) مالك بن أبي السمع الطائي جاء في العقد لابن عبد ربه أنه أخذ الغناء عن معبد بن وهب وكان لا يضرب بالعود وإنما يقتني مرتجلاً .

(٦) (كذا والصواب عمر الوادي من أهل وادي القري) اتصل بالوليد بن يزيد بعد أن أخذ الغناء عن أهل الحرم فأثره الوليد وأنس به .

(٧) هو محمد ابن عائشة وبكني أبا جعفر أخذ عن معبد ومالك وبنيائه يضرب المثل .

وابن ميادة^(١) بن أبرد والقا سم^(٢) كانا يمشحنان عقاره
بندام ألد من زورة الحب وأبهى من روضة في قراره
وبذيع^(٣) أتى بأمر عجاب إذ تولى على القروذ الإيماره
وزيد^(٤) الملك إذ كان يهوى صوت حدو الحداة في كل تاره
وتغني الركبان مذ كان منشأ ه البوادي حتى اعترته الحضاره
وكروان^(٥) ذي الفتوة إذ كان يوالي في غبطة أسفاره
فيرى اللهو والسماع مناه ويرى الحرب قطبه ومداره

* * *

- (١) ابن ميادة اسمه الرماح بن أبرد من غطفان (شاعر نصيح) كان ينادمه
ويحدثه حديث الأعراب . . .
- (٢) هو القامم (بن) الطويل البادي وكان أقرب ندمائه اليه وأخصهم به .
- (٣) بذيع مولى عبد الله بن جعفر (كان يضرب به المثل في حسن الصوت) .
- (٤) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص لأنه نقص الجند من
عطايهم فلقب بذلك وقيل لأنه ناقص الوركين وقيل لقصر يديه وكانت المعتزلة
تفضل على عمر بن عبد العزيز لكونه ينتحل مذهبهم .
- (٥) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجمعي وكان زنديقا ويلقب
برأس الحمار لشجاعته وقيل لبلاذته وبه تم ملك آل مروان وخلافة بني أمية
وأقى الله بالدولة العباسية . وخلفاء بني أمية من لدن معاوية الى مروان الجمعي
أربعة عشر رجلاً .

وكأل العباس إذ كان عبد^(١) الله يقضي طوع المي أوطاره
 كم غدا ليلة الثلاثاء والسبت يوالي الفبوق بالقرقاره
 وابن صفوان^(٢) في الندامى يعاطيه كؤوس الحديث خلف الستاره
 ولديهم أبودلامة^(٣) طوراً يصطفيه ويمجتي أشعاره
 وتحسى منصورم^(٤) من وراء النسيك راحاً وإلى عليها استتاره
 حل منه ابن جعفر^(٥) في نداما ه محلاً إذ كان يبلو اعتشاره
 ففراه فيهم ظريفاً أديباً لسنًا حاذقاً لطيف الإيشاره
 ثم كان المهدي^(٦) يجلس للأنس فيصفي لشربه أوطاره

(١) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (المعروف بالسفاح أول خلفاء بني العباس) .

(٢) هو خالد بن صفوان كان من أقرب الناس منزلة عند أبي العباس السفاح بنادمه ويسامره لطول لسانه وبلاغته وكثرة روايته .

(٣) أبودلامة اسمه زيد بن الحرث وكان ظريفاً فصيحاً كثير النوادر ماجناً خليعاً مدمناً للشراب راوية للأخبار والأشعار .

(٤) المنصور هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب أخو أبي العباس السفاح لأبيه (ثاني خلفاء بني العباس) .

(٥) هو محمد بن جعفر بن عبد الله بن العباس كان المنصور يأنس به ويلتذ بمحادثته .

(٦) المهدي هو محمد بن المنصور وهو الذي زاد . . . الحرام وبني العلمين .

وَفَلَّاحٌ ^(١) العوراء يشدو لديه فيسِّي حنينه وادكاره
ولديه ترب الغناء أبو إسحق ^(٢) يشدو بصنعة ومهاره
ثم كان الهادي ^(٣) إذا حاول الشر ب وغي ابن جامع ^(٤) مختاره
يتولَّى الندام عيسى ^(٥) بن دأب بكؤوس من الحديث مُداره
ويفيض ابن مُصعب ^(٦) في نشر القول من حيث ينتقي أبعاره
وتحسِّي الرشيد ^(٧) في دير مُرا ن على كل تلعة وقراره
من مدام حكّت رهابنة الدير بها في بهارة مُجلّثاره
وعلى ضرب زَلْزَلٍ ^(٨) كان برصو ما لديه مواصلاً مزماره

(١) فليح بن العوراء المفتي .

(٢) هو ابراهيم الموصلّي المشهور بالغناء .

(٣) الهادي هو أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن المنصور .

(٤) (اسمعيل بن جامع من أشهر المغنين ومن طبقة ابراهيم الموصلّي) .

(٥) (كان عيسى بن دأب من أكثر الناس أدباً وأكثرهم حظوة عند الهادي) .

(٦) (هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير شاعر

فصيح خطيب) .

(٧) الرشيد هو أبو جعفر هرون الرشيد بن المهدي ليث في الخلافة ثلاثاً

وعشرين سنة وشهوراً وحج ماشياً رحمه الله تعالى . ودير مران بتاحية من

دمشق يشرف على قرى ومزارع وغدرات ورياض .

(٨) زلزل اسمه منصور كان يضرب (بالعود) فقط وهو من الطبقة الأولى .

وبرصوما كانت زامراً في الطبقة الثانية فطرب منه الرشيد يوماً فرفقه الى

الطبقة الأولى .

ثم كان الأمين ^(١) يرح من لذه اته في أعنة مواره
 إذ ترمى بحب كوثر ^(٢) حتى سكن الحب قلبه واستخاره
 ولديه مخبارق ^(٣) في المغنيين وبذل ^(٤) الكبيرة المهتاره
 والحسين ^(٥) الخليع ينثر عتداً من ندام يشف تحت العبارة
 ويذف ابن هانيء ^(٦) للفكاهات كثر وساً من الهوى مستعاره
 وأدار المأمون ^(٧) أكواب راح شمع القصر نورها واستناره
 حيث علوية ^(٨) المغني واسحق ^(٩) يذفان في الدجى أقماره

(١) محمد الأمين بن هرون الرشيد وأمه زبيدة هاشمية ، ولم يل الخلافة بعد
 علي بن أبي طالب هاشمي وأمه هاشمية غيره ، كان فصيحاً أديباً عالمًا بأيام الناس
 وكان له خادم اسمه كوثر وكان يهواه حتى قال فيه :

ما يريد الناس من صب بمن يهوى كئيب

كوثر ديتني ودنيا ي دسقي وطيبني

(٢) مخارق كان مملوكاً لاسراء من أهل الكوفة فأشتراه منها اسحق بن
 ابراهيم (الموصللي وعلمه الغناء فبرع فيه) فأخذه الرشيد منه .

(٣) يذل : جارية كانت لجعفر بن موسى (الهادي أخذها منه الأمين
 ونهى إحدى الغنيات المحسنات) .

(٤) هو الحسين بن الضحاك الباهلي المشهور بالخليع الشاعر القديم .

(٥) أبو نواس (الحسن بن هاني الشاعر المشهور) .

(٦) المأمون هو عبد الله بن هرون الرشيد .

(٧) علوية (هو أبو الحسن علي بن عبد الله كان مغنياً حاذقاً) .

(٨) اسحق بن ابراهيم الموصللي كبير المغنين العالم الأديب الشاعر القديم) .

حيث يجي^(١) بن أكرم يتولى يسطه وابن طاهر^(٢) أسمية
وعريب^(٣) مع القيات تغنيه بصوت تحيرت أسماره
وابن هرون^(٤) كان يألف إبراهيم^(٥) شوقاً ويستلذ اعتشاره
واغتنى الواثق^(٦) المقدم في الشعر على الكأس معلاً أدواره
إذ تولى بأمره مهج^(٧) الخا دم عند اصطباحه إيساره
واغتنى أحمد النديم^(٨) على شر ط بني اللهو ناشرأ أخباره
وانثنى الفتح^(٩) ينتحي من أحاديث الهوى ممتاته وقصاره

-
- (١) (يجي بن أكرم قاضي قضاة المأمون أحد أعلام الدنيا علماً وأدباً وعقلاً) .
(٢) (هو عبد الله بن طاهر من أكابر رجال المأمون) .
(٣) (عريب جارية عبد الله بن اسمعيل صاحب المراكب كانت أحسن الناس
وجهاً وغناءً) .
(٤) (هو محمد المعتصم بن هرون الرشيد) .
(٥) (هو إبراهيم بن المهدي المتقدم ذكره الشاعر المشهور) (كانت له اليد
الطولى في الغناء والفرب بالملاهي وحسن المنادمة) .
(٦) (الواثق بالله هرون بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد) .
(٧) (مهج : (خادم الواثق الذي كان يأنس به ويهواه وله فيه أشعار كثيرة) .
(٨) (هو أحمد بن حمدون كان مقرباً من الواثق وله كتاب الندماء والجلساء) .
(٩) (الفتح هو الفتح بن خاقان (ومن حقه أن يذكر مع المتوكل لأنه
مستشاره وصفه) .
م (٢)

فتنته فريدة^(١) وعلى قد ر الهوى يخلع الخب وقاره
 وأبو الفضل^(٢) كان يغدو على الرا ح مبيداً لجيئته وذُضاره
 حيث كان الكشحي^(٣) يأخذ عرض القول فيما أحبه واختاره
 وزُنام^(٤) بالزمر يعزف طوراً وبنان^(٥) بالعود تضرب تاره
 ويعني عمرو^(٦) بن بانة والطبيل عليه سلمان^(٧) يبدي اقتداره
 وأبو جعفر^(٨) أزاح اغتناماً مع يزيد المهلي^(٩) استتاره
 وغدا المستعين^(١٠) يحرق للند مات بالن نده وُصواره

-
- (١) فريدة جارية الوائقي كان أهداها له عمرو بن بانة فخطبت عنده وكانت من الموصوفات بالجمال الفائق والغناء الرائقي . . .
- (٢) هو جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد .
- (٣) أبو بجر كان من أطيب الناس وأكثرهم نوادر وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه ولا يكون له مجلس إلا به .
- (٤) (زنام : زمار حاذق) .
- (٥) (من الجواري المحسنات وهي شاعرة) .
- (٦) عمرو بن بانة من المغنين (المشهورين وهو معدود في الندماء وله شعر) .
- (٧) طبّال ماهر .
- (٨) هو محمد المنتصر بن جعفر المتوكل على الله .
- (٩) هو يزيد بن محمد المهلي مدحه وناداه حتى اشتهر به .
- (١٠) المستعين بالله هو أحمد بن محمد المعتصم (الند : العنبرة والصوار : المسك) .

ثم هام المعتز^(١) بابن بُغَاء^(٢) عند ماشام وجهه وعذاره
وانثنى ابن القصار^(٣) طوراً يغنيه بجذقي مرقصاً طنباره
فيأجيه بالهوى ويناغيه ويذكي بين الأضالع ناره
وبدالمهتدي^(٤) فكان اصطناع السمع والجود سمته وشعاره
وأناخ ابن جعفر^(٥) في مدار السقف والعزف نافياً أكداره
ومناه في الشذو شدو غريب^(٦) كلما اعتاده الهوى واستناره
واحتسى دَرَّة الكروم أبو العباس^(٧) والدَّجْنُ يستدر قطاره
نادمته أبناء حمدون^(٨) واستهـواه بدر^(٩) حين اجتلى إبداره
ورَذَاذُ^(١٠) موقعٌ بفناء ينتحيه بصنعة مختاره

-
- (١) المعتز أبو عبد الله بن جعفر المتوكل .
(٢) هو يونس غلامه وكان يفرط في الشغف به .
(٣) (ابن القصار : مغل بارع ومن أشهر الطنوبريين . والطنبار والطنبور واحد) .
(٤) هو محمد المهتدي بن هرون الواثق بالله .
(٥) هو أبو العباس أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل .
(٦) هي غريب المأموقية وكان معجباً بفنائها .
(٧) هو أحمد المعتضد بن طلحة الموفق .
(٨) (آل حمدون جماعة نادموا الخلفاء كما في الفهرست لابن النديم) .
(٩) هو بدر الجلتار غلامه .
(١٠) (رَذَاذُ : مغل ورد ذكره في الأغانى) .

واغتدى المكتفي^(١) يفرح والصو^(٢) لي يروي بربعه أشعاره
 وأبو الفضل^(٣) كان يمتع من رو ق صباه في جدّة ونضاره
 حرق الند والكبا الرطب والتمبر مستمتعا وعاف ادخاره
 وأقام الراضي^(٤) يفرق ما بين الندامي في كل وقت نثاره
 رب كاس له بقبة شاذكلا وفي حجرة الرخام أداره
 ونعيم والاه في حجرة الأثرج والماء قد أثار بخاره
 ليت شعري أين استقل بنو م م^(٥) من بعد ما تولوا الوزاره
 حين كانت أيامهم غرر العيش وكانت أكفهم مدراره
 والوزير المهلب^(٦) وما نو ل وابن العميد^(٧) ترب الصداره
 وكذا الصاحب^(٨) بن عباد حيا ه وحيا نظامه ونثاره

(١) المكتفي هو أبو محمد علي بن أحمد المعتضد .

(٢) (هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الأديب المشهور نادم المكتفي

والمقتدر والراضي وكان أوحده زمانه في لعب الشطرنج) .

(٣) (هو المقتدر بالله جعفر بن المعتضد) .

(٤) الراضي هو أبو العباس القاهر بن جعفر .

(٥) وزراء الرشيد .

(٦) يزيد بن محمد المهلب وقد تقدم الكلام عليه) .

(٧) (أبو الفضل محمد بن العميد الوزير الأديب المشهور) .

(٨) (الصاحب هو أبو القاسم اسمعيل بن عباد صاحب ابن العميد ونظيره

في الأدب والمثولة والعمل) .

بل وأين السراة من آل حمدا ن^(١) وما قد تخولوا في الإمارة
 أين أهل العراق والفرس ممن رفهوا عيشهم وخاضوا غماره
 أين من بات رافعاً لبني اللهسو الملمين بالتحايا غماره^(٢)
 أين من راح والمجاسد تردا ن عليه بأعين النظاره
 طوقته المخانق البرميا ت فكانت بين الظراف شعاره
 وتردت منه العواتق بالمنديل مذراح عاقداً زناره
 توجوا رأسه بإكليل آس وأناطوا بحجده تقصاره^(٣)
 وعلى الأذن منه ريحانة من أذربيون^(٤) كمن يوم سراره
 أين من كان جانب الزهو مينا ساً لديه والعيش يندي غضاره
 ينتحي مُنتحى المروآت طلقاً في لذائذه ويبيدي افتراه
 وترى عنده مزمنة^(٥) الما وخيش النسيم يملو جداره
 وسحاب البخور يهطل منه ماء ورد مزجي النسيم قطاره

(١) (الأمراء الحمدانيون من أشهر أمراءهم سيف الدولة عدوح المتقي) .

(٢) (العمارة بالفتح : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله عمرك الله) .

(٣) (التقصارة : قلادة شبيهة بالحنقة) .

(٤) (أذربيون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود) .

(٥) (المزمنة : جرة أو خاية خضراء في وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة

أو الرصاص يشرب منها (عراقية) ومروحة الخيش كشراع السفينة يعلقها
 أهل العراق في سقف البيت ويعملون لها حبلاً شجر به مبلولة بالماء) .

أين من كان في فضاء من الغـوطة^(١) قدماً يجلي بها إبصاره
 أين من بات ناعماً في مغاني شعب^(١) بوان ناشقاً أزهاره
 أين من أطلق النواظر في صُفد سمرقند^(١) واجتلي أنواره
 أين من حل بالأبلة^(١) قدماً وجلا في رباصها أفكاره
 أين من بات بالسماوة^(٢) في ميسنف روض ينثه أسرار
 بنسيم يحل في غلس الأسـجار عن جيب نوره أزواره
 حيث تندى مباسم الزهر فيه وتلقى أنفاسه زواره
 فسقت عهد من مضى أدمع المز ن وجادت بصوبها آثاره
 ماسرت نسمة الصباح بروض عبقرتي فهيجت أطيّاره

فليل مردم بك



(١) غوطة دمشق وشعب بوان وصفد سمرقند والأبلة (في خليج البصرة)
 جنان الأرض الأربع وأجلها الغوطة كما في معجم البلدان .
 (٢) (السماوة بلدة على الفرات وبادية السماوة بين الكوفة والشام) .

الاصطلاحات الفلسفية

- ١ -

يشتمل هذا المقال على اصطلاحات فلسفية جمعناها من كتب الفلاسفة وكتب الحدود والتعريفات ومعاجم اللغة وقواميس الفلسفة ، وبيننا اختلاف معانيها باختلاف الفلاسفة الذين تداولوها ، وذكرنا إلى جانب كل لفظ ما يقابله من الألفاظ اللاتينية والفرنسية والانكليزية . فترجو أن يجد إخواننا في هذه الألفاظ المحددة المعرفة بفتحهم وأن يبينوا رأيهم فيها لعلنا نستطيع بعد الاطلاع على آرائهم أن نتمتع تعريفاتنا ، ونوحد اصطلاحاتنا . فإن الاتفاق على اصطلاحات واحدة بينهم بها بعضنا عن بعض ضروري لنا في بداية نهضتنا العلمية الحديثة . وهو في نظرنا لا يقل خطورة عن الاختراع العلمي نفسه . فالألفاظ حصون المعاني ، والاصطلاحات نصف العلم ، وكل علم ليس فيه اصطلاح ثابت محدد إنما هو علم ناقص مبتدء .

الآبد

في اللاتينية . — Aeternitas

في الفرنسية . — Eternité

في الانكليزية . — Eternity

الآبد في اللغة الدهر والدائم والقديم والأزلي ، والجمع آباد وأبود . وهو في الاصطلاح الزمان الذي ليس له ابداء ولا انتهاء ، أو المدة التي لا تتوهم انتهائها بالفكر والتأمل ، أو الشيء الذي لا نهاية له .
والفلاسفة يفرقون بين الآبد الزماني والآبد اللازماني .

فالأبد الزماني هو المدة التي ليس لها حد محدود في الماضي والمستقبل ، أو الزمان الدائم الذي ليس له ابتداء ولا انتهاء . وهو بهذا المعنى صفة من صفات الله ، لأنه تعالى كان وسيكون دائماً . أما العالم الحادث الفاني فليس أبدياً ، لأنه لم يكن ولن يكون دائماً . وفلاسفة القرون الوسطى يقسمون الأبد الزماني قسمين ، فيسمون دوام الوجود في الماضي أزلاً (a parte ante) ، ودوام الوجود في المستقبل أبداً (a parte poste) . ولا فرق بين الأزل والأبد بالنسبة الى الله تعالى لأن أبده عين أزله ، وأزله عين أبده ، بل الأزل والأبد بالنسبة اليه صفتان أظهرتهما الإضافة الزمانية لتعقل وجوب وجوده ، وإلا فلا أزل ، ولا أبد ، كان الله ولم يكن شيء معه .

أما الأبد اللازماني فهو المطلق أو الشيء الذي لا نهاية له . وهو مقابل للزمان . فكل حادث وكل موجود متناهي مما في الزمان . أما الموجود الأبدي فليس حادثاً وليس له قبل ولا بعد ، بل هو الحاضر الأبدي (Duratio tota simul) ، وهو فوق الزمان . لقد كان الفلاسفة الإيليون مثلاً يفرقون بين الوجود والكون ، فيقولون إن المطلق لا يوصف إلا بالوجود ، وإن الأشياء المتناهية لا توصف إلا بالكون . ، وأنه ليس للوجود ماض ولا مستقبل ، ولكنه في حاضر لا يزول . فأخذ أنفلاطون وأرسطو عنهم هذا الأصل وقالوا إن الموجود الكامل لا يتكون ولا يتغير ، وهو واحد أبدي لا حركة ولا تعاقب في وجوده التام غير المنقسم ، ولا حصة له بالزمان . أما الموجودات غير الكاملة فتولد وتتغير وتتكون بدون انقطاع ، وهي في الزمان . وعلى ذلك فالفرق بين الأبد والزمان ليس بالرتبة والمقدار ، كالفرق الذي بين العدد الغير المتناهي والعدد المتناهي ، وإنما هو بالطبيعة ، لأن أحدهما غير منقسم والآخر منقسم الى غير نهاية . وليس بينهما مقياس مشترك . وعلى ذلك أيضاً يمكن أن يوصف العالم والزمان

بأنها لا ابتداء لها ولا انتهاء ولا يكونات مع ذلك أبديين ؛ لأنه يكفي أن يكون وجودهما مشتملاً على التبدل والتغير حتى يكون غير أبدي . هذا الذي أشار إليه أفلاطون بقوله ان الزمان صورة متحركة للأبدية غير المتحركة ، وهذا أيضاً ما ذهب اليه أرسطو عند استدلاله على وجود الله بوجود الحركة والتغير ، فنخلص من ذلك الى القول بوجود محرك لا يتحرك . إن هذا الابد اللازماني هو المعنى الذي أخذ به أيضاً القديس توما الاكوييني وديكارت ومالبرانش وبوسويه وفلون وليبنيز وكانت .

والأبد والأمد متقاربان . لكن الأبد لا يتقيد فلا يقال أبد كذا ، والأمد ينحصر فيقال أمد كذا كما يقال زمان كذا .

وأبدأ ظرف زمان للتأكيد في المستقبل تفصيلاً وإثباتاً ، فصار كقط والبتة في تأكيد الزمان الماضي يقال ما فعلت كذا قط والبتة ، ولا أفعله أبداً أو أفعله أبداً . ويقال أيضاً لا آتية أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وآخر الأبد ككتابة عن المبالغة في التأييد .

الابداع

Créatio في اللاتينية

Craélion في الفرنسية

Creation في الانكليزية

الابداع في اللغة إحداث شيء على غير مثال سابق . وعند البلغاء اشتغال الكلام على عدة ضروب من البديع .

وله في اصطلاح الفلاسفة عدة معان :

الأول : تأميس الشيء عن الشيء ، أي تأليف شيء جديد من عناصر موجودة

سابقاً كالأبداع الفني ، والأبداع العلمي ، أو كالتخييل المبدع الذي تتكلم عنه في علم النفس .

والثاني : إيجاد الشيء من لا شيء . كما بداع الباري سبحانه ، فهو ليس بتركيب ولا تأليف ، وإنما هو إخراج من العدم الى الوجود . وفرقوا بين الإبداع والخلق ، فقالوا : الإبداع إيجاد الشيء من لا شيء ، والخلق إيجاد شيء من شيء . لذلك قال الله تعالى : بديع السموات والأرض ، ولم يقل بديع الانسان ، بل قال خلق الانسان ، فالإبداع بهذا المعنى أعم من الخلق .

والثالث : إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم ، وبقائه الصنع ، وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم . قال (ابن سينا) في الاشارات : « الابداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان . وما يتقدمه عدم زمني لم يستغن عن متوسط » (الاشارات ، النقط الخامس ، ص ١٥٣ من طبعة فورجت) . وهذا تنبيه الى أن كل مسبوق بعدم فهو مسبوق بمادة وزمان . والغرض منه كما قال (الطوسي) عكس تقيضه ، وهو أن كل ما لم يكن مسبوقاً بمادة وزمان فلم يكن مسبوقاً بعدم . فالإبداع هو إذن أن يكون من الشيء وجود لغيره دون أن يكون مسبوقاً بمادة ولا زمان . كالعقل الأول في فلسفة (ابن سينا) فهو يصدر عن واجب الوجود دون أن يكون صدوره عنه متعلقاً بمادة وزمان . والإبداع بهذا المعنى أعلى رتبة من التكوين والإحداث فان التكوين هو أن يكون من الشيء وجود مادي ، والإحداث أن يكون من الشيء وجود زمني . وكل واحد منهما يقابل الإبداع . فالتكوين يقابله لكونه مسبوقاً بالمادة ، والإحداث يقابله أيضاً لكونه مسبوقاً بالزمان . والإبداع أقدم منهما ، لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين والزمان لا يمكن أن يحصل بالإحداث . إذن التكوين والإحداث مترتبان على الإبداع ، وهو أقرب منهما الى الله .

والرابع : الإبداع الدائم (Création Continue) . وهو عند الفلاسفة

الأصوليين والديكارتيين الفعل الذي يبقى به الله العالم . وهو عين الفعل الذي

يخرجه به من العدم الى الوجود . قاله اذن مبدع ومبتق ، لأنه إذا قبض جوده بطلت الموجودات كلها دفعة واحدة . وهذا أيضاً يقابل التأليف ، لأن التأليف باقٍ وان أمسك المؤلف تأليفه ، أما الإبداع فهو إيجاد وإبقاء .

والفلاسفة الذين يقولون بوحدة الوجود لا يحتاجون الى القول بالإبداع العالم ، ولكن الذين يفرقون بين الله والعالم يقولون أن علاقة أحدهما بالآخر لا تعدو ثلاثة أحوال :

فأما أن يقال ان العالم قديم وان الله عالم بالكل وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام . وهذا مذهب القائلين بالعناية الإلهية كابين سينا وغيره .

وأما أن يقال ان لقدرة الله تأثيراً في مبدأ العالم من حيث انها تنظم المادة الموجودة سابقاً وترتيبها كما يرتب الصانع إبداعه .

وأما أن يقال ان لها تأثيراً في إخراج العالم من العدم الى الوجود . وهذا مذهب القائلين بالإبداع ، أعني القول ان الله ليس مؤلف نظام الأشياء وترتيب صورها فحسب وإنما هو مبدع مادتها أيضاً . ومعنى ذلك أن كل ما لم يكن موجوداً فقد صار بفعل قدرته تعالى موجوداً .

الإحساس

في اللاتينية Sensus

في الفرنسية Sensation

في الانكليزية Sensation

الإحساس ظاهرة نفسية متولدة من تأثر آلة من آلات الحس بمؤثر ما ، وله دلالات مختلفة تابعة لتحليل هذه الظاهرة تحليلاً كلياً أو جزئياً ، فإما أن يطلق على مجموع هذه الظاهرة ، وإما أن يطلق على جزء من أجزائها ، وهو على

كل حال ظاهرة أولية يتمذر عليك أن تظهر بها تقيّة خالصة مجردة من الشوائب ، ولكنك تستطيع أن تتقرب منها تقربك من حدّ نهائي . ويمكن أن يعتبر الإحساس ظاهرة مختلطة ، أي ظاهرة انفعالية وعقلية معاً ، فهو انفعالي لأنه عبارة عن تبدل في نفس المدرك ، وهو عقلي لأنه يشتغل على معرفة بالشئ الخارجي ، وينحصر معناه فيطلق على الناحية الانفعالية وحدها ، فيصبح بهذا المعنى الأخير مقابلاً للإدراك (راجع مادة إدراك) . قال ابن سينا : « فإني إنما أعرف أن لي قلباً وديماغاً بالإحساس والسماع والتجارب » (الشفاء ١ - ٣٦٣) ، وقال الجرجاني : « الإحساس إدراك الشئ بإحدى الحواس ، فإن كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات ، وإن كان للحس الباطن فهو الوجدانيات » (التعريفات) . وقال التهانوي : « الإحساس هو قسم من الإدراك ، وهو إدراك الشئ الموجود في المادة الحاضرة عند المدرك مكنونة بهيئات مخصوصة من الأئين والكيف والكم والوضع وغيرها ، فلا بد له من ثلاثة أشياء : حضور المادة ، واكتشاف الهيئات ، وكون المدرك جزئياً ، والحاصل أن الإحساس إدراك الشئ بالحواس الظاهرة على ما تدل عليه الشروط المذكورة » (الكشف) .

والإحساسات الداخلية (Sensations internes) هي الاحساسات التي يعزوها المدرك إلى بدنه لا إلى شئ خارج عنه ، كالجوع ، والعطش ، وآلام الرأس والأسنان ، والصداع وغيرها .

والحس (Sens) هو القوة التي بها تدرك الاحساسات ، والحواس هي آلات الحس . قال ابن سينا : « الحس إنما يحس شيئاً خارجاً ، ولا يحس ذاته ولا آله ولا إحساسه » (الشفاء ١ - ٣٥٠ ، النجاة ٢٩٣ - ٢٩٤) . وقال أيضاً : « الحس إنما يدرك الجزئيات الشخصية » (النجاة ١٠١) ، وقال التهانوي : « الحس هو القوة المدركة النفسانية » (الكشف) ، « والحواس هي المشاعر الخمس ، وهي البصر والسمع والتذوق والشم واللمس » (الكشف) .

والحسي أو المحسوس (Sensible) هو ما يدرك بالحواس . قال التهانوي :
 «الحسي هو المنسوب الى الحس ، فهو عند المتكلمين ما يدرك بالحس الظاهر ،
 وعند الحكماء ما يدرك بالحس الظاهر أو الباطن ، والحسي يستحق محسوساً ،
 ويقابل الحسي العقلي» ، وقال أيضاً : «المحسوس هو الحسي أي المدرك بالحس»
 (الكشاف) ، وقد يطلق الحسي على الشيء المنسوب الى الاحساس أو
 على الشيء المؤلف من الاحساسات ، كقولنا الأفعال أو العمليات الحسية
 (Opérations sensibles) ، وقد يطلق أيضاً على الشيء المنسوب الى أعضاء
 الحس كقولنا الأعضاء الحسية (Organes sensoriels) .

والمذهب الحسي (Sensualisme) هو مذهب القائلين أن المعرفة لا تنشأ
 إلا عن الاحساس .

والحاس هو الشيء الذي يحس كقولنا الجهاز الحاس (Appareil sensitif) .
 والحساسية أو قابلية الحس (Sensibilité) تدل على عدة معانٍ :
 أ - قوة الحس وهي بهذا المعنى مقابلة لقوة العقل .

ب - قوة الشعور بالأحوال الانفعالية كاللذات والآلام والميول والهيجانات
 والأهواء .

ج - دقة الإحساس .

والحساسية العامة (Sensibilité générale) هي ملكة الشعور بالاحساسات
 الداخلية ، أما الحساسية الخاصة (Sensibilité spéciale) فهي ملكة الشعور
 بالاحساسات الظاهرة المتولدة من مؤثرات خارجة عن البدن .

الإدراك

Perceptio في اللاتينية

Perception في الفرنسية

Perception في الانكليزية

الإدراك في اللغة هو الحاق والوصول ، يقال أدرك الشيء ، بلغ وقته وانتهى ، وأدرك الثمر نضج ، وأدرك الولد بلغ ، وأدرك الشيء لحقه ، وأدرك المسألة علماً ، وأدرك الشيء يصبره رآه . فمن رأى شيئاً ورأى جوانبه ونهاياته قيل انه أدركه ، ويصح : رأيت الحبيب وما أدركه بصري ، ولا يصح أدركه بصري وما رأيت ، فيكون الإدراك بهذا المعنى أخص من الرؤية .

١ - وللإدراك في الفلسفة العربية عدة معاني :

فهو يدل أولاً على حصول صورة الشيء عند العقل سواء كان ذلك الشيء مجرداً أو مادياً ، جزئياً أو كلياً ، حاضراً أو غائباً ، حاصللاً في ذات المدرك أو آتياً : قال ابن سينا : « إدراك الشيء هو أن تكون حقيقته ممثلة عند المدرك يشاهدها ما به يدرك ، فأما أن يكون تلك الحقيقة نفس حقيقة الشيء الخارج عن المدرك إذا أدرك ، فتكون حقيقة ما لا وجود له بالفعل في الاعميان الخارجة مثل كثير من الأشكال الهندسية ، بل كثير من المفروضات التي لا يمكن إذا فرضت في الهندسة مما لا يتحقق أصلاً ، أو تكون مثال حقيقته مرتسماً في ذات المدرك غير مبين له ، وهو الباقي » . (ابن سينا ، الاشارات ص ١٢٢) فالحقيقة المثثلة عند المدرك ليست نفس حقيقة الشيء الخارجي ، وإنما هي مثال لما مرتسم في ذات المدرك . فإذا دل الإدراك على تمثل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بتي أو إثبات سمي تصوراً ، وإذا دل على تمثل حقيقة الشيء مع الحكم عليه بأحدهما سمي تصديقاً (الجرجاني ، التعريفات) .

والادراك بهذا المعنى مرادف للعلم ، وهو يتناول جميع القوى المدركة ، فيقال إدراك الحس ، وإدراك الخيال ، وإدراك الوهم ، وإدراك العقل . ولكن بعض الفلاسفة يحدد معنى الإدراك فيخصه بالإحساس وحده ، وحينئذ يكون أخص من العلم وقسماً منه ، كما ان بعضهم يوسع معناه فيطلقه على حضور صورة المشعور به في الشاعر ، أو يطلقه على الكمال الذي يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان . وهذا الكمال الزائد على ما حصل في النفس بكل واحدة من الحواس هو المسمى إدراكاً (كليات أبي البقاء) .

وكما يتناول الإدراك الحس والخيال والوهم والعقل ، فكذلك يتناول معرفة أعلى من المعرفة العقلية ، وهي المعرفة الحاصلة من الكشف الباطني ، فيقال إدراك الذوق وإدراك الحدس . قال الغزالي : « وأما ما عدا ذلك من خواص النبوة إنما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف » (المنقذ - ص ١٣٩) ، وقال أيضاً : « بل الإيمان بالنبوة أن يقر بآيات طور وراء العقل ، تفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان ، والبصر عن إدراك الأصوات ، وجميع الحواس عن إدراك المعقولات » وفي اصطلاحات الصوفية الإدراك البسيط هو إدراك الوجود الحق سبحانه مع الذهول عن هذا الإدراك وعن أن المدرك هو الوجود الحق سبحانه ، والإدراك المركب هو عبارة عن إدراك الوجود الحق سبحانه مع الشعور بهذا الإدراك وبأن المدرك هو الوجود الحق سبحانه (كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي) .

والإدراك عند معظم الفلاسفة إما أن يكون إدراك الجزئي أو إدراك الكلي ، وإدراك الجزئي قد يكون بحيث يتوقف على وجوده في الخارج وهو الحس ، أو لا يتوقف وهو الخيال . وإدراك الجزئي على وجه كلي هو إدراك كليته الذي ينحصر في ذلك الجزئي . أما إدراك الكلي فهو ان الأشخاص

الانسانية مثلاً متساوية في معنى الانسانية ومتباينة بأمور زائدة عليها كالطول والقصر والشكل واللون . وما به المشاركة غير ما به المخالفة ، فالانسانية من حيث هي هي تكون أمراً مغايراً لهذه الزوائد ، فادراكها من حيث هي هو المسعى بالإدراك الكلي (لباب الاشارات للرازي ص ٧٤) .

٣- أما في الفلسفة الحديثة فان الإدراك بدل أولاً على شعور الشخص بالاحساس أو بجملته من الاحساسات التي تنقلها اليه حواسه ، أو هو شعور الشخص بالمؤثر الخارجي والرد على هذا المؤثر بصورة موافقة . وهذا المعنى العام بدل على أن الإدراك يختلف عن الاحساس . فالظاهرة النفسية التي تحصل في ذات المدرك عند تأثر أحد أعضاء الحس تشتمل على وجهين أحدهما انفعالي (Affective) والآخر عقلي (Intellectuelle) ، فاذا تناول الشعور هذه الظاهرة من ناحيتها الانفعالية سميت إحساساً وإذا تناولها من ناحيتها العقلية سميت إدراكاً . فليس الإدراك والاحساس إذن ظاهرتين مختلفتين وإنما هما وجهان مختلفان لظاهرة واحدة . ولكن بعض الفلاسفة يطلق لفظ الاحساس على هذه الظاهرة بوجهيها ، فيكون الاحساس حالة انفعالية وعقلية معاً ، ويكون الإدراك عبارة عن الاحساس مع الحكم عليه بأنه ناشئ عن مؤثر خارجي . فالإدراك بهذا المعنى هو الإدراك الخارجي (Perception exterieure) كما يقول (ريد Reid) والابيكوسيون ، أو هو الاحساس المصحوب بالانتباه كما يقول (مين دوبيران Maine de Biran) . والواقع أن الاحساس والإدراك كليهما مصطلحان بلون انفعالي وعقلي معاً ، ولكن الإدراك يزيد على الاحساس بأن آلة الحس تكون فيه أشد فعلاً ، والنفس أكثر انتباهاً ، فيكون الشيء الخارجي أبين والصورة المرتسمة في النفس أوضح وأميز . وعلى كل حال فالإدراك يقتضي الاحساس ، فإما أن يطلق على الشعور بالاحساس ويكون عند ذلك حالة عقلية ، ويكون الاحساس حالة انفعالية . وإما أن يكون الاحساس دالاً على الشعور بالتغير

الذي أحدثه المؤثر في النفس فيكون الادراك عبارة عن الاحساس مع الحكم على ذلك الاحساس بأنه ناشئ عن سبب خارجي ، أو يكون عبارة عن الاحساس المصحوب بمجهود الانتباه .

وكما يختلف الادراك عن الاحساس فكذلك يختلف عن العاطفة ، لأن الادراك كما يقولون حالة عقلية والعاطفة حالة وجدانية انفعالية ، وهذا الفرق بين الادراك والعاطفة تناوله (ليبنيز) في مذهبه على وجه أتم وأدق قال : « ان الحالة الموقنة التي تنطوي على كثرة في الوحدة ، ليست سوى الشيء الذي يسمى إدراكاً بسيطاً (Perception) ويجب تمييزها عن الادراك المركب (Aperception) أو الشعور » (المتأولوجيا فقرة ١٤) . فالادراك البسيط عند ليبنيز هو التبدل الذي يحدث في (المناد) وهو يهب (المناد) فوريته وذاتيته ويجمع الكثرة فيه الى الوحدة ، والاشتهاء (Appétition) هو القوة الداخلية أو النزوع الذي يولد الادراكات ، والادراك المركب هو الشعور بالادراكات البسيطة . ولذلك كان للادراك عند (ليبنيز) درجات أعلاها الادراك المركب أو الادراك المميز الواضح ، وأدناها الادراك المبهم الغامض ، وهو ما يسميه (ليبنيز) بالادراك غير المحسوس (Perception insensible) .

والادراك في الاصطلاح الديكارتي يطلق على جميع أعمال العقل وهو مقابل للإرادة والرغبة . قال ديكارت : « إن فينا نوعين من الأفكار هما إدراك العقل وفعل الإرادة » (المبادي ، القسم الأول ، ٣٢) . وكلمة (أفكار) تدل عنده على مانسجه اليوم بحدوث الشعور .

وقد يطلق لفظ الادراك على القوة المدركة (Faculté de percevoir) أو على فعل الادراك (Acte de percevoir) أو على المعرفة (Connaissance) التي تنتج من هذا الفعل .

وكما يكون الادراك خارجياً (Perception externe) فكذلك يكون داخلياً (Perception interne) والمقصود من هذا الادراك الداخلي هو الشعور أي معرفة النفس بأحوالها .

وفرقوا بين الادراكات الطبيعية (Perceptions naturelles) والادراكات المكتسبة (Perceptions acquises) فقالوا : الادراكات الطبيعية هي المعارف التي تنشأ مباشرة عن فعل أعضاء الحس ، كروية الألوان ، فهي إدراك طبيعي لحاسة البصر ، أما الادراكات المكتسبة فهي المعارف التي تتولد في النفس من تربية الحواس . ان هذه الادراكات المكتسبة ليست في الحقيقة ادراكات ، وإنما هي أحكام وتأويلات ، ولولا هذه الأحكام التي تستنبطها من منظر الجسم ونواحيه المضيئة والمظلمة وتغيرات هيئته المقابلة لحركاته ، وتقارب محوري العينين بالنسبة إليه ، وعدم تطابق الصورتين الشبكييتين المتولدتين منه لما أدركنا المسافة ولا التحديق والتقمير .

ومن اصطلاحات لينيز الادراكات الصماء (Perceptions sourdes) ، والادراكات الغامضة (Perceptions obscures) ، والادراكات غير المدركة (Perceptions inaperçues) ، والادراكات الصغيرة (Petites perceptions) . والمحدثون يطلقون الادراك على تمثل الشيء الخارجي وحده ، فيقولون ان الادراك هو الفعل الذي ينظم به المدرك إحساساته الحاضرة ، فيؤولها ويكملها بالصور والذكريات ، ثم يعزدها الى شيء مقاوم له مع الحكم عليه حكماً عفويّاً بأنه شيء خارجي معنوم عنده ومنتزعه عنه .

(يتبع)

جميل صليبا

حريق الجامع الأموي بدمشق

سنة ٧٤٠ هـ

من الحوادث ذات الشأن في تاريخ دمشق ، ما كان يصاب به المسجد الجامع
بها من حريق . فلقد أحرقه المصريون متعمدين سنة احدى وستين وأربع مئة
بنفسا بالدماشقة الشاميين وحققا على خلفائهم الأمويين . ففقد المسجد بهجته
ونضارته ، وروقه وتزويقه ^(١) ثم جهد الملوك من السلاجقة ، والنوريين ،
والأيوبيين ، والمماليك ، في إعادة المسجد الى صالفة عهده ^(٢) ، وعني بعض
الولاة بتجديده ^(٣) . حتى اذا كانت سنة ٧٤٠ هـ أصيب المسجد بحريق كبير
أتلف قسما منه ، وأخذ ما يحيط به شرقا وجنوبا ، من القيساريات ، والمدارس ،
والأسواق . وقد كانت لهذا الحريق أثر كبير في نفوس الفقهاء والعلماء ،
والأدباء والشعراء ، وسنتكلم على ذلك ، ونتج عنه نتائج مزرعة . وقد لا يوازي
هذين الحريقين في عظمتها إلا الحريق الأخير الذي أتلف المسجد في أيام العثمانيين .
وقع حريق سنة ٧٤٠ هـ في السنة الأخيرة من ولاية تنكز ^(٤) . ففي السادس

(١) عن حريق سنة ٤٦١ انظر : القلاسي ، تاريخ ص ٩٦ ، ٩٧ : ابن كثير ،
البداية . ١٢ : ٩٧ - ٩٨

(٢) انظر أعمال هؤلاء الملوك في كتابنا « مسجد دمشق » ص ١٣ وما بعدها .

(٣) مثل تنكز سنة ٧٣٠ هـ . انظر المصدر السابق .

(٤) ولي تنكز دمشق سنة ٧١٢ هـ وبقي الى أواخر سنة ٧٤٠ هـ . انظر كتابنا :
أمراء دمشق في الإسلام ص ٢٢ .

عشر من شهر شوال ، شب^(١) الحريق أوائل الليل ، بقيسارية الدهشة بسوق
البادين . وكانت هذه القيسارية أمام باب الجامع الشرقي ، فتوصلت النار الى
وكان فقاعية مجاورة للباب الشرقي - أي باب الساعات ، أو باب جديرون - ،
ثم كشفت وجه الجدار الذي للمشهد المعروف بأبي بكر - وهو الذي في شرق
المصلّى - ، ثم شبت فبلغت أعلى المأذنة الشرقية فاشتعلت ناراً وتفجرت أحجارها ،
ثم سقطت على سقف المسجد الجمون ، حتى كادت تأخذ المسجد كله . فسارع
الناس ، والعسكر جميعه ، وأمراء الآلوف ، وعلى رأسهم تنكز إلى إخماد النار .
فما نحدث إلا بعد يومين وليلتين .

وبعد ليالٍ - على قول ابن كثير^(٢) - أو أسبوعين - على قول المقرئزي^(٣) - ،
وقع حريق ثانٍ في قيسارية القواسين ، والكفتيين ، وسوق الخيل . وكانت
هذه كلها في جنوب الجامع . مقابل باب الزيادة - ويسمى باب الساعات أيضاً ،
وباب المنبرانيين - ، فكانت الخسارة جسيمة عظيمة : عدم خمسة وثلاثون
ألف قوس ، وعمدت للناس أموال عظيمة كان مبلغ ما للتجار منها خاصة ألف
ألف وست مئة ألف دينار . ثم لفت النار حول قيسارية القواسين فاحترقت
المدرسة الأينية - وكان بها سلاح للمسلمين - ، والخيميين ، وجاء نائب الشام
تنكز والعسكر فأطفأوا النار في يومين وليلتين .

أثار نشوب هذين الحريقين المتواليين حول المسجد ، الشك في نفوس الناس
والاستغراب ، فطفقوا يتساءلون عن الأسباب ، ولم يلبث أن وجدت ورقة

(١) مصادرها عن هذا الحريق هي : ابن كثير ، البداية ١٤ : ١٨٦ ؛ الفضل بن
أبي الفضائل ، (مخطوطة باريس 4525) ؛ المقرئزي ، السلوك ١/٢ : ٤٩٧ ؛
ابن فضل الله ، مساجد الأبطال ٣٠١ - ٣٠٢ ؛ ابن العماد ، شذرات ٦ : ١٢٦

(٢) البداية ، المصدر السابق

(٣) السلوك ، المصدر السابق

كتبها مجهول اسمه «الملوك الناصح» يذكر فيها أن الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش . فأمسك وسئل . وما زالوا به حتى أخبرهم بالأمر . وتبين أن جماعة من رؤوس النصارى ، بعضهم من كتاب الدولة وعمالها ، دبروا أمر هذين الحريقين .

وقد عثرنا على نص المحضر - الذي كُتب يومئذ وأرسل الى سلطان مصر - في مكتبة جامعة ليدن ^(١) . وهو نص مهم جداً ^(٢) ، لأنه يُظهر لنا كيف تأمر هؤلاء الكتاب ، وأحرقوا المسجد . وثمة ناحية ثانية تزيد في شأنه هي أنه نص رسمي ، حكومي . والوثائق المماثلة له نادرة جداً .

ويتبين مما جاء في المحضر ، وما ذكره القريزي وابن كثير ، أن راهبين وردا الى دمشق من قسطنطينية «ليجاهدا في الملة الاسلامية ومعايدها» وقد باعا نفسيهما على ذلك ، اسم الأول «ميلاني» واسم الثاني «عازر» . فاجتمعا بعامل الجيش وكاتب الحوطات ، وثالث كان كاتب بهادرأس ^(٣) . والثلاثة من النصارى . وكان «ميلاني» عارفاً «بصناعة النفط والنار» ، فاتفقوا «على حريق ما يقدرون عليه من أماكن المسلمين بدمشق» ، وقدّم لهم عامل الجيش ما يحتاجون اليه من نطق وغيره ، فعملوا سبع كمكات حشوها باروداً ونطقاً ودقّ فحم وغير ذلك ، وغير الراهبان ملابسهما ، وأتيا الدمشقيّة ، فتجّيل أحدهما ، وجعل إحدى الكمكات في دكان شرقي القيسارية ، ثم اتى كمكة ثانية بين الدارايب ، ثم عادا الى حيث نزلا : في بستان بقرية بجوير .

(١) ليدن Cod. Or. 951

(٢) انظر المحضر في ذيل المقال

(٣) كان بهادرأس من أمراء الأتولف بدمشق . وله تربة تعرف به . مات سنة ٧٣٠ . انظر الثاني من الدارس

ويذكر ابن كثير «أنهما تطلعا وعملا النفط لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر». فلما كان الليل لم يشعر الناس إلا بالنار عمات في تلك الدكاكين حتى تملأت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق وكانت ما كان من أمر الحريق الأول.

أما الحريق الثاني فقد تم على يد لحام نصراني كانت له دكان على باب قيسارية القواسين، فقد دفعت الجماعة له خمس مئة درهم كي يضع كعكة من كعكات النفط في سقف الدكان، فوضعها فشب الحريق الثاني.

- ٢ -

ونتساءل الآن لماذا وقع هذان الحريقان، ومن دير أمرهما.

الظاهر أن الهدف كان الإضرار بمسلمي دمشق بإتلاف أموالهم وتخريب مسجدهم. وقد كان النصارى يلجأون إلى الحريق أحيانا بقصد الإضرار.

وفي تاريخ مصر حوادث كثيرة تدل على ذلك. ففي سنة ثلاث وستين وست مئة، أيام الظاهر بيبرس، كثر الحريق في القاهرة، واحترقت حارة الباطلية بأمرها، وتبين أن النصارى هم الذين فعلوا ذلك^(١). وفي أيام الملك الناصر محمد، سنة إحدى وعشرين وصبع مئة قبض على راهبين من دير البغل رميا النار في المدرسة المكاربة، واعتبروا أنها أحرقت. أما كن كثيرة في القاهرة^(٢). وقد اتبع هذان الراهبان الطريقة التي سلكها راهبا دمشق، من صنع الكعكات المحشوة بالخرق والنفط والقطران. ولعل هذه أول مرة يعمد فيها

(١) المقرئزي، الواعظ والاعتبار ١ : ٨

(٢) المقرئزي، السلوك ٢٢٣/١/٢

النصارى الى إحراق دمشق ومسجدها^(١) . وقد سبقوا في حريق القاهرة^(٢) .
وقد جاء في المحضر أن الراهبين الذين أحرقوا مسجد دمشق أنيا من
القسطنطينية . ويذكر المقرئ أنيا ليهاجدا في الملة الاسلامية ومبايها .
ويوضح ابن كثير - وقد كان أثناء الحريق بدمشق - « ان جماعة من رؤوس
النصارى اجتمعوا في كنيتهم ، وجمعوا من بينهم مالا فدفعوه للراهبين » .
ولا شك أن من بين الرؤوس الذين يشير إليهم ابن كثير الموظفين الرسميين
الذين ورد ذكرهم في المحضر كعامل الجيش وكاتب الحوطات . ويخيل لنا انه
كانت صلة بين بعض نصارى البلاد - سواء في مصر أو الشام - ، وبين
بعض الدول النصارانية ، فالمحضر يذكر أن الراهبين كتبوا بمد الحريق الأول
الى صاحب سبى بيلغانه أمر الحريق ، وان صاحب سبى أرسل لها الى دمشق
تقرين وعرض عليها إذا شاء أن يكتب لصاحب السرب ليكتب السلطان .
وإذا كان المحضر لا يفصح عن غرض المكاتبة الى السلطان فإنه واضح أن
ذلك من أجل حماية النصارى أو حماية الراهبين . ثم إن المحضر يشير الى عامل
بيروت ، وكانت مهمته تجهيز الراهبين الى قبرص . كل ذلك يدفعنا الى الاعتقاد
انه كانت سلسلة لها حلقات في سبى وقبرص وبيروت والقدس ودمشق والقاهرة ،
تيسر الإضرار بالمسلمين ، وتسهل سبله . وكل ذلك من آثار الروح الصليبية
التي كانت منتشرة يومئذ^(٣) .

(١) بين حريق المسجد سنة ٤٦١ وحريقه سنة ٧٤٠ ، وقع فيه الحريق أو حوله
أربع مرات : سنة ٥٦٢ ، سنة ٥٧٠ ، سنة ٦٤٦ ، سنة ٨١٠ .
ولم تذكر المصادر أن النصارى هي التي سبى ذلك . انظر كتابنا « مسجد
دمشق » والمصادر المذكورة فيه .

(٢) انظر تفصيل مؤامرة رهبان دير البتل لحرق القاهرة في كتاب « اهل الذمة
في الإسلام » تأليف « ترقون » الفصل الرابع

(٣) انظر : (A. S. Atiya, The Crusades in the Later Middle Ages (London, 1938)

- ٣ -

ماذا حدث بعد الحريق ؟

يبدو أن الراعبين نرا الى قبرص بوساطة عامل بيروت . أما نائب السلطان تنكر ، فلما تحقق لديه أن الحريق من فعل النصارى أمسك من رؤوسهم نحواً من ستين رجلاً - على قول ابن كثير - . ووجهت نيتاً الى قضاة القضاة الأربعة بدمشق : تقي الدين السبكي الشافعي ، وعماد الدين الطرسومي الحنفي ، ومحمد ابن أبي بكر المالكي ، وعلي بن المنجا الحنبلي ، مثلوا فيها إذا كان النصارى قد نقض عهدهم بما فعلوه ؟ وهل يلزمهم ضمان ما أتلوه ؟ وهل يقتلون أو ينفون ؟ الى غير ذلك . فأجمعوا على أن عهدهم ينتقض . وأن أموالهم تؤخذ ، وأنتى الحنفي بقتلهم سياحة ، والمالكي بقتلهم لنقض العهد ، وسكت عن أمر القتل الشافعي والحنبلي . وقد عثرنا على نص الفتوى وأجوبة القضاة في مكتبة جامعة ليدن . وهي وثيقة هامة لها شأن ^(١) .

وعمد عندئذ تنكر - على قول ابن كثير - الى رؤساء النصارى هؤلاء فأخذهم بالمصادرات والعقوبات وأنواع المثلات ، واصلب منهم أزيد من عشرة على الجبال ، وطاف بهم في أرجاء البلاد ، فجعلوا يتناوتون واحداً بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار ^(٢) .

ويروي المفضل ابن أبي الفضائل - وهو مؤرخ نصراني ^(٣) - رواية ثانية نقلها

(١) انظر نصها في ذيل المقال

(٢) البداية والنهاية ١٤ : ١٨٦

(٣) كان في القرن الثامن . له تاريخ اسمه « السج السديد والدر الفريد . فيما بعد تاريخ ابن العميد » منه نسخة مخطوطة في باريس ، الجزء الأول رقم 4525 . انتهى من جمعه سنة ٧٥٩ . وعلى هذه النسخة اعتمادنا . وما رويناه من النسخة المذكور في الورقة ٢٤٥ ب

عنه المقرئ بنصها ولم يشر اليه ^(١) . فيذكر أن تنكز ستمراً أحد عشر رجلاً
هم : المكين يوسف بن مجلى عامل الجيش ، وأخوه ، والمكين جرجس كاتب
الحوطات ، والمكين [يوسف] كاتب بهادرأس . ، وسلمان ، وأخوه بإشارة ،
والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشقدار ، والعلم الهميتري عامل بيروت ،
والجرائحي عيسى ، وجزاران نصرانيان ، وشخص يُعرف بسبيل الله ^(٢) . ولما
تمتروا ومطوا بعد يومين . ووُجد لهم ما ينيف على ألف ألف درهم أُنفق منها
على عمارة الجامع ^(٣) والدهشة .

وإذا كان عمل تنكز قد أَرْضَى المسلمين فإنه أغضب السلطان الناصر محمداً ،
فكتب الى تنكز يُنكر عليه قتله النصارى ، وإِثْنٌ في ذلك إغراء لاهل
القسطنطينية بمن يَرِد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ، وأمره أن يحمل اليه
ما وجد من المال مع النصارى ، وأن يجهز اليه بنائه اللاتي عُقد لأولاد السلطان
عليهن . فأجاب تنكز أن المال الذي وُجد للنصارى صرف على عمارة الجامع ،
واعتذر عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أُحرق . فلم يرض السلطان .
وكان ذلك بدء تغيره عليه وعزله بعد شهر من ذلك وحمله مقيداً الى الاسكندرية
ثم قتله هناك .

(١) في السواك ٤٩٧/١/٢ . وقد أثار المقرئ على كتاب المفضل كما أثار على
كتب الأوحدي

(٢) يذكر المفضل أن هذا الرجل كان بالقاهرة سنة ٧٢٥ بزي غريب جداً ،
يلبس جلداً ويحمل على كتفه زيراً غامساً أندلسياً ، ويده شربات كذلك ، ويقول
بلان غتبي (عجمي) « سبيل الله » ، ويسقي الناس بغير جُل . فن الناس
من اعتقده ، ومنهم من اتهم انه جاسوس . ثم خرج حاجاً وقدم دمشق
وأقام يسقي بها الماء حتى دخل مع النصارى فقاموا به من أمر الحريق .
المصدر السابق . وكذا المقرئ

(٣) انظر وصف إعادة عمارة المنارة عند العمري ، مسالك ص ٢٠٠ و ٢٠١

- ٤ -

ذلك مجمل خبر الحريق من الناحية الرسمية الحكومية ، وما أحاط به .
ولا بُدَّ من التنويه بأثر آخر من آثاره هو الأثر الأدبي . فقد هنَّ الأدباء
والشعراء فنظمو وكتبوا عنه . فما عرفتُه كتاب ابن غانم الذي كتبه عن تنكز
لنائب طرابلس ووصف الحريق فيه . ولم أعثر على نصه ^(١) . ونظم محمد الخياط
قصيدة رائية في (٦١) بيتاً ، عثرت عليها ^(٢) . وألف الصلاح الصفدي مقامةً
سمّاها « رشف الرحيق في وصف الحريق » ^(٣) . وكذلك ألف ابن الوردي مقامةً
ثانيةً سمّاها « صفو الرحيق في وصف الحريق » ^(٤) . وقصيدة الخياط ومقامتا الصفدي
وابن الوردي جديرة كلها بالنشر .

الدكتور صلاح الدين المنجد

(القاهرة)

(١) ورد ذكره في ممالك الأبحار ص ٢٠٢

(٢) في مكتبة جامعة ليدن ، وعندنا صورة عنها

(٣) منها نسخة في الاسكوريال خن كناش رقه 524 ، وعندنا صورة عنها

(٤) منها نسخة في معهد المخطوطات مصورة عن دار الكتب المصرية . رقم معهد

المخطوطات ٧٨٩ أدب . ومنها نسخة ثانية في توبنجن

- ١ -

صورة المحضر الذي كتب بدمشق المحروسة

(مكتبة ليدن • Cod. Or. 951)

حضر الى شهوده يوم تاريخه : الرشيد سلامة بن سليمان بن مرجى النصراني
 كاتب المقر العلمي سنجر الجقदार الملكي الناصري • وشهوده به عارفون ،
 وأشهد على نفسه طائعا أنه في شهر شوال سنة تاريخه حضر عنده في بستانه
 المكين يوسف بن مجلى النصراني عامل الجيش ، والمكين جرجس بن أبي الكرم
 كاتب الحوطات ، والمكين يوسف النصراني الراكبي كاتب بهادر اص كان ،
 وأحضروا معهم راهبين أحدهما يسمى « ميلاني » - يعرف صناعة النفط - ،
 والآخر يسمى « عازر » ، وذكروا أن الراهبين المذكورين حضرا من بلاد
 فلسطينية • ثم انهم تحدثوا أن الراهب المسمى « ميلاني » يعرف صناعة النفط
 والنار ، وانفقوا على حريق ما بقدروا (كذا) عليه من أماكن المسلمين بدمشق
 المحروسة • ثم إنهم توجهوا بعد ذلك الى بستان المكين يوسف الراكبي بجوبر •
 وأقام الراهبان المذكوران عنده في طبقة على باب البستان المذكور • وأحضر
 لهم المكين عامل الجيش ما أرادوا من النفط والحوائج ، وعملوا سبع كمكات
 محشوة بارودا ونظما ودق فحم وغير ذلك مما يعرفوه (كذا) ، وألبسوا الراهبين
 المذكورين قباءين ثرية ، وتخيفتين بيض ، ومورات ، ثم نزلا من البستان
 المذكور ، ودخلا الى الدهشة الأموية ، وقعد أحدهما على دكان شرقي القيسارية
 وعد على باب الدكان فلوسا ، وتحيل حتى أدخل كمكة واحدة من تلك الكمكات ،
 ثم خرجا الى قصبة السوق البراني واشترى قباء برد (؟) ، ثم بسطا القباء على
 أنهما بطويانه فانبسط أحدهما الى الدكان وألقى كمكة ثانية بين الدراب

وركبوا من باب الفراديس دابطين وطلما الى البستان المشار اليه وأخبروا بما فعلوا .
وفي تلك الليلة احترق الحريق الأول . ثم إن المكين الراكيلى كتب ورقة
وأرسلها الى (آ آ) المكين عامل الجيش والمكين جرجس عرفها بصورة الحال .
ثم كتب الى الحاضر المسحى أعلاه المشهود عليه ، وهو الرشيد ، ورقة وأرسلها
مع مملوكه مبارك يعرفه من جهة دراهم لناظر الجيش ، وفي آخر الورقة أن الشغل
قد انقضى ، ثم إنهم كتبوا لها كتاباً الى العلم الديبيري عامل بيروت أن يجتهد
في تجهيزهما ويركبهما من البحر الى قبرص ومنها الى البلاد . ثم إنهم بعد ذلك
أحضروا عيسى الجراشي المعروف بابن ريش الروقة ، ووافقوه على أنه بتحويل في
إدخال النار الى داخل دكان اللعالم المستجدة على باب قيسارية القواصين ، وواعدوه
بخمسة درهم قبض منها ثلاث مئة ، وأخذ كمكة نائلة واستمال النصراني
ساكن الدكان حتى وضع الكمكة في سقف الدكان . وفي تلك الليلة احترق
الحريق الثاني ، وهو قيسارية القواصين وما معها . ثم إنهم دفعوا خمسمائة درهم
لخلوف النصراني الطواف على أنه يرمي حراريق دهن بأقطار البلد لينفي عنهم
الظن بذلك . ثم إنه حضر عندهم نفران من سجن معهم كتاب صاحب سجن
يعرفهم انه بلغه خراب ما حول الكنيسة فإن كانوا يختاروا (كذا) أن يكتب
الى صاحب السرب يكاتب مولانا السلطان الملك الناصر في ذلك يعرفوه وفيه
فصول كثيرة . فتميز نفران المذكوران الى القدس الشريف فلما قدسا كتبوا
لها كتاباً من يوسف الراكيلى الى صهره المسى بطرس كاتب المقر العالي طنبغا
حاجي بقربة ويحيا بالوصية بها وإكرامها ، وكتبوا كتاباً الى صاحب سجن
قبل الحريق الثاني يعرفوه (كذا) بالأول ، وفيه فصول كثيرة . وكتبوا
فيه بالرد للمالك لداخلة (؟) دمشق يعنيوا (كذا) بذلك أكابر النصارى بدمشق .
وهذه صورة ما أقر به الحاضر المسحى أعلاه من غير زيادة ولا نقصان . والله المستعان .

في تاسع ذي القعدة سنة أربعين وسبعمائة .

- ٢ -

الله الموق

صورة الفتيا

(مكتبة ليدن Cod. Or. 951)

ما قول أئمة المسلمين فيما اعتمدوا النصارى بدمشق المحروسة ، وحريق أوقاف
الجامع الأموي عمره الله تعالى بذكره ، وحريق المأذنة الشرقية ، وأوقاف
المدرسة الأمينية ، وما بها من صلاح المسلمين ، وغير ذلك من الأموال .
هل ينقض بذلك عهدهم ، وهل يلزمهم ضمان ما تلف بالحريق ، ويؤخذ
ذلك من أموالهم ؟ وإذا انتقض عهدهم فما الحكم فيهم : هل يقتلون أو يُنْفَوْنَ
إلى بلاد النصارى ؟ وإذا كان متمولهم (كذا) وكبارهم ورؤسائهم شارطوا على
حريق الجامع المذكور وحريق دمشق المحروسة بمال معلوم ، واعترفوا بذلك ،
فهل يجب على هؤلاء المتمولين المستأجرين الضمان أم لا ؟ وهل ينقض عهدهم أم لا ؟
وإذا أسلم أحدهم فهل يصح إسلامه أم لا ؟ وإذا صح إسلامه فهل يصح إسلامه
خاصة ؟ أو دمه وماله ، وهل ينجيه إسلامه من الضمان بسبب الحريق أم لا ؟
وإذا كان لهم كبير وهو غائب عن البلد ، وهم يعتقدونه ولا يرون مخالفته
وأجرهم بما فعلوه ، فهل ينقض عهدهم أم لا ؟ .

أفتونا مأجورين .

جواب قاضي القضاة تقي الدين السبكي^(١)

ينتقض عهدهم ، وتؤخذ أموالهم ، ولولي الأمر ، أعزّه الله تعالى ، صرفها في عرض ما تلف بالحريق المذكور منهم من وقف وعقار وقماش وغير ذلك من الأموال ويثاب أعزّه الله تعالى على ذلك . والله أعلم^(٢) . كتبه علي السبكي .

جواب الحنفية

نعم ، يلزمهم ضمان ما اتلفوه من الأموال والعقار والسلاح وغير ذلك . وإذا كانوا قد سعوا في الأرض بالفساد فللا إمام أن يقتلهم سياسة ، وله إجلاؤهم عن أماكنهم إلى موضع يراه الإمام من دار الإسلام ، ويكون ذلك مانعاً من فسادهم . وإسلام من أسلم منهم لا يكون موجباً لسقوط ما وجب عليه (١ ب) من حقوق العباد من مال أو قتل . والله أعلم^(٣) .

جواب المالكية

الجواب وبالله التوفيق

الحريق المذكور موجب لنقض العهد من صدر منه . ونقض العهد موجب للقتل . ومعلوم ما اشتمل عليه الفعل المذكور من المفاصد من خراب المأذنة والأوقاف وإتلاف السلاح المستعمد للتقوي على العدو المخدول ، وما قصد من

(١) أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قاضي قضاة الناصية بدمشق . توفي

سنة ٧٥٦ . انظر نذرات الذهب ٦ : ١٨٠

(٢) لم أجده نص هذه الفتيا في فتاوى السبكي المطبوعة .

(٣) ليس في الأصل اسم قاضي قضاة الحنفية . وقد كان يرمز عماد الدين الطرسوسي

الحنفي ، وهو علي بن أحمد . توفي سنة ٧٤٨ (قضاة دمشق لابن طولون ،

مخطوط ورقة ١٣٨)

إتلاف المسلمين وأموالهم وخراب مدينتهم وأما كنهم ، وما في إظهار ذلك من القوة والجرأة على هذه الدولة القاهرة خلّد الله ملك مالكاها ، وأدام اقتداره وأعز أنصاره وأهلك عدوه ، ثم ذلك موجب لتضمين ما أنفقوه ، وأخذ ذلك من أموالهم ، ويمنعون من الرجوع إلى بلادهم ومساكنهم ونسائهم وكبارهم ، ومن استأجروهم ، ومن تواطأ معهم في القرم ونقض العهد ، ولا يكون إسلام من أسلم موجبا لسقوط الضمان ، ولا مانعا من أخذ أموالهم ، وإنما يكون موجبا لحقن دهم إذا تبين صحة إسلامهم ، وينتقض عهد من أسرم بذلك عن له عهد ، ويصير حربيا . والله أعلم .

كتبه محمد بن أبي بكر المالكي ^(١) .

جواب الحنابلة

نعم ينتقض عهدهم بذلك ، ويتعين قتلهم ويلزمهم ضمان ما أنفقوه بذلك من الأوقاف والأموال وغيرها ، ولا يكون إسلامهم مانعا من ذلك (٢ آ) وما بعد ذلك من أموالهم يكون فيثا للمسلمين ، ومن واطأ على شيء مما ذكر وأعان عليه بوجه من الوجوه أو علم به ولم يعلم به المسلمون انتقض عهده أيضا . والله أعلم .

كتبه علي بن المنجا الحنبلي ^(٢) .

—————

(١) هو شرف الدين محمد بن أبي بكر الهمداني المالكي ، قاضي قضاة المالكية .

توفي سنة ٧٤٨ . انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤ : ٢٢١

(٢) علي بن المنجا ، قاضي قضاة الحنابلة . توفي سنة ٧٥٠ ، انظر شذرات الذهب ،

كتاب الموجز

في علم القوافي

تأليف كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري



نشرنا في الجزء الماضي من هذه المجلة (المجلد ٣٠ ، الجزء ٤ ، ص ص ٥٩٠ - ٦٠٧ و ص ٦٩٥) كتاب (اللمعة في صنعة الشعر) لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، ووطأنا له بكلمة موجزة ألمحنا فيها بترجمة المؤلف وعصره وموضوعات كتبه المطبوعة والمختصرة .

وقد ذكرنا في تلك المقدمة أن للأنباري كتاباً آخر في علم القافية ، أحال إليه في خاتمة (اللمعة في صنعة الشعر) وسماه : الموجز في علم القوافي ^(١) ، وأشار إليه بعض من ترجموا الأنباري ، فالسيوطي يثبت له في (بنية الوعاة) كتاب (الموجز في القوافي) وحاجي خليفة يذكر له في (كشف الظنون)

(١) أشار الأنباري في خاتمة كتابه (اللمعة) إلى هذا الموجز وذلك في أثناء كلامه على التضمين (ص ٦٠٧) فقد عرفه وقسمه إلى ضربين : أحدهما يدخل في صنعة الشعر ومثّل له بشيء من شعر العرب ، وثانيهما لا يدخل في صنعة الشعر وقد عرفه ولم يمثّل له وذكر أنه يثبته في كتابه (الموجز في علم القوافي) . وفي خاتمة (الموجز) الذي نشره هنا كلمة في التضمين ، اقتصر الأنباري في تعريفه إياه على ما أورده في الضرب الثاني من التضمين في اللمعة ، وضرب له مثلاً من الشعر . فالأنباري كما ترى ، منقّ لفكرته ، ذكور لما قال في كتبه ، بعيد عن الحشو والتكرار .

كتاب (الموجز في القواني) ويورد أول هذا الكتاب : الحمد لله على ما خفي من نعمه وگوتهولد قابل - في المقدمة التي صدر بها كتاب الأنباري (الإصاف في مسائل الخلاف) وأحصى فيها ما سمع به من تصانيف المؤلف - يشير في ص ٩٧ إلى (شرحه الموجز في القواني)

وقد ورد إلى المجمع العلمي العربي تصاویر تسع رسائل مخطوطة للأنباري (أشرنا إليها في ص ٦٩٥ من الجزء الماضي لهذه المجلة) ومنها مخطوط (كتاب الموجز في علم القواني) ، وأوله يطابق ما ذكره حاجي خليفة في كلامه عليه . وجاء هذا المخطوط في الصفحة الثانية من الورقة ١٠٦ وفي صفحتي الورقة ١٠٧ من مجموع الرسائل ، فهو في ثلاث صفحات قسمت أولياها ثلاثة أجزاء : أصل في الوسط وهامش في أعلى الصفحة وجانبها وأسفلها بسطور مائلة ، أما الصفحة الثالثة فخلو من الهامش ، والنص متساق في الأصل والهامش . ولا تتجاوز سطور المخطوط خمسين ومائة سطر كتبت بخط فارسي واضح تغلب عليه الصحة . على أننا لم نتقيد دائما برسم النسخ ، فهو يكتب (الصبي) بدل (الصبا)^(١) و (كان لا يسألوا) بدل (كان لا يسأل) و (ترجوا النساء) بدل (ترجو النساء) ويحذف الألف اللينة من (ثلاثة) و (مائة) ويسهل همزة (زائل) . وقد يخطئ في رسم ما استغلق عليه فهمه ، فهو يكتب (التوجيه) بدل (التوجيه) و (المقعد) بدل (المقعر) . وقد أشرنا إلى بعض هذه الاختلافات في حواشي النص الذي نشره بعد هذه التوطئة .

* * *

(١) وإن كان لكتابتها متعمدة عند كسر أولها وجه كما في نالج العروس .

أما قيمة (الموجز في علم القوافي) فتضارع قيمة (كتاب اللمعة في صنعة الشعر) للمؤلف نفسه ؛ إذ اشتمل الموجز على خلاصة وافية لهذا العلم ، سهولة المأخذ ، واضمحمة النهج ، منسقة الفصول ، جامعة أكثر ما يحتاجه المتلقن والمتلقف .
وقد أجاد المؤلف تقسيم هذا العلم ، وضرب لكل قاعدة مثلاً من مشهور كلام العرب . هذا وقد درج أكثر المؤلفين المتقدمين على التقييد بإثبات مثال بعينه للقاعدة ينقله الخلف عن السلف ، أما الأنباري فكثيراً ما يمثل بآيات وردت في دواوين العرب ولكن لم تجر عادة العروضيين بالاستشهاد بها .

لن نجد في هذا الكتاب جديداً في علم القوافي ، فقد ولد هذا العلم كاملاً - فيما يقولون - ، ولكنك ستجد فيه لباب العلم دون تشوره ، معروفاً بأسلوب رشيق مشرق وتحديد محكم بارع وبسط موجز بين ، وسترى ذلك في الصفحات التالية التي ينشر فيها هذا الكتاب لأول مرة .

(دمشق)

عبد الرهاوي هاشم

كتاب الموجز في علم القوافي تأليف كمال الدين الأنباري النحوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما خفي من نعمه وخفا^(١) ، وصلواته على عبده ونبية المصطفى ،
وعلى سائر عباد الله الذين اصطفى ، وبعد فاني أودعت في^(٢) هذا المختصر من
أصول علم القافية ، ثبداً دافياً ، ومكتناً كافية ، في التأسيس لقواعد أصوله ،
والتأسيس بقروعه وأصوله ، وقسمته فصلاً ، ليكون أدنى إلى متلقته وصولاً ،
وأدعى لمتلقته حصولاً ، وبالله التوفيق وكفى به كفيلاً .

فصل في معرفة القافية

اعلم أن علماء العربية اختلفوا في القافية ، فذهب الخليل بن أحمد إلى أنها
آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع الحرف المتحرك الذي قبله .
وذهب أبو الحسن الأخفش إلى أنها آخر كلمة في البيت . وذهب أبو علي فطرب
وأبو العباس ثعلب إلى أنها حرف الروي ، وهو مذهب الشعراء . وقال بعضهم :
القافية ما لزم الشاعر إعادته . وإنما سميت قافية لأنها تتبع ما قبلها من الكلام ،
من القنوت وهو الانباع ، يقال : قنوت أثره إذا اتبعته ، وقال الله تعالى^(٣) :
« ولا تقف ما ليس لك به علم » .

(١) خفا الشيء يخنو : ظهر .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الناسخ هو الذي أقسم الجار (في) هنا .

(٣) الاسراء (١٧) ٣٦

فصل في معرفة ما يعرض في القافية

ويعرض في القافية ستة أحرف وست حركات . فالأحرف : الروي^١ والوصل والخروج والردف والتأنيث والدخيل . والحركات : المجرى والنفاذ والحذو والرس والاشباع والتوجيه^(١) .

فصل في معرفة الأحرف

الروي :- هو الحرف الذي يلزم القصيدة بأمرها وتنسب إليه ، كقوله :
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل^٢
فاللام هو الروي ، وكذلك القصيدة لامية .

والوصل :- يكون بأربعة أحرف : الألف والياء والواو السواكن اللواتي يتبعن الروي^٣ والهاء سواء كانت ساكنة أو متحركة . فالألف كقوله :
أمن آل سلى عرفت الطلولا بذى حرمض مائلات مثولا^٤
فاللام الروي والألف بعدها وصل . والياء كقوله :
فتوضح للمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال^٥
والواو كقوله :

صحا القلب عن سلى وقد كان لايساو وأفر من سلى التعانيق فالنقل^٦
والهاء الساكنة كقوله :

صحا القلب عن سلى وأفصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله^٧
والهاء المتحركة كقوله :

أجاد المدي سردها وأذاها

(١) يستبدل الناسخ دائماً كلمة التوجيه بكلمة التوجيه ، ولعل الأمر قد التبس عليه .

والخروج :- يكون بثلاثة أحرف : الألف والياء والواو السواكن
 الزوائد اللواتي يتبعن الصلة المتحركة ^(١) . فالألف كقوله :
 [طغنتُ ابن عبد القيس طعنة ثائر] لما تقد لولا الشعاعُ أضاءها ^(٢)
 فالهمزة هي الروي ، والهاء وصل ، والألف بعدها خروج .
 والياء كقوله : تجرد المجنون من كسائر . والواو كقوله :
 كأن لون أرضه سماؤه ^(٣) .

والردف :- يكون بثلاثة أحرف : الألف والياء والواو السواكن
 اللواتي قبل حرف الروي من غير فصل . فالألف كقوله :
 ولو أدركته صفر الوطاب

فالباء الروي والألف قبلها ردف . وأما الياء والواو فيشتركان في القصيدة
 الواحدة بخلاف الألف ، كقوله :

ولا تكشير على ذي الضغن عتبا ولا ذكر التجرم للذنوب
 . ولا تسأله ^(٤) عما سوف يبدي ولا عن عيبه لك بالمغيب
 متى تك في صديق أو عدو تخبرك العيون عن القلوب

(١) يريد المؤلف بالصلة المتحركة هاء الوصل إذا كانت متحركة فإذا كانت ساكنة
 لم يكن خروج ، كما لا يكون خروج إذا كان الوصل ألفاً أو واواً أو ياء .
 (٢) ذكر المؤلف عجز البيت فقط وهو لقيس بن الخطيم (الهان ، مادة : نفذ) ،
 وفي الأصل قد بدل نفذ .

(٣) الواو المقصودة هنا هي التي تلي الهاء المضمومة في (سماؤه) وكذلك الياء في
 البيت السابق فهي التي تلي الهاء المكسورة .
 (٤) رسمت الكلمة على هذا الشكل : تسأله .

التأسيس :- كل ألف^(١) بينها وبين الروي حرف ، والدخيل هو ذلك الحرف الذي بين التأسيس والروي ، وذلك نحو قوله :
 كليني لهنر بأمية ناصب وليل أفاينه بطيء الكواكب
 فالباء هي الروي ، والألف قبلها التأسيس ، والكاف بينهما الدخيل ولا يلزم تكريره ، كقوله : ناصب والكواكب ؛ وكقوله :
 خلي عوجا من صدور الرواجل بجهور حزوي^(٢) فابكيا في المنازل
 وكان بعض المتقدمين يسميه التوجيه^(٣) لأنه يجوز لك أن تغيره بأي حرف شئت ، والأكثر أن يكون على أن التوجيه من جملة الحركات لا الحروف ، وستراه في موضعه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة الحركات

المجرى^(٤) :- حركة حرف الروي ، نحو ضمة لام زائل ، وفتحة لام مثولا ، وكسرة لام شمأل .
والنفاذ :- حركة هاء الوصل ، نحو فتحة هاء أضاءها ، وكسرة هاء كسائه ، وضمة هاء سماؤه .

(١) في المخطوط : كالتف .

(٢) في اللسان (مادة حزا) : 'حزوي' بالضم اسم عُنْجَمَة من غُجَم الدهناء وهي جهور عظيم يملو تلك الجماهير (والجهور : الرمل الكثير المتراكم ، والمُنْجَمَة ما تعقد منه) .

(٣) في الأصل : تسمية التوجيه .

(٤) حثا وردت هذه الكلمة ضبطا للناسخ بضم الميم ، وامل الصواب فتحا ، لأن المجرى موضع جري حركات الإعراب والبناء ، والفتح هو المشهور عند أرباب هذا العلم .

والخذو :- حركة الحرف الذي قبل الرفع ، نحو فتحة طاء الوطاب ،
وكسرة غين المغيب ، وضمة لام القلوب .

والرّس :- هو الفتحة قبل التأسيس ، نحو فتحة الواو من الكواكب .

والإشباع :- هو حركة الدخيل ، نحو كسرة الزاي من المنازل .

والتوجيه :- حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد ، وكان بعضهم
يسميه الاجازة مأخوذ من إجازة الجبل اذا لم يمحسكم فتشله فترا كبت قواه ،
قال الفراء : الاجازة عند الخليل أن تكون القافية طاء والأخرى دالاً وهو
الاكفاء ، وسنذكر هذا في موضعه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة أنواع القافية

وهي خمسة : المتكاوس والمتراكب والمتدارك والمتواتر والمتبرادف .

فالمتكاوس :- كل قافية آخرها أربعة أحرف متحركة بين ساكنين ،
ولا يجتمع في الشعر أكثر من أربعة أحرف متحركة متوالية ، وذلك نحو قوله :
قد جبر الدين الأمل فجبر .

والمتراكب :- كل قافية آخرها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين ،
نحو قوله :

قف بالديار التي لم يفتها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

والمتدارك :- كل قافية آخرها حرفان متحركان بين ساكنين ، نحو قوله :
فنا نيك من ذكرى حبيب ومثل بسطة اللوى بين الدخول فحول

والمترادف :- كل قافية آخرها حرف متحرك بين ساكنين ، كقوله :

أقول لصاحبي والعيسُ تهوي^(١) بنا بين المتينة فالضمار
تتمتع من شميم عرار نجد فما بعد العتبة من عرار

والمترادف :- كل قافية اجتمع فيها ساكنات ، كقوله :

قلت لما قيني لنا قالت فاف^(٢)

فافهمه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة عيوب القافية

وهي خمسة : الإقواء والإكفاء والإيطاء والتضمين والسناد .

فالإقواء :- أن يجتمع الرفع والجر في قصيدة واحدة ، نحو قوله :

آذنتنا بيبي^(٣) أسماء رب ثاور^(٤) يمل منه الثراء

وقال فيها :

فلمكنا بذلك الناس حتى ملك المنذر بن ماء السماء

وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنه قال : الإقواء نقصان حرف من الفاصلة ، كقوله :

(١) في اللسان (مادة عور) : (تحذي) بدل (تهوي) ، وبعد البيتين بيتان آخران هما :

ألا يا حبذا نفحات نجد وريا روضه بعد القطار

شهور ينقضين وما شعرا بأنصاف لمن ولا سرار

(٢) في (أف) عشر لغات على الأقل ، فنها ما هو بتخفيف الفاء فلا يصلح مثلاً

للمترادف ، ومنها ما هو بتشديدها منوناً أو غير منون ؛ (راجع اللسان في

مادة : أف) .

(٣) في المخطوط : اذبتنا بينها .

أبعد مقتل مالك بن زهير . ترجو النساء عواقب الأظهار^(١)
 وكان الخليل يسمي هذا المقعر^(٢) . والمعتمد أن الاقواء أن يكون الرفع والجبر
 في قصيدة واحدة على ما بينا . فإن كان مع الرفع أو الجبر نصب مسمي إضرافاً ،
 ولا يميزه الخليل بن أحمد والبصريون ، وأجازوه المفضل الضبي والكوفيون .

والإكفاء :- أن يختلف الروي في قصيدة واحدة ، وأكثر ما يكون
 ذلك في الحروف المتقاربة كاليم والنون ، والطاء والذال ، فاليم والنون كقوله :
 "بني إن البير شيء هين" المنطق اللين والطيم
 والطاء والذال كقوله :

إذا ركبْتُ فاجعلوني وسطاً إني كبير لا أطبق العنْدَا^(٣)
 وبعضهم يجعل الإكفاء بمنزلة الاقواء ، والأكثرون على ما ذكرناه^(٤) .

والإيطاء :- أن تكرر القافية في القصيدة الواحدة باللفظ والمعنى ، كقوله :
 أو كاعتزاز رديني تداوله أيدي التجار فزادوا منه لنا
 وقال فيها :

..... من الأحاديث حتى زدتي لنا^(٥)

(١) رسمت مالك بلا ألف في المخطوط ، والبيت للربيع بن زياد في مالك بن زهير
 الليبي (الحماسة ص ٤٤٧) .

(٢) في المخطوط : المقعد ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) العنْد : الجانب ، يقال : يميني وسطاً لا عنْدَا ، وفي المخطوط : العنْدَا .

(٤) في هامش المخطوط هذه الزيادة : قال أبو عمرو : الإكفاء عند العرب المخالفة
 في كل شيء .

(٥) ورد هذان البيتان في المخطوط على هذا الشكل :

أو كاعتزاز رديني تداوله أتريد التجار فزادوا منه لنا

ان في نازعت البانها لبن بمتصر من الأحاديث حتى زدتي لنا

وفي الهامش ما نصه : هذا الشعر لابن مقبل . ولم تقع على صوابها فيما بين
 يدينا من المراجع .

فإن اختلف المعنيان لم يكن إبطاء [و] ليس بعيب عند العرب ، والمذهب المذكور ما بيناه .

والتضمين - ان تتعلق قافية البيت [الأ] دل بالثاني ، كقوله :

فسائل تيمّا بنا والرباب وسائل هوا [ز] ن عنا إذا ما

ثم قال [في] البيت الثاني :

لقيناهم كيف نعلمهم بييض يفلقن بييضاً وهاما^(١)

والسناد - كل عيب يقع في القافية ، مثل أن تأتي القافية مرة مردفة

ومرة غير مردفة ، ومرة مؤسدة ومرة غير مؤسدة ، وأن تختلف حركة الاشباع والحدو ، كقوله :

كان عيونهن عيون هين

ثم قال :

وأصبح رأسه مثل اللجين

واختلفوا في اختلاف ما قبل الروي المقيد ، فذهب بعضهم إلى أنه ليس

بعيب ، والذي عليه الجمهور والمذهب المشهور أنه عيب والله أعلم .

تم المختصر بحمد الله تعالى ، فله الحمد على ما أولى .

—••••—

(١) في المخطوط : نعلمهم بييض يفلقن :

مقدمة المرزوقي

لشعره لمحاسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

- ٧ -

(أو لا يكون بين أجزاء البيت الثمام) .

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب التجام أجزاء النظم وعند الكلام على عيار التجام أجزاء النظم .

(أو تكون القافية قلقة في مقراها أو معيبة في نفسها) .

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية من الأبواب السبعة التي هي عمود الشعر وعند الكلام على عيار شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية .

(أو يكون في القسم أو التقابل أو في التفسير فساد) .

أما فساد التقسيم فهو ضد صحة التقسيم وهو يكون على وجهين أحدهما أن يأتي الشاعر بتقسيم وليس هو بتقسيم كقول هذيل الأشجعي :

فما برحت تومي إلى بطرفها وتومض أحياناً إذا خصمها غفل

فإن تومي وتومض متساويان . وقريب منه قول لييد :

كدخان مشعلة يشب خرامها .

ثم قال بعده فيها : كدخان نار ساطع أمانها

وثانيهما ان يترك شيئاً من التقسيم كقول جرير :
كانت حنيفة أثلاثاً فثلثتهم من العيد وثلث من مواليتها
وسكت عن الثالث الثالث .

وأما فساد التقابل فهو فساد التضاد المقصود كقول أبي عدي :
رُحمة لذي الصلاح وضرابو ن قدماً لهامة الصنديد
فتقابل ذا الصلاح بالصنديد وقد يكون الصنديد صالحاً فيضربون هامة وقد
يكون غير الصنديد شريراً فلا يضربون هامة . وأما فساد التفسير فهو فساد
البيان بأن لا يلاقي البيان لما أجمل سابقاً كقول بعضهم مادحاً :
فيأبها الحيران في ظلم الدجى ومن خاف أن يلقاه بني من العدى
تعال إليه تلقى من نور وجهه ضياء ومن كفيه بجرأ من الندى
فتبين ما يترقبه في ظلمة الدجى يحصل ضياء وجه الممدوح بتفسير صحيح ولكن
تبين ما يترقبه خائف البغي بحصول الكرم تبين فاسد . ومن فساد التفسير
سخافته كقول عن الدين الموصلي في بدعيته .
ذكر الإمام وإبنيه يفسره علي والحسن أكرم بذكرهم
على ما في البيت من ضرورات ركيكة ثلاث .
(أو في المعنى تناقض) .

نبحث يقتضي بعض المعاني تقيض البعض الآخر في الغرض الواحد بلا تأويل
ومن المعلوم مراعاة شروط التناقض في هذا وهي ما يعبر عنها بالوحدات الثبات
في علم المنطق والافان من التناقض ما هو معدود من لطائف الأساليب كقوله
تمالي : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي » . ومنه ما يسمى بالطباق وهو
الجمع بين معنيين متضادين ولو في الجملة .
ومثال ما وقع فيه التناقض وعيب علي قائله قول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواحُ والديم
إذ جمع بين قوله لم يعفها وبين نقض النبي بحرف بلى وقد يغتفر ذلك لضرب
من التلميح كقول بعض الأدباء :

أُسْكِرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشَّرِّ ب غداً إِنْ ذَا مِنْ الْعَجَبِ
وليس ذلك بظريف لما فيه من الغلو وكذا قول ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
وقد عابوا على عبد الرحمن بن عبيد الله القس قوله :

فاني اذا ما الموت حل بنفسها يزال بنفسي قبل ذاك فأفبر
لأن شرط إذا يقتضي المستقبل أي إذا هي ماتت يموت هو قبل ذلك .
(أو خروج الى ما ليس في العادة أو الطبع)

سماه خروجاً لأنه مخالفة لصحة الكلام فكان صاحبه خرج من حظيرة
معاني الشعر الى الهوس وهو يرجع الى الخطأ في المعاني . مثال الخروج الى
ما ليس في العادة قول أبي الطيب :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على النافل
إذ ليس من عادة المحبين الرغبة في نسيان الأحباب إلا أن يكون الذي أراد
منه ذلك غير نفسه فتأمله .

ومثال الخروج الى ما ليس في الطبع قول المرار :
وخال على خديك يبدو كأنه سنا البرق في دجاء بادرجونها
فجعل الخال مفرداً في البياض وطبيعة الخال السواد وإلا فقد انقلب بهقاً .
(أو يكون الوصف غير لائق بالموصوف) .

من أغلاط الشعراء في الجاهلية في الوصف قول المسيب بن علس :
وقد أتلاقي الهم عند احتضاره بناج عليه الصعيرة يكدم

التاجي الجمل الفحل والصيعرية سمعة يسم بها أهل اليمن النوق الكرائم فلا يومم
بها الجمل وأنشد هذا البيت بمحضر طرفة بن العبد وهو يومئذ صبي فقال طرفة :
« استنوق الجمل » وضحك منه فأرسلها مثلاً . وقد ورد في كتب الأدب كثير
من هذا كما في الموازنة للآمدي ولذا قال المؤلف فيما مضى « وعبار الإصابة في
الوصف الذكاء وحسن التمييز » .

وقد يجهل الخطأ من حصر في التعبير كما وقع لعبد الله بن السمط في مدح
الخليفة المأمون العباسي قوله :

أضجى إمام الهدى المأمون مشتغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغلاً
قالوا لما سمعه المأمون نظر إليه نظرة كاد أن يصطلحه عليها فلما حدث عبد الله
بذلك عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال عمارة : « لقد أحسن إذ لم يؤدبك
وإذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يشتغل بها هلا قلت كما قال جدي جرير في عمر
ابن عبد العزيز :

فلا هو في الدنيا مضيع لدينه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله
وفي رواية أنه قال له : ما زدت على أن جعلت أمير المؤمنين عجوزاً في محرابها .
(أو يكون في البيت حشو لا طائل فيه) .
الحشو بكسر الحاء هو الكلام الذي ليس فيه فائدة في الغرض بمعنى الحشو
لأنه لا جدوى له إلا الزيادة في الكلام كقول مصقلة بن هبيرة :
ألكني إلى أهل العراق رسالة وخص بها حيث بكر بن وائل
ف قوله حيث دعاه لا جدوى له في هذا المقام . ومنه قول أبي فراس :
ولكنني والحمد لله حازم أعز إذا ذلت لمن رقاب
فحمد الله هنا حشو إذ لا جدوى في الغرض . ومن قبيحه ^(١) قول بعضهم :

(١) أنتهه قدامة في كتاب نقد النثر ص ٧٤ .

أَمَّ سَلَامٌ أَثْبِي عَاشِقًا يَعْلَمُ اللَّهُ بِقِيْنِكَ رَبِّهِ

أَنْكُمْ فِي عَيْنِهِ مِنْ عَيْشِهِ فَاعْلَمِيهِ يَا سَلِيْمِي حَسْبِهِ

فَقَوْلُهُ بِقِيْنِكَ رَبِّهِ حَشْوَانٌ وَكَذَلِكَ فِي عَيْنِهِ وَكَذَلِكَ فَاعْلَمِيهِ يَا سَلِيْمِي .

(إلى غير ذلك مما يحصله لك تأملك جبل المحاسن وتفصيلها وتنبيهك ما يضادها وينافيها وهذا هين قريب) .

أي ان المحاسن وأضدادها لا تنحصر فيما ذكره فقد تذكر بعض المحاسن ولا تذكر أضدادها وقد تذكر بعض العيوب ولا تذكر محاسن الخلوع عنها والتأمل في الجميع يحصل للتأمل اثباتها إلى إدراك ما عسى أن يفتلوا عنه .

(وإنما قلت هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول : هكذا قضية طبعي أو أرجع إلى غيري ممن له في ^(١) الدربة والعلم بمثله فانه يحكم بمثل حكمي وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفيه الاختيار لأنه لا شيء من ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه وإقامة البرهان على رداءته فاعلمه) .

امم الإشارة راجع إلى ما تقدم من قوله « واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الرديء إلى قوله : وهذا هين قريب » يعني أنه إنما اهتم ببيان المقام إجمالاً ثم تفصيلاً لتكون نموذجاً من علل النقد وأسباب السقوط بحيث يتمكن من موازاة والتأمل فيها وفي ما يماثلها أن يبين وجه رداءة ما يحكم برداءته من الشعر لأن بيان أسباب الرداءة أيسر من بيان أسباب الجودة وقد تقدم قول الآمدي في الموازنة « وأبين الرديء وأردله » .

ومراد المؤلف بقوله « لأنه لا شيء إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه وإقامة البرهان على رداءته فاعلمه » إظهار الفرق بين حالة الحكم بالاجادة وحالة الحكم

(١) الصواب إسقاط (في) كما في النسخة التونسية .

بالرداءة فان الأولى قد يكون الرجوع فيها الى الطبع والدوق وان الثانية لا يعسر معها الاحتجاج بعلة الرداءة ولعله يشير بقوله « فاعلمه » الى الرد على الآمدي إذ سوى بين الحالتين في الموازنة فقال « وأذكر من علل الجميع ما يقتضي اليه التخليص وتحييط به العناية ويبقى ما لم يمكن إخراجه الى اليبات ولا إظهاره بالاحتجاج وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملاسة وبهذا يفضل أهل الحذافة بكل علم وصناعة من سوامهم ممن نقصت قريحته وقلت دربه اهـ » .

(وأما تمليك معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب والبلغاء والمذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين والعلة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان أكثر المفلقين لا يدعون في إنشاء الكتب وأكثر المترسلين لا يفلقون في قرص الشعر فاني أقول في كل ذلك ^(١) بما يحضر والله ولي توفيق وهو حسبي وعليه توكل) .

جمع المؤلف هذه الأسئلة جميعاً واحداً لأنه أراد الجواب عنها برمتها إذ كان يبان أسبابها آخذاً ببعضه مجتزئ بعض كما سيأتي .

(اعلم ان تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء موجبة تأخر المنظوم عن رتبة المنشور عند العرب لأمرين : أحدهما أن ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبحرون بالخطابة والافتتان فيها ويعدونها أكل أسباب الرئاسة وأفضل آلات الزعامة فاذا وقف أحدهم بين السماطين لحصول تنافر أو تضامن أو نظام أو تشاجر فأحسن الاقتضاب عند البداية وأنجح في الإسهاب وقت الإطالة ، أو اعتلى في ذروة منبر فتصرف في ضروب من تجشين القول وتليينه داعياً الى طاعة أو مستصحباً لرعية أو غير ذلك مما تدعو الحاجة اليه كان ذلك أبلغ عندهم من إتقان مال عظيم وتجهيز جيش كبير) .

ابداً المبحث بالترتيب بين الكلام النثر والنظم وبني تأخر الشعراء عن رتبة

(١) كذا في نثر الدكتور شكري فيصل غير مثبت اختلاف النسخ . والتمهي في نسخة الامانة ونسختي تونس « فاني أقول في كل فصل من ذلك » .

الخطباء والكتاب على أساس تأخر المنظوم عن رتبة المنشور فأثار مجيئاً قديماً
خاص فيه الأدباء وقد احتفل به ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير فقال :
« اعلم أن الأقوال متعارضة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على
الآخر إلا أن المذهب الفحل والقول القوي هو أن الكلام المنشور أفضل من
الكلام المنظوم الخ » .

واعلم أن مناط التفاضل وموضوعه إنما هو النثر الخاص الذي يقصد منه تأثير
السامع وإقناعه بفرض، وذلك هو النثر الذي يصاغ في قالب البلاغة والفصاحة
كالخطب والرسائل والأمثال والقصص التي يقصد حفظها والتأدب بها والاحتاجي
والنكت المستظرفة ليقصد واضعوها التأنيق فيها لتكون أبقى في ذهن السامع .
فليس من موضوع التفاضل ما يجري بين الناس من الخطابات في الشؤون المعتادة
والمحادثات العادية ولا نحو كتابة ديوان الجند وكتابة الأموال . والمؤلف يني
تفضيل النثر على ما حلف بصناعته من العوارض العرفية والدينية وذكر لتفضيل النثر
على الشعر سببين . وابن الأثير ذكر أربعة أسباب وبعضها يتداخل مع ما ذكره
المؤلف وقول المؤلف « عن رتبة البلغاء » أراد بالبلغاء غير الشعراء لأن الشعراء
وإن كانوا من أهل البلاغة إلا أنهم لما كان لصناعة الشعر اسم خاص من بين
الكلام البليغ شاع إطلاق وصف الشعراء عليهم وبقي وصف البلغاء مطلقاً على من
عداهم من الخطباء والكتاب وهو إطلاق قديم مشهور ومنه قول أبي العلاء المعري :

لا تطلبن بدوت حظ رتبة قلم البليغ بدون حظ مغزل

يعني بالبليغ الكاتب . وابتدأ المؤلف بحالة العصر الجاهلي فقصر كلامه على الخطباء
إذ لم تكن في الجاهلية رسائل واعتبر المؤلف من عصر الجاهلية العصر الذي معني
الأدباء بتدوين آثاره دون ما قبل ذلك ، فقد زعم ابن رشيقي في العمدة في باب
التكسب بالشعر أن الشاعر كان في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم
إلى الشعر في تجليد المآثر وشدة المعارضة وحماية البشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم

من القبائل فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه اه .

(وكانوا يأتقون من الاشتهار بقرض الشعر ويعده ملوكهم دناءة وقد كان لامري القيس في الجاهلية مع أبيه حجر بن عمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاء عنه وقتاً بعد وقت وحالاً بعد حال ما أخرجه الى أن أمر بقتله وقصته مشهورة فهذا واحد) .

عد المؤلف أنفة سادة العرب في الجاهلية من الاشتهار بقرض الشعر تكملة للأمر الأول من أسباب تأخر الشعراء عن زينة الكتاب وكان الأولى للمؤلف أن يجعله من جملة الأمر الثاني لأن الأنفة من قرض الشعر عندهم أوجبها اعتياد الشعراء التلبس بالأحوال التي هي من شأن أهل البطالة والتي لا تليق بالسؤدد في عرف زمانهم ومن ذلك ما سيذكره المؤلف عند تعرضه لأحوال الشعراء في مقابلة أحوال الكتاب إذ لا فرق في تلك الأحوال بين شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام وما قصة امري القيس مع أبيه إلا من ذلك القبيل فكان الوجه تأخير هذا ليستقيم قول المؤلف فهذا واحد . وأشار الى قضية امري القيس مع أبيه حجر ملك بني أسد^(١) وحاصلها أن حجراً سمع ابنه امراً القيس يترنم في مجلس شرابه بقوله : اسقيا حجراً على علاته من كيت لوئها لون العلق

فهم أبوه بقتله ثم نهاء فلما لم ينته اطرده من وجهه فكان بعيداً عنه الى أن قتل أبوه . والقصة مشهورة في كتب الأدب .

(والثاني انهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة وتوصلوا به الى السوق كما توصلوا به الى العلية وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللثيم عند الطمع فيه بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بصفة اللثيم حتى قيل : الشعر أدنى مروءة السري وأمري مروءة الدني . فهذا الباب أمره ظاهر . واذا كانت شرف الصانع

(١) انظر صبح الأعشي صفحة ٦٠ جزء ١ .

بمقدار شرف صناعته وكان النظم متأخراً عن رتبة النثر وجب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاً عن غابة البليغ) .

يعني أن الشعراء في الجاهلية اتخذوا الشعر مكسبة وتعرضوا به للعطاء مثل الأعشى والنابغة فغض منهم وبعضهم تعرض به إلى أعراض الناس فسخطه الناس مثل الخطيئة ، وسكت المؤلف عن الذين اتخذوه للغزل واللهو فشغلهم عن عظام الأمور . والحاصل أن في نملة الشعر ما كان مجلبة للغض من أصحابه بالرغم على ما يمتدح لهم به الناس من حسن البيان ، فقول من قال الشعر أدنى مروءة السري وأمرى مروءة الذي قول صادر عن لحظ من الشعر بعض عوارضه وإلا فقد كانوا يعدون الشاعر ينافع عن القبيلة ويرفع من ذكرها فليلوا كانوا يولموا إذا نبغ فيهم شاعر ، وقد قال النبي ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » وقد نصدي عبد القاهر في أول دلائل الإعجاز لا يبطل شبه من ماء اعتقادهم في الشعر فانظرو . قال الجاحظ في البيان " قال عمر بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بشرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم وينفخ شأنهم ويهول على عدوهم ومن غرامهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عدوهم ويهاجم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوق وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذا قال الأول « الشعر أدنى مروءة السري وأمرى مروءة الذي ولقد وضع الشعر من قدر النابغة الذبياني ولو كان في الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة له » . وقولهم أدنى مروءة السري هو من البدانة بمعنى الحطة أي هو أخط مروءة السري فالمرءة اجتماع الصفات التي تعتز في الرجال وقد اشتقت من لفظ المرء كما اشتقت الرجلة من لفظ الرجل فالشعر من المزايا التي يمتاز بها صاحبها إذ

لا يحصل لكل أحد فعملوه أقل كالات الإنسان الشريف وجعلوه أشرف كالات
الذني وحسبك بهذا ثناء عليه، ولكن غرض المؤلف التنبيه الى أعياض أوجبت
تنقص الشعر وان النثر سالم من تلك الأعياض وانه وإن شغل أصحابه عن
عظائم الأمور لم يخل من إفادتهم قبولاً في قومهم ونفعاً يجره اليهم، وقد قال
بعض شعراء بكر بن وائل :

ألمى بني تغلب عن كل مكرومة قصيدة قالما غمرو بن كلثوم .
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مستوم .
ووقع في كلامه لفظ السوق وهو بضم السين وفتح الواو بوزن مصدر اسم جمع
سوقة والسوق اسم للجماعة المنسوبة الى السوق وهم العامة من الناس . والعليبة
بكسر العين وسكون اللام الجماعة المعتلون أهل الرفعة والخصوصية .
(وما يدل على أن النثر أشرف من النظم أن الإعجاز من الله تعالى حده
والتحدي من الرسول عليه السلام وقما فيه دون النظم يكشف ذلك أن معجزات
الأنبياء عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أهمهم يولعون به في
حينهم ويطلب على طبائعهم وبأشرف ذلك الجنس على ذلك كانت معجزة موسى
عليه السلام لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة قصارت من ذلك
الجنس وبأشرفه .

وكذلك كان حال عيسى عليه السلام لأن زمنه كان زمن الطب فكانت
معجزته وهي إحياء الموتى من ذلك الجنس وبأشرفه .

فلما كان زمن النبي ﷺ زمن الفصاحة والبيان جعل الله معجزته من جنس
ما كانوا يولعون به وبأشرفه فتخدام القرآن كلاماً منشوراً لا شعراً منظوماً وقد
قال الله عز وجل في تنزيه النبي ﷺ : « وما علنناه الشعر وما ينبغي له » وقال
أيضاً : « والشعراء يتبعهم الغادون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وإنهم
يقولون ما لا يفعلون » .

ولما كان الأمر على ما بيناه وجب أن يكون النثر أرفع شأنًا وأعلى سمكا وبناءً من النظم وأن يكون متراوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاويلها) .
ساق المؤلف هذا الكلام كنكالة للسبب الثاني في تفضيل النثر على الشعر ببيان أن ذلك فضل اكتسبه في الجاهلية . وعزز له الإسلام ولهذا لم يجعل هذا دليلاً ثالثاً وقد عده ابن الأثير في الجامع الكبير سبباً مستقلاً ، وفي نسخة الاستانة بعد قوله أشرف من النظم « وان النظم أنصر درجة من النثر » .

(وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المقلقين وغيره من جمع بين النوعين مبرزاً فيها فهو أن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج سهل المعنى ممتد الباع واسع النطاق تدل لوائحه على حقائقه ، وظواهره على بواطنه إذ كان مورده على أسماع مفرقة من خاصي وعامي وأفهام مختلفة من ذكي وغبي فتى كان متسهلاً متساقاً ومتسلسلاً متجاوباً تارت الآذان في تلقيه والأفهام في دراسته والألسن في روايته فيسمع شاردة إذا استدعي ويتعجل وافده إذا استدني وإن تطاول أنقاس فصوله وتباعد أطراف حزونه وسهوله .

ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك ، لأنه بني على أوزان مقدرة وحدود مقسمة وقوافٍ يساق ما قبلها إليها مبيأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر إلى غيره إلا أن يكون مضمناً بأخيه وهو عيب فيه .

فلما كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلامها قليل وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً وكل بيت بتقاضاه بالاتحاد وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى وإن يبلغ الشاعر في تلطيفه والأخذ من حواشيه حتى ينسج له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفائه حدّاً يصير المدرك له والمشرف عليه كالفائز بنخيرة اغتنمها والظافر بدقينة استخرجها وفي مثل ذلك يحسن انحاء الأثر ، وتباطؤ المطلوب على المنتظر ، فكل ما يحمّد في الترسل ويختار يذم في الشعر ويرفض .

فلما اختلف المبيان كما بينا وكان المتولي لكل واحد منها يختار أبعد الغايات لنفسه فيه اختلفت فيهما الاصابتان لتباين طرفيهما وتفاوت قطريهما فبعد على القرائح الجمع بينهما) .

انتقل المؤلف الى بيان فضل النثر البليغ على الشعر البليغ في عصور دول الاسلام وجمع هنا الجواب عن مسألتين : مسألة السبب في قلة المترسلين من الكتاب وكثرة المفلتين من الشعراء . ومسألة السبب في عزة من يجمع بين الترسل والشعر .

وابتداً يجواب المسألة الثانية في سبب عزة الجمع بين الترسل والشعر بقوله : « فهو ان مبنى الترسل الى قوله أولى وأخص » وحاصل السبب ان مقتضى الصناعتين مختلف فكان ذلك الاختلاف سبباً في ندرة العقول التي تجيد كلتا الصناعتين لأن العناية بأحد الأسلوبين واجادته تباعد الفكر عن الاهتمام بالآخر والاشتغال به . والانصراف والتوجه الى احدى الصناعتين حتى تستولي على الذهن هو أمر يتبع اختلاف توجه النفوس وميلها وقوله : « فيسمع شارد اذا استدعي . ويتعجل وافده اذا استدني » بفتح حرف المضارعة في يسمع ويتعجل مبينين الى الفاعل وأراد بالشارد المعنى العزيز الممتنع وبالوافد المعنى السهل استعار الشارد للنادر لقلة حضوره واستعار الوافد للسهل لأنه كالذي يأتي بدور استدعاء واستعار لمحاولة اختراع المعنى النادر ولتتمكن من تقويمه في الذهن فعلى الاستدعاء والسماح . واستعار لا يبراز المعنى السهل بعد خطوره في الذهن فعلى التعجل والاستدناء لأن الوافد يستدني الاكرام والقرى .

« وقوله أنفاس فصوله » كذا ثبت في نسخة الاستانة والنسختين التونسييتين . ووقع في نشرة الدكتور شكري « أنفاس وصوله » بواو عوض الفاء ولا يظهر له كبير معنى .

وقول المؤلف «إلا أن يكون مضمناً بأخيه وهو عيب فيه» أشار إلى ما يسمى
عندهم بالتضمين وهو أن يتوقف فهم معنى البيت على معرفة البيت الذي بعده
وهو عيب في الشعر العربي ومع ذلك وقع في شعر نخول الشعراء ، ووقع للناطقة
في عدة قصائد كقوله :

فهم درعي التي استلّمت فيها وهم أصحاب يوم عكاظ إني

شهدتُ لهم مواطن صادقات شهدن لهم بصدق الود مني

وقوله : «وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد» وقع في نسخة الامتانة مخالفاً بالترتيب
وبالاعجام فكتب «يتقاضاه كل بيت بالاتخاذ» بانحاء والذال المعجمتين والمعنى
على معظم النسخ بالمعجمتين ان كل بيت يطالب الشاعر بأن يحمله متجداً مع
الآيات أقرانه فني ذلك التقاضي زيادة كثرة للشاعر وعمل ليناسب بين البيت
وأخيه كما قال رؤبة : «قد قلت لو كان له قران» فتأمل .

وأما الاتحاد بالمعجمتين فلا يظهر له معنى لأن الشاعر إذا نظم البيت فقد
اتخذ هذا تحصيل حاصل . وقوله «وفي مثل ذلك يحسن انحاء الأثر» . وتباطؤ
المطلوب على المنتظر» انحاء الأثر كناية عن كثرة الترداد على الطريق حتى
لا تبين فيه آثار أقدام معينة وقد جعله تمثيلاً لحالة وفرة المحاولين لانتزاع المعاني
وتهذيبها وإفراغها في قبالب النظم بحالة كثرة السائرين في جادة الطريق حتى
تصير الطريق صلبة لا تظهر فيها آثار أقدام السائرين ولا سنايك الركاب كما
يقال يخض الطرائق . والمعنى ان في هذا العمل ومثله يحسن الدأب على الطالب
ومحاولة الظفر بالغاية .

وقوله «وتباطؤ المطلوب على المنتظر» أي هذا تباطؤ حسن غير مذموم وانتظار
لنيد لأجل ما يجده المنتظر في أثناء انتظاره من موسم قوال غنم تقيس وظهور
بشائر اقترابه كما قال أبو الطيب :

ومن الخير بقاء سيبك عني أمرع السحب في المسير الجهام
(يكشف ذلك أن الرجز وإن خالف القصيد مخالفة قريبة ترجع إلى تقطيع
شأن اللفظ فيه وتزام السجع عليه ، قل عدد الجامعين بينهما لتقاصر الطبع
عن الإحاطة بهما ، فإذا كان الرجز والقصيد معاً من واحد أفضت الحال
بتماطبهما إلى ما قلت على خلاف يسير بينهما ، فالتنظيم والنظم وهما في طرفين
خدين وعلى حالتين متباينتين أولى وأخص) .

كان العرب قد خصوا الرجز بأغراض غير مهمة وهي الهداء والتمتع على المياه
وترقيص الأمهات أطفالهن . وكانوا ينظمونه على حالة عجلة وكيفية اتفق
فلذلك لم يكن يعبأ به الشعراء . وربما ارتجز البطل عند الخروج إلى صف المقاتلة
يرهب الناس بما يذكره من بأسه إلى أن ظهر منهم الرجاز المجيدون مثل العجاج
وأبي النجم وكانوا كلهم من أهل البداوة فبقي الرجز شعار الأديب البدوي ولم
يبرز فيه أهل الحضرة وقد عد من مقدرة بشار بن برد أنه ارتجز بأراجيز فاق فيها
مشاهير الرجاز مثل أرجوزته الطويلة :

يا طلال الحي بذات الصمد بالله حدث كيف عدت بعدي

ونقصته فيها مع عقبة بن ربيعة مذكورة في ترجمة بشار .

(وأما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ونباهة أولئك وخمول هؤلاء) .
أراد بالبلغاء الكتاب البلغاء كما بيّنته قوله : « منها أن المترسل محتاج إلى »
وبيّنته أيضاً أنه موضوع البحث لقوله في حكاية السؤال « معرفة السبب في تأخر
الشعراء عن رتبة الكتاب والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلتين » وقد تقدم
وجه هذه العبارة عند شرح قوله « اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء إلى »
وكان اللام في البلغاء للعهد لأنه لما ذكر في صدر المقدمة رغبة السائل في الكشف
عما تجنّب فيه قال هنالك « وقلت أيضاً أتمنى أن أعرف السبب في تأخر الشعراء

عن رتبة الكتاب البلاء» وسبب ذلك كله أن أغلب المترسلين كانوا في عداد كتاب الدولة فصار الترسل مقارناً في الأذهان لصناعة الكتابة التي لها نباهة في الدولة ولذلك لم يتعرض المؤلف للخطباء في الإسلام اكتفاء بما ذكره من فضل الخطابة في العصر الجاهلي واعتداداً بأن الكتابة غطت على الخطابة وغمرتها بين أهل الدولة . والنباهة مصدر فبه بضم الباء ويمجوز فيها الفتح والكسر وهي الشرف وعلو القدر والتحول ضد النباهة ولم يصرحوا بحركة الخاء منه ولكن قياسه ضم الخاء لأن مصدر فعل المفتوح العين اللازم يكون على وزن فتول بضم الفاء باطراد إلا في أفعال الامتناع وأفعال الاضطراب وأفعال الادواء .

(فهو ان المترسل يحتاج الى مراعاة أمور كثيرة إن أهملها أو أهمل شيئاً منها رجعت النقيصة اليه وتوجهت اللائمة عليه) .

يبين كلام المؤلف هنا كلام صدر عن ابن الأثير في الفصل الثاني من مقدمة المثل السائر إذ قال : « وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم ، حتى قيل كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه اليه فيقول فلان النحوي وفلان النقيب وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة وذلك لما يفتقر اليه من الخواص في كل فن . »

وذكر ابن الأثير أن فن الكتابة يفتقر الى سبعة أنواع من الآلات . هي علوم العربية ، وعلم اللغة وأمثال العرب ، والاطلاع على تأليف من تقدمه من أرباب الصناعة المنظومة والمنثورة ، ومعرفة الأحكام السلطانية ، وحفظ القرآن ، وحفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبي ﷺ . وقال القلقشندي : « ان كاتب الإنشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ولا يسهه الوقوف عند فن » وعلى هذا الاعتبار توسع القلقشندي فآلف كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء في عشرين جزءاً . وقال : «^(١) واعلم أن كاتب الإنشاء وإن كان

يحتاج الى التعلق بجميع العلوم فليس احتياجه الى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج اليه بطريق الذات وهي مواد الانشاء التي يستمد منها كاللغة والنحو والبلاغة ومنها ما يحتاج اليه بطريق العرض كالطب والهندسة فإنه يحتاج الى الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم وإلى معرفة المشهورين من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه بل ربما احتاج الى معرفة مصطلح مثل الناس لكتابة أمور هزلية الخ .

وأقول ان الكتاب المشروطة فيهم هذه الشروط هم كتاب الرسائل السلطانية ومن كان في مراتبهم وهم الذين منهم تختار الوزراء دون أصناف آخرين من الكتاب مثل كاتب القاضي وكاتب الخراج وكاتب الجند وكاتب الحساب وغيرهم وهم مراتب وشروطهم كذلك وهي منحصرة فيما به إجابة عملهم (١) .

(منها تبين مقادير من يكتب عنه واليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع رفيعاً - ومنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريه حتى تجيء لائقة بمن يخاطب بها مفعلة لحضرة سلطانه التي يصدر عنها - ومنها أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثن فيتصرف معها على مقاديرها في التقص والإبرام والبسط والانتقاص - ومنها ان يعلم أوقات الإسهاب والتطويل والإيجاز والتخفيف فقد يتفق ما يحتاج فيه الى الكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ، ويتفق أيضاً ما تنفي فيه الإشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة ومنها ان يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل فلا يشتغل في الحكومة ولا يعدل فيما يخط عن المحجة فهو إنما يترسل في عمود الولاية والقضاء وتأكيد البيعة والائتمان وعمارة البلاد وإصلاح فساد وتخريض على جهاد وسد ثغور ورتق فتوق واحتياج على فئة أو مجادلة لئلة أو دعاء الى ألفة أو نهي عن فرقة أو تهينة بعطية أو تعزية بوزية أو ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب وعظائم الشؤون التي يحتاج فيها الى أدوات كثيرة ومعرفة مقتنة) .

(١) انظر صبح الأعشى صفحة ١٤٣ جزء ١ .

أشار الى أشد ما يحتاج اليه كاتب الإنشاء وهو أم ما ذكره صاحب صبح الأعشى آتفاً .

(فلما كان الأمر على هذا صار وجود المظالمين بنجودة النشر أعزّ وعدهم أنزر وقد سمّتهم الكتابة بشرفها وبوأنتهم منزلة رئاستها فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ومعاند رئاستهم وشدة الفاقة الى كفايتهم) .

جعل السبب في قلة الكتاب هو السبب أيضاً في رفعة شأنهم وقد يكون للسبب الواحد مسبيان فأكثر . وحاجة السلاطين والأمراء والسادة الى الكتاب معلومة وفي تضاعيف شواهد التاريخ منها كثير . وقصة غناء عبد الله بن المقفع الكاتب عن مخدومه علي بن عبد الله بن عباس في صده كيد السفاح عنه بما كتبه من صيغة الأمان الذي رضي السفاح بئذه لبعه علي بن عبد الله بن عباس ، مذكورة في ترجمة ابن المقفع ويقال هي كانت سبب نكبة ابن المقفع . وذكر الحريري في المقامة ٢٢ بعض مزايا الكتاب أهل الإنشاء وبعض وجوه الحاجة اليهم فقال « والمنشيء جبهة الأخبار . وحقيقة الأسرار . ونجوى العظماء . وكبير الندماء . وقلم لسان الدولة . وفارس الجولة . ولقمان الحكمة . وترجمان المحمة . وهو البشير النذير . والشفيع السفير . به تستخلص الصيامي . وتملك النواصي . وبقتاد العاصي . ويستدنى القاصي . وصاحبه بريء من التبعات . آمن كيد السماة » .

وفي صبح الأعشى من كلام ابن جعفر الفضل بن أحمد : « للكتاب أفرت الملوك بالفاقة والحاجة . واليهم ألقوا الأعتة والأزمة . ويهم اعتصموا في النازلة والنكبة . وعليهم اتكوا في الأهل والولد . والدخائر والعقد . وولاية العهد . وتدبير الملك وقرع الأعداء . وتوفير النية . وحياطة الحريم . وحفظ الأسرار . وترتيب المراتب . ونظم الحروب » .

(والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون نحوها ، وغاياتهم التي يتزعمون إليها ، وصف الديار والآثار والحنين الى المعامد والأوطان والتشبيب بالنساء والتلطيف في الاجتهاد والتفنن في المديح والمجاء والمبالغة في التشبيه والأوصاف ، فاذا كان كذلك لم يتدأنوا في المضمار ولا تقاربوا في الأقدار . وإذ قد أتينا بما أردنا ووفينا بما وعدنا فانا نشغل بما هو القصد من شرح الاختيار والله الموفق للصواب والصلاة والسلام على رسوله وآله الأخيار) .

أشار الى أن أغراض الشعراء وإن كانت رائقة للنفوس ومرغوبة عند أهل الذوق السليم فان للكتاب المرتبة المهيبة ، والآثار العجيبة .

محمد الطاهر ابن عاشور

(تونس)

شيخ جامع الزيتونة وفرعه بتونس

ايوانية البحري

- ١ -

كانت للملك فارس عواصم متعددة أولها (اصطخر) وآخرها (المدائن) وكانوا قبل سابور (توفي سنة ٢٧٢ م) ينزلون (طيسفون) وهي المدائن الغربية الواقعة على ضفة دجلة اليسرى . فبنى سابور الايوان بالمدائن الشرقية وانتقل اليه فصار دار الملك من بعده الى ظهور الاسلام . وسميت (المدائن) مدائن لأنها كانت مؤلفة من عدة مدن وكانت هذه المدن عامرة بالسكان أثناء الفتح الاسلامي وفتحت آخر سنة ١٦ هـ (نصف كانون الثاني ٦٣٧ م) ودخلها سعد ابن أبي وقاص آخر شهر آذار من السنة نفسها . ثم لما بنى المنصور بغداد انتقل سكان (المدائن) اليها . وبنى قصر (الناج) من حجارة الايوان . وأخذت المدائن من يومئذ بالخراب والاضمحلال . ولم يبق من آثارها اليوم سوى البناء الفخم الذي يسمى (ايوان) كسرى واختلفوا في بانيه هل هو سابور أو غيره . والصحيح أنه تعاون على بنائه عدة من ملوكهم . وهو من أعظم أبنية العالم : مبني بالآجر على مرتفع من الأرض مساحته (١٥٠) ذراعاً في مثلها وأمامه ميدان طوله (٨٠) ذراعاً في عرض (٢٥) ذراعاً . وقيل ان سعة الايوان من ركنه الى ركنه (٩٠) ذراعاً وارتفاعه (٨٠) ذراعاً . ومن أقسامه قصر سابور اشتهر باسم (الأبيض) و (القصر الأبيض) و (أبيض المدائن) . وقد تهدم الايوان ولم يبق منه سوى قنطرة عظمى اشتهرت باسم

(الطاق)^(١) أو (طاق كسرى) أو (طاق الايوان) والطاق كلمة فارسية معربة بمعنى القنطرة . ومنه قولنا (طاقة) للنافذة لأن قسمها العلوي بشكل قنطرة في الأصل . والطاق مبني بالآجر : طول كل آجرة ذراع في عرض أقل من شبر . ومن أقسام الايوان بناء عظيم يسمى (الجرماز) وقد اندرس ولم يبق له أثر . وفي الايوان من التماثيل والصور شيء كثير : من جملتها صورة كسرى أنوشروان (وهذه الصورة في الجرماز فلعل الجرماز من بناء كسرى أنوشروان) وهو يحاصر أنطاكية وأهلها الروم يردونه عنها تحت راية ملكهم قيصر . وقد قال الشعراء في وصف الايوان أشعاراً كثيرة أشهرها قصيدة البحرى فيه . وقد مرّ البحرى على الايوان ومعه ابنه (أبو الغوث) وكان زيارة له كانت بعد شهوده مقتل المتوكل وحزقه الشديد عليه . فباله ما رأى من نخامة البناء وفريب الصور والتماثيل . فوصفه ووصف القصر الأبيض وصفا عاما ثم (الجرماز) ثم الصورة المذكورة التي تمثل حصار كسرى لأنطاكية ثم صورة تمثل مجلسا لكسرى مع نسائه وقيانه وعظما مملكته . والقصيدة البحرية من خير أشعار البحرى على غموض في كثير من أبياتها لم نعهده في شعر البحرى الذي وُصف بسلاسل الذهب ، وقد اجتهدت كثيراً في مقابلة نسخ القصيدة ومعارضة بعض النسخ ببعض حتى استخرجت منها نسخة ربما كانت أكلها ضبطاً وتحقيقاً ، وقد علّقت عليها شرحاً موجزاً أرجو أن تكون فيه الكفاية للطالب الحريص على فهم هذه القصيدة الفريدة .

* * *

(١) والطاق يبعد ٣٠ كم للجنوب الشرقي من بغداد . وقنطرة الطاق علو ما نحو أربعين متراً وسماكة الجدران نحو مائة أمتار وطول فراغها هو الايوان ٦٦ خطوة وعرضه ٣٥ خطوة (والخطوة نحو ثلثي متر) . والايوان اليوم محاط بقفر على مقربة من نصب مهر (ديلا) القادم من إيران - في دجلة . وكان أي الايوان قديماً محاطاً بمدينة (المدائن) عاصمة كسرى . ملخصاً من رحلة جرجي الخوري القلبي المنشورة في مجلته (المورد الصافي) .

('صنّتْ' نفسي عما يبدّئس نفسي وترفعت عن جدّا كل جبنس)
 (الجدا) العطية ويروي (ندا) وهو بمعنى الجود والسخاء . و (الجبنس) بكسر
 الجيم الغبي الدنيء الثقيل الروح (والمعنى) أنه يصون نفسه عما يهينها ويبدّئس كرامتها :
 من ذلك أنه يربأ بها عن تناول عطية من الأدياء السفل لأنهم يستكثرون
 عطاياهم ولا يزالون يمتنون بها .

(وتماصكت حيث زعزعتي الدهر التماساً منه لتعسي . ونكسي)
 ويروي (حين) مكان (حيث) وحين للزمان كحيث للمكان ومآل المعنى
 فيها واحد . و (التعس) أن يخرّ الانسان على وجهه والنكس أن يخرّ على رأسه .
 هذا أصلاً ثم نُقِلَ الى معنى الهلاك : (تميس) كفرح اذا هلك و (تعسه
 وأتسه) أهلكه فهو تاعس وتيس . و (نكيس) على البناء للمجهول ونكسه
 ونكّسه فهو منكوس . (والمعنى) أن الدهر اذا نكبه نكبة زعزعته وقلقت
 عيشه مريداً إهلاكه وإسقاطه بين الناس فإنه يتماصك ويتجلّد ويصبر غير جزوع
 ولا هلوع .

('بلّغ' من 'صباية العيش' عندي طغففتها الأيام تطيف بجنس)
 (البلّغ) جمع (بلّغة) وهي ما يتبلّغ به « أي 'يكثني به' » من مواد
 المعيشة بحيث لا يفضل منه شيء . و (الصباية) بالضم البقية الباقية من طعام
 وشراب . و (التطيف) و (البسخس) كلاهما بمعنى النقص : (طَفّف) الكيل
 والوزن نَقَصَ . و (بجنسه) حَقَّه نَقَصَ (يقول) انه اذا صان نفسه عن عطايا اللثام
 وصبر على نكبات الدهر فليس ذلك عن غنى وسعة من الرزق بل هو على
 العكس : لم يبق لديه من مرافق الحياة وأسباب المعيشة سوى بقية 'مختلفة' منقوصة .
 (وبعبء ما بين وارد رفد علل شربه ووارد خمس)
 ذكر في هذا البيت حالة من حالات الابل في ورودها الماء قلة وكثرة .

وقد ضربها مثلاً لنفسه : (الرِّفَه والرَّفَاهَة) لين العيش ورغد الحياة في البشر .
أما في الأوبل فهو (أي الرفه) أن ترد الماء كل يوم متى شئت . وقوله
(رَفَه) من باب قَطَعَ و (رَفُه) من باب حَسُن . ويغلط الناس في مصدرية
فيقولون (رَفَه) بفتح الفاء مع أن الواجب تسكينها ويقولون (رفاه) بزيادة
الألف وصوابه (رفاهة) بناء في آخره كالرفاهية . و (المَلَل) ضد النَهَل :
فالنهل أن تورد الأوبل ثم تُرَدُّ إلى العطن (وهو موضع بروكها على مقربة من
المورد) وبعد قليل يوردونها مرة ثانية ، وهذا الورد الثاني يسمى المَلَل . حتى إذا
رويت ساقوها إلى المرعى أو المراح وهو مبيتها لبلأ . ولا ريب أن سقى الأوبل
متى شئت وسقيها ثانية : في ذلك زيادة ري لها وعناية بخدتها وترفيه عيشها .
وقد ضربته شاعرنا البحري مثلاً لحالة الإنسان اللين العيش الذي تبسرت له
أسباب الخفض والدعة . قال وشتان من كانت حالته كذلك ومن كانت حالته كحالة
البحري : لا يرد رفها ولا عللاً بل يرد خمساً . والخمس بكسر الظاء ظيم من
أظاء الأوبل كالربيع والسيّدس : فهي ضد الرفه والمَلَل فان فيها (أي في هذه
الأظاء الخمس والربيع والسيّدس) تعطيش الأوبل . وتزيقاً عليها في المعيشة . وذلك
يكون منهم إذا أرادوا سفراً بعيداً فانهم يعودونها العطش رويداً رويداً ربعاً فخمساً
فسيّدساً . وبذلك تتمرّن الأوبل على تحمّل العطش ثم يرمون بها في الفلوات أياماً وأياماً .
فالخمس والسيّدس طريقة من طرائق خديعة الأوبل والاحتيال عليها . ومن هنا
المثل (فلان يضرب أخماساً لأسداس) أي يُري صاحبه أنه يُطيعه وهو إنما
يراوغه ويحتال عليه . ويغلط الناس في استعمال هذا المثل فيقولون يضرب (أخماساً في
أسداس) وصوابه (لأسداس) . كما يضربونه مثلاً لمن يفكر في الأمر كي
يتبين وجه الصواب فيه . و (البحري) يقول : الفرق بعيد بينه وهو عطشان
كالبعير الوارد خمساً . وبين آخر توفرت له جميع أسباب الرغد ولين العيش .

(وكانت الزمان أصبح مخبو لا: هوام مع الأخص الأخص) في التسخ كلها (مخولاً) باليم وصوابه (مخولاً) بالباه وهو من أصيب بفساد في عقله وأصبح كالمجنون لا يدري وجه الصواب في معالجة الشؤون ، وهكذا الزمان في تضيق العيش على الكرام أمثال المجتري . (على الأخص الأخص) أي الأزدل الأزدل من الناس : فهو كأنه 'يؤثرهم ويسارع في هوام .

(واشترائي العراق خطئة غبن بعد يبي الشام بيعة وكس) (الخطئة) بضم الخاء الخصلة ويكون بمعنى الأمر تهيوه في نفسك لتجري عليه في عملك و (الغبن) أن 'تخدع فتخسر في بيع أو شراء و (الوكس) النقص والخسارة أيضاً ، وكس في تجارتك أي خسر فذهب ماله . كأن (المجتري) ندم على تركه بلاده الشامية (وبلده متبع في حلب) إلى الديار العراقية التي لم يعطه الزمان فيها ما يمتناه من طيب عيش ورغد حياة : فهو يقول : أن يبعه للشام وإفلاتها من يده كان عليه فيه وكس وخسران ، كما أن شيوخه إلى العراق واشترائه لما بعد ما باع الشام تدبير غير مصيب ومعاوضة أصبح فيها غدوفاً مغبوفاً .

(لا تؤزني مزاولاً لاختباري عند هذي البأوى فتكر مسي) (الروز) أن تجرب آخر وتختبر ما عنده من علم وجهل أو صبر وجزع . أو حب وبغض . وهكذا ، فامتحان الطلاب لمعرفة ما عندهم من العلم هو في الحقيقة روزه والمس معلوم لكنه هنا بمعنى التجربة والاختبار كالجلس : أصله المس باليد ثم أصبح بمعنى الفحص والاختبار . والمجتري بعد أن وصف ما وصف من حاله الشوي في العراق علم أن صديقه سوف يمانبه على تطبيقه الشام وتركه لما حتى وقع فيما وقع به من هذه البأوى فيادره قائلاً : أتحاول معرفة تجلدي ومقدار صبري على هذه المصيبة التي أنا فيها ؟ فانك بذلك ربما تحملني على الغضب والغلظة

فترى منى خشونة تنكر مسها . وتسمع كلاما مؤلما لم تعهده منى من قبل ،
دعني وما أنا فيه من الحزن والغم .

(وقديما عهدتني ذا صفات آيات على الدينئات شمس)
في الأصل (ذا هنات) ولا يلائم معناها هنا إلا على إرادة معنى الأمور
الغريبة . فالصواب ما قلناه و (أبى عليه) امتنع ونفر ولم يطع . ومثله شمس
يشمس فهو شامس وجمعه (شمس) . والشمس في الفرس أن لا يمكن
أحدًا من ظهوره ولا يكاد يستقر من قلقه . ولعل نفور الفرس هذا ناتج من رؤيته
لخياله في الشمس . ومن هنا جاء فعل شمس إذا نفر وأبى . يقول البحرى لصديقه
لا تكثر من لومي وإرهاقي بالعب فانك تعلم منى قديما الايباء والنفور من فعل
ما يشين . فطباعي وأخلاقي كالأفراس الشمس التي تنفر مما تكره وتأبى
على الراكب أن يسرجها أو يلجمها .

(ولقد رابني نبؤ ابن عمي بعد لين من جانبيه وأنس)
(النبؤ) الارتفاع ومنه نبا السيف عن الضريبة . والمراد بارتفاع ابن عمي
شموخه على البحرى وتعاليه : يقول ان من جملة البلوى سوء عشرة ابن عمي لي
فهو يشمخ بأنفه عليّ وبنأى بجانبه عني على غير ما أعهده فيه من اين الجانب
وأنس الطباع .

(واذا ما جئت كنت حريّا أن أرى غير مُصبح حيث أمسي)
المعنى أنني إذا جئت وأسيئت معاملتي على هذه الصورة من الناس عامة
ومن ابن عمي خاصة كنت حريّا وجديرا بأن لا يراني الناس باقيا وقت الصباح
في المكان الذي عومت فيه بالجفاء وقت المساء بل أرحل من فوري .

(حضرت رحلي المأموم فوجهت إلى أبيض المدائن عتسي)
(الرحل) للبعير كالسرج للفرس والإكاف للحمار ثم صار الرحل يطلق على

المثوى أي موضع الإقامة حيث توضع الرحال عادة عن ظهور الأبل وهذا هو المعنى المراد هنا . والمحموم جمع هم بمعنى الحزن والغم وهو فاعل حضرت ورحلي مفعوله مقدم عليه و (أيض المدائن) أحد قصور إربان كسرى كما تقدم سمي بذلك لما يأتي في وصفه من بياض شرفاته و (المتس) بفتح العين وسكون النون الناقة الشديدة (يقول) إن المحوم والأحزان لما أَلَمْتُ به وخيبت على منزله وجهه راحلته شطر مدائن كسرى وقصرها الأبيض . ولعل منزله كان يومئذ في بغداد وقد ارتاع من مقتل (المتوكل) إذ كان قد شهد (أي البحتري) الحادثة كما وصف ذلك في قصيدة رثائه للمتوكل التي مطلعها :

(محلٌ على القاطولِ أخلقَ دائره وعادتُ صُروفَ الدهرِ جيشاً تعادَرُهُ)

فأحب أن يرحل إلى الإربان فيفرج كربه برؤية ما فيه من عجائب البناء وغرائب الصور والتأثيل .

(أُتْلَى عن الخطوطِ وآسى لحلٍ من آل ساسانِ دَرَسِ)

يريد (بالخطوط) حظوظ الدنيا وخيراتها التي تخطته إلى غيره من الناس فكان هو محروماً منها ، وهم المتمعنون بها . وكان حرماته إياها حاج في نفسه اللوعة والأسف وما كان ليخفف من برحائه ذلك إلا رؤيته مصائب غيره فيحزن لمصائبهم ، ويكون في طي ذلك الحزن شيء من تخفيف حزنه هو . على حد قول ابن دريد (وفي خطوب الناس للناس أُمِّي) . وقوله : (وآسى) أي أحزن (لحل) أي مكان حلول وإقامة وهو الإربان و (دَرَسِ) بفتح الدال الطريق الخفي والدرس بكسر الدال (وقد تفتح) الثوب البالي كالدريس وهو المراد هنا فيكون شبهه بلى القصر بلى الثوب . ويجمع (درس) بالكسر على أدراس ومنه قول أبي تمام :

(ما في زقونك ساعة من باس تقضي ذمام الأرمع الأدراس)

و (آل ساسان) هم الطبقة الأخيرة من ملوك فارس التي قضى عليها الإسلام .
وقد كتبت أفرادها في ذلك العهد كتبت أفراد ملوك الروس من آل رمانوس
وملوك الترك من آل عثمان في أقطار المعمور ، وكان بعض أولئك الساسانيين
يطوفون البلاد 'مكدين' 'مستجدين' . ويذكرون من نسبهم ما يرقى القلوب عليهم .
ثم أخذ السحاذون الآخرون ينتمون إلى ملوك ساسان كذباً واستدراراً لصدقات
الناس . ومن ثم يُسمى السحاذون (أبناء ساسان) أما كلمة ساسان فيقول
بعضهم في تحليلها إنها محرفة عن كلمتي (شاه شامان) أي ملك الملوك فعربت
شبهها إلى سين وخفت بحذف الماين فأصبحت (ساسان) . والمعنى أن البحتري
شخص إلى الإيوان ليسلي نفسه عن المخطوط التي فاتته برؤيه قصور آل ساسان
الدارسة البالية ويحزن ويرق لها ، ففي ذلك تخفيف لمهمة وحزنه .

(ذكرت قبهم الخطوب التوالي ولقد تذكّر الخطوب وتنسي)

ضمير (ذكرت قبهم) لآل ساسان و (التوالي) جمع نالية أي تابعة ولاحقة
ولعله يشير بالخطوب التوالي إلى الخطوب التي سبقت على الخلافة العباسية بقتل
المتوكل ، فهذه المصيبة النالية أي التابعة لخطوب آل ساسان ذكرته بآل ساسان
أنفسهم ، ومن أجل ذلك شدّ الرحال إلى آثارهم في عاصمتهم (المدائن) ليراها
ويرى قصرها الأبيض والخطوب التي حافت بها ويقارن بينها وبين الخطوب التي
نزلت ببغداد وقصرها (الجعفري) الذي جرت فيه حادثة قتل المتوكل . وقوله
(ولقد تذكّر الخطوب وتنسي) يريد أن خطوب الدهر أحياناً يذكّر بعضها
ببعض وأحياناً يغطي بعضها على ذكر بعض فينسي اللاحق السابق والمتأخر
المتقدم ، أو المعنى أن الخطوب تذكر بخطوب مثلها في الخطورة والشدة بينما هي
تنسي ما كان دورها في العظم والمول .

(وهم خائفون في ظل عال . مشرف يحسر العيون ويخشي)
 قوله (وهم خائفون) حال من الضمير في (ذكرتهم) أي ان الخطوب ذكرتني
 بآل سامان حالة كونهم (خائفين) أي وادعين آمنين ليئي العيش في قصورهم .
 و (عال) صفة لمحدوف . أي قصر عال يعني به الإيوان أو القصر الأبيض .
 و (مشرف) مرتفع ولشدة ارتفاعه يحسر عيون الناظرين إليه ويخشيها أي
 يردّها تحسراً كليله . فقوله (يخشي) بالياء في آخره أصله (يخشى)
 بالهمزة خُففت بقلبيها ياء . وهو من (أخشأ) تعديّة خَشَاَ البصر مخشوء
 و (يحسر) تعديّة (حَسَرَ) البصر حسوراً كلاماً بمعنى كَلَّ البصر وأعبا
 بحيث لم يعد يستطيع النظر ثانية . بقول إنه تذكرهم وهم ناعمون ترفون
 في إيوانهم الذي يردّه عنه الطرف كليلاً لارتفاعه .

(مغلّق بابّه على جبل القبق إلى دارتي خلاط ومكس)

- (مغلّق) بالجر صفة لقوله عال في البيت قبله أي ان ذلك القصر العالي
 أغلق بابّه على جبل (القبق) وهو جبل متصل باب الأبوأب وبلاد اللان في تخوم
 آذربيجان . وضبطه باقوت القبق بالسكون أما صاحب التاج فضبطه بتحريك
 الباء فكأنه الشاعر مكّنه للضرورة . وباب الأبوأب هي المدينة المسماة
 (در بند مروان) على الساحل الغربي من بحر الخزر ، فجبل القبق إذن هو جبل
 قفقاسيا المسمى أيضاً جبل الققج والقفجاق وكلها أسماء محرف بعضها عن بعض .
 أما ان القبق هو جبل قفقاسيا نفسه فيستدل عليه أيضاً من قول صاحب (مرصد
 الاطلاع) عند الكلام على مدينة (باب الأبوأب) - وسميت باب الأبوأب
 لأنها أفواء شعاب في جبل القبق وكل فم شعب باب يوصل الى قطار من الأقطار
 و (خلاط) مدينة مشهورة في أرمينية على ساحل بحيرة (وان) وهي ما زالت
 الى اليوم . . أما (مكس) فبضم الميم كما ضبط في معجم البلدان بالشكل قرية

عامرة في بلاد أرمينية أيضاً واقعة بين خلّاط وأرزروم . و (الدارة) كل أرض واسعة بين جبال . نخلّاط ومكس كلتاها واقعتان في دارتين ، والمعنى ان الأيوان مترامي الأطراف متشعب الباحات فمن دخله وأغلق بابه لا يظن أنه أغلق بابه على قصر بل على بلاد شامعة تمتد من جبال القيق الى بلاد خلّاط ومكس . وبينهما مسافات شامعة .

(حِلّال لم تكن كأطلال سُمدي في قنارٍ من البسابس مئس)
 (حِلّال) جمع حِلّة بكسر الحاء المنزل يحل به القوم ، والقوم الحالون في الحِلّة أنفسهم و (البسابس) جمع بسبس القفر . و (مئس) جمع أملس وهو ذو الملاسة . والملاسة النعومة . والنعومة إنما تأتي من عدم وجود شيء على سطح الجسم . فهذه القفار ملاء أي جرداء لا شيء على سطحها من شجر أو نبات . وقالوا (فلاة إملس ويبدئ أملبس) أي ليس فيها نبات .
 والمعنى أن تلك الحلال والمنازل التي كانت تسكنها الأكامرة هي ذات شأن وخطورة بالرغم من اندراسها وعفا أثرها وليست كذلك الأطلال المنقطعة في القفار الجرداء والتي يولع بذكرها شعراء العرب وينسبونها الى سُمدي ويكثرّون من وصفها والتغني بها : فشتان بين هذه الحلال ذات الروعة والهيبة والجمال . وتلك الحلال يحل سُمدي ولبنى والرباب التي ليس فيها من آثار الجمال سوى بحر الظباء . وأوناد الخيام . وأثافي المواقد . وكان البحتري يتكلم بلسان الشعبي الذي أوجب به أبو نواس مذ قال :

(عاج الشقي على رسم يسائه ومجت أسأل عن سخارة البلد)
 (يسكي على طلال الماضين من أسدر لا درّ درك قل لي من بنو أسد ؟)

(ومساعٍ لولا المحاباةُ مني لم تُطَقَّها مَسَاعَةٌ عَتَسَ وعَبَسَ)
 (مساعٍ) جمع مسعى ومسعاة بمعنى السعي لكنَّ المسعاة والمسعى السعي الشريف
 في عمل المكارم . كما أن السِعاية على العكس إذ يُراد بها النعيمة والوشاية .
 وأراد بالمساعي هنا مساعي الأكامرة وأعمالهم الجليلة التي نشاهد آثارها في
 بناء الإيوانات .

إِن البناء إذا تعاضم قدره أَضْحَى يدل على مقام الباني
 و (المحاباة) المسامحة والتساهل في الأمر وعدم التشدد فيه . و (عَنَسَ)
 اسم قبيلة مشهورة في اليمن و (عَبَسَ) قبيلة أخرى أشهر منها في الحجاز .
 كأن البحتري أدرك أنه في بيته الأول (حلال لم تكن كأطلال سعدى)
 كاد يزلق إلى الشعوية . ويخون أمته العربية . لذلك عاد فتماسك في البيت الثاني
 وقال (ومساعٍ لولا المحاباة مني انخ) يريد أن من تأمل في إيوانات كسرى
 آنسَ فيه مساعيَ فارسية مجيدة . ثم قال ولولا التساهل مني والتسامح لقلت
 إن قبائل قومي العرب كعنسٍ وعبسٍ لا تطبق أمثال تلك المساعي والأعمال
 أي إن للفرس أعمالاً مجيدة أكاد أقول إن العرب لا يطبقونها ، لكني لا أقول
 ذلك محاباةً لقومي . وميلًا إليهم . وإبقاءً على كرامتهم . ففي البيت إيجاز يكاد
 يخلُ بالمعنى تقديره أو تقويمه أن يقال هكذا : وللفرس مساعٍ لولا حبي لقومي
 لكنت قلتُ إنه لم تُطَقَّها مَسَاعَةٌ قبائلهم لكنني لا أقول ذلك محاباةً لقومي .
 على أن البحتري إذا لم يقل ذلك صراحةً فقد قاله ضمناً أو تعريضاً بحيث
 يوقع في نفس السامع أن الفرس يأتون من أعمال المجد بما لا تطيقه العرب :
 ففي البيت رائحة خبيثة من الشعرية ، إلا أن يكون المعنى هكذا (للفرس مساعٍ
 لولا مجاباتي لهم أي للفرس لقلتُ إن قومي العرب لا يطبقونها لكن مجاباتي
 للفرس جعلتني أقول إنهم يطبقونها) وليس حل المعنى على هذا الشكل بصحيح

لأنه صرح بالنفي مذ قال لم تطقها مسعاة عنس وعنس فالمعنى الأول هو الصواب ولعل البحرى تأثم من تهمة الشعوية فاضطرب ولم يعرف كيف يقول .

(نَقَلَ الدهرُ عهدَهن عن الجسدِ حتى غدون أنضاء لبس)

ضمير عهدهن يرجع الى الحيل (و (الأنضاء) جمع انضو بكسر أوله وهو كما يستعمل في معنى المزبل من الحيوان يستعمل في معنى الدريس البالي من الثياب وقد أجراه هنا وصفاً للجليل أي منازل ايوان كسرى و (لبس) بضم اللام مصدر لبس الثوب . والمعنى أن الدهر نقل عهد منازل الايوان وغير ما عن حالة الجدة حتى أصبحت مندرسة بالية إلى الثياب التي لبست كثيراً .

(فكانَ الجرمازَ من عَدَمِ الأُنسِ وإِخلاقِهِ بَنِيَّةٌ رَمَسُ)

(الجرماز) اسم قسم خاص أو جناح خاص من الايوان كما مر ، وقالوا في تعريفه إنه بناء عظيم كان عند (أيض المدائن) ثم درس أثره . وقوله (عدم الأنس) بضم الهزة ضد الوحشة كأنه قال من الوحشة ، أو هو بكسر الهزة بمعنى الناس وبمعنى الأنيس : وقوله و (إخلاقه) مصدر أخلق إذا بلى وهو معطوف على عدم الأنس وضميره يرجع الى الجرماز . والإخلاق أصله للثوب لكنه استعمله في يلى المكان وكثيراً ما استعملوا ألفاظ هذا في هذا . و (بنيّة) فعيلة من بنى يبنى أي مبنية . و (الرمس) القبر غير المستشرف وهو المستوي مع وجه الأرض . يقول ان قصر (الجرماز) أصبح لوحشته أو لعدم وجود الأنيس فيه ولا إخلاقه وذهب آثاره كالرمس الذي يبنى على مساواة سطح الأرض ، فما زالت تطؤه الأقدام ، وتتعاوده الرياح حتى اندرس وعفا أثره .

(لو تراه علمت أن الليالي جعلت منه مأتماً بعد عرس)

أي أنك اذا نظرت الى الجرماز خيل اليك أنه كان عرساً اجتمعت

فيه النساء يلهون ويرقصن ويغنين فحولته صروق الليالي الى مكان اجتمعت فيه النساء يسكرن ويندبن وينحن على الموتى من ساكنيه . ولو قيل (فيه مأتما) مكان منه مأتما لكان حسنا .

(وهو 'ينيك عن عجائب قوم لا يشاب اليات فيهم يلبس)
(اللبس) بفتح اللام بمعنى الالتباس والاشتباء يقول ابن الجرماز 'ينخبرك بعجائب من أمر هؤلاء القوم الذين بَنَوْه وأقاموا فيه . وبيان الجرماز (أي لسان حاله) وإفصاحه عنهم لا تشوبه شائبة التباس فيهم وفي ما وصفهم به من العظمة ورفعة الشأن وقوة السلطان : أو المعنى أن الجرماز 'ينخبرك بعجائب قوم لهم - بمجرد النظر الى آثارهم - بيان وإفصاح عن أمرهم وعمما كان لهم من العظمة ورفعة الشأن بحيث أن يباينهم عن أنفسهم هذا لا يشوبه التباس ولا اشتباء في صدقه ومطابقته للواقع .

(يتبع)

المغربي

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

- ١ -

(المدخل)

إن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للمسلمين اليوم ، وإن بلغ أهل السنة أضعاف الشيعة عدداً ، وإن أضر شيء في الأمة الواحدة هو العصية الموروثة والفرق القديم ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم شيء » . وقد كان ينبغي على كل من بدعي الحب والولاء للإمام علي (عليه السلام) أن يأخذ بأدبه وهدى به ، ويقف من محاربه عند حدود أمره ونهيه ، وما هي ذي أقواله وأعماله في « نهج البلاغة » وغيره .

لقد بايع علي للأئمة الثلاثة من قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعادية من بعده ، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، طبقاً لما أخبر به جده الصادق الأمين ، عليه وآله الصلاة والسلام . في (نهج البلاغة) أن علياً سئل عن الخوارج : أكفار هم ؟ قال : من الكفر قرؤوا ! قيل أمتناقضون ؟ قال : المتناقضون لا يذكر الله إلا قليلاً ، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ، قيل فما هم ؟ قال : قوم بغوا علينا فقاتلونا وقتلناهم . وفي (نهج البلاغة) أيضاً أنه قال - وقد سمع قولاً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام خربهم بصفين - : إني لأكره أن تكونوا سيئين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر .

قلت : ومعلوم من حال أهل السنة أنهم يقصون ما جرى بين الصحابة (رضي الله عنهم) ويصفون أعمالهم ، ويذكرون حالهم ، ولكنهم يؤولون التشاجر بينهم تأديبا معهم واحتراما لصحبته ، وحفظا لكرامتهم ، ولحسن بلائهم في نشر الدعوة الإسلامية . على أنه قد انتفت عصور الأمويين والعباسيين ، وأصحاب الجمل والنهروان وصفين ، وحسابنا وحسابهم على رب العالمين : وليس بضاري ما قد أتوه إذا ما الله أصلح مآلديهم .

وقد كنت قرأت كتاب (أوائل المقالات) للشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ) ومعه شرح عقائد شيخه ابن بابويه النقي المعروف بالصدوق (م ٣٨١ هـ) قرأت فيها بعض ما في غيرهما - كالكاظمي والتهذيب والوفاي - من الأحكام الصادرة : بالامن والتكفير والتجديد في النار ، إن أدرثوم الأرض والديار !! قلت : لاشك أن هذه الكتب تورث قراءها وغرأ وحقدا ، وعداء وبغضا ، وتنطق السنتهم بأفحش القول وأوحشه ، لرجال الصدر الأول فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة ، وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن ، ولم نر انتقادا ولا اعتراضا على الكتابين الأولين من صححهما ، وهم ثلة من أشهر مجتهدي الشيعة في عصرنا . بل رأينا حركة الطبع والنشر قد قويت في العراق وإيران والشام ، وصدرت منها كتب كثيرة ، في هذه الأعوام الأخيرة ، وكلها ردود على السنيين ، وزرابة على أهل المفاخر والمآثر في الإسلام ، وهي لا تعدو أمهات المسائل التاريخية التي وقعت في الصدر الأول والأحداث التي تلتها .

ولما كانت هذه الوقائع قد أحاط بها خبرا شيخ الشيعة الإمامية في عصره ابن المطهر الحلي (م ٧٢٦) في مؤلفه الذي سماه (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) وأجابه عنها واحدة فواحدة إمام السنة أحمد بن نعيم (م ٧٢٨) في

ردّه (منهاج السنة النبوية في تقض كلام الشيعة والقدرية) في أربعة أجزاء ، جاء الحافظ الذهبي (م ٧٤٨) واختصره بكتاب سماه (المنتقى) وقد حققه وعلق حواشيه ووقف على طبعه الكاتب الكبير السيد محب الدين الخطيب ، ('طبع سنة ١٣٧٤ هـ) . وقد أهديت منه نسخ إلى المجمع العلمي بدمشق ، ولبعض الفضلاء ، والمهدي هو الأستاذ السلفي الشهير الشيخ محمد نصيف عيسى أعيان الحجاز ، كما أهدى إلى المجمع العلمي وبعض أعضائه من كتب الشيعة أيضاً ، ومنهم كاتب هذه السطور ، وقد وصفنا بعضها في باب «التعريف والنقد» من مجلة المجمع .

ونصف الآن كتاب (المنتقى) الذي يقع في مجلد ضخيم يقرب من ستائة صفحة بالقطع المتوسط ، وهو يشتمل على فصول كثيرة في إمامة الخلفاء الراشدين ، وما ظهر على أيديهم من الخير العظيم . وبجمل القول : إن ابن المطهر بنفي الخصائص ، ويثبت النقائص ، للخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) ويتعقبه ابن تيمية فيثبت العكس ، وهما إماما السنة والشيعة في عصرهما ، وقد كتب من جاء بعدهما في موضوع الإمامة الكبرى ، ولكن الحملة قد اشتدت في هذا الزمن العصيب على السنين ، وإن اختلفت كتب الشيعة وردودهم في الأسلوب قوة وضعفاً ، وقسوة ولينا .

ولما كانت مجلة مجمعنا العلمي تعنى بنشر حقائق التاريخ ، مصفاة من الشوائب ، بعيدة عن عصبية المذاهب ، مسجلة ما يجب تسجيله من الوقائع والحوادث ، لا سيما ما كان بأفلام الأعلام - رأينا أن نثبت فيها شذرات من هذا الحوار ، مودة بنافية الاختصار ، ممتنة عن قراءة هذه الكتب التي ظهرت ومنظور في أمر الخلافة العظمى ، وما جرى بين الصحابة الكرام في شأنها . وقد افتن الناس بها ، وتمادوا من أجلها هذه القرون الطويلة ، ولكن أجوبة الإمام

ابن تيمية التي أوجزناها وأجملناها هنا بالكلم الوجيز كما سترها - جواباً من كل سني - ، وجعلنا كل ما نقلناه عن الأستاذ (الخطيب) بين قوسين . ونبدأ القول بإيراد فصل عقده كتاب (المتقى) في تقديم الخلفاء الأربعة بترتيبهم الزمني ، سلك فيه الإمام ابن تيمية طريقة المعقول ، الموافقة لصريح المنقول قال ^(١) (رحمه الله تعالى) :

(فصل) وهنا طريق يمكن سلوكها لمن له معرفة بالأخبار ، فإن كثيراً من العلماء يتعذر عليهم التمييز بين الصدق والكذب من جهة الإسناد ، وإنما ينهض بذلك جهابذة الحفاظ : "تَقْدَرُ أَنْ الْأَخْبَارِ الْمُنْتَازِعِ فِيهَا لَمْ تَكُنْ ، فَتَرْجِعْ إِلَى مَا هُوَ مَعْلُومٌ بِالتَّوَاتُرِ ، أَوْ بِالْعَقْلِ وَالْعَادَاتِ ، أَوْ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ : مِنَ التَّوَاتُرِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَطْلُبِ الْخِلَافَةَ بِرَغْبَةٍ وَلَا بِرَهْبَةٍ ، فَلَا بَذْلَ فِيهَا مَالًا ، وَلَا شَهْرَ عَلَيْهَا سِيفًا ، وَلَا كَانَتْ لَهُ عَشِيرَةٌ ضَخْمَةٌ وَلَا عَدَدٌ مِنَ الْمَوَالِي يَقُومُ بِنَصْرِهِ كَمَا جَرَتْ عَادَةُ طُلَابِ الْمُلْكِ ، بَلْ وَلَا قَالَ : بِابِعُوفِي ، وَإِنَّمَا أَشَارَ بِبَيْعَةِ عُمَرَ أَوْ بِبَيْعَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، ثُمَّ مِنْ تَخَلُّفٍ عَنْ مَبَايَعَتِهِ لَمْ يُوْذِهِ وَلَا أَكْرَهَهُ عَلَيْهَا كَسَمْعِ بْنِ عَبَادَةَ . ثُمَّ الَّذِينَ بِابِعُوه طَائِعِينَ ، هُمُ الَّذِينَ بِابِعُوا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَقَاتَلَ بِهِمُ الْمُرْتَدِّينَ ، وَفَارَسَ وَالرُّومَ ، وَثَبَّتَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ وَأَعْلَاهُ ، وَلَا أَكَلَ مِنْهَا وَلَا لَبَسَ إِلَّا كَعَادَتِهِ وَعَيْشِهِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الْيَقِينُ ، خَرَجَ مِنْهَا أَزْهَدَ مَا دَخَلَ فِيهَا ، وَلَمْ يَسْتَأْثِرْ فِيهَا بَشِيءًا عَنْهُمْ ، وَلَا آثَرَ فِيهَا قَرَابَتَهُ ، بَلْ نَظَرَ إِلَى أَفْضَلِهِمْ فِي نَفْسِهِ فَوَلَّاهُ عَلَيْهِمْ (وَهُوَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فَأَطَاعُوهُ كُلُّهُمْ فَفَتَحَ الْأَمْصَارَ ، وَقَهَرَ الْكُفَّارَ ، وَأَذَلَ أَهْلَ النِّفَاقِ ، وَبَسَطَ الْعَدْلَ ، وَوَضَعَ الدِّيَّانَ وَالْعِطَاءَ ، لَا زِمًا لَعِيشٍ مِنْ قَبْلِهِ فِي مَا كُلُّهُ وَمَشْرَبُهُ وَمَلْبَسُهُ ، حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا شَيْدًا لَمْ يَتَلَوَّثْ لَهُمْ بِمَالٍ ،

(١) (ص ٤٨٢) من المتقى .

ولا ولى أحداً من أقاربه ولاية ، هذا أمر يعرفه من يعرف وينصف . ثم بايعوا
عثمان كلهم طوعاً منهم ، فسار ، وبقي على أمر قد استقر قبله ، بسكينة وحلم ،
وهدى ورحمة ، وكرم وابن ، لكن لم تكن فيه قوة عمر ، ولا سياسته التي
بهزت العقول ، ولا كمال عدله الذي ملأ الوجود ، ولا فرط زهده الذي
ما ينكره إلا جاهل . فطمع فيه الناس بعض الطمع ، وتوسعوا في الدنيا ،
وكثرت عليهم الأموال ، ودخل - بسبب توليته أقاربه - عليه الداخل ،
وأنكرت منه أمور ما اعتادها الناس قبله ، وتولد من رغبة بعض الناس في الدنيا
- وضعف خوفهم من الله تعالى ، ومنه ومن ضعفه هو ، بالنسبة إلى كمال الدين
قبله ، ومما حصل من أقاربه في الولاية والمال ، ما استحكم به الشر ، وحرك
الفتنة ، حتى قتل مظلوماً ، وذبحوه صبرا .

فتولى علي رضي الله عنه والفتنة قائمة ، وأثمهم بالتخلي عن عثمان حتى قتل ،
وبعضهم اتهمه بدمه ، والله يعلم براءته من دمه : ثبت عنه أنه لم يرض بقتله
ولا أعان عليه ، فلم تصف قلوب كثير منهم ، ولا أمكنه هو قهرهم حتى
يطيعوه ، ولا اقتضى رأيه الكف عن القتال حتى ينظر ما يؤول إليه أمره
كما أشار عليه ولده الحسن .

فظن أن الطاعة تحصل ، والأمة تجتمع بالقتال ، فما زاد الأمر إلا شدة
واقترافاً ، حتى خرج عليه من جنده ألوف ومرقوا ، وكفروه وقائلوه قاتلهم الله ،
حتى كان في آخر أمره يطلب هو الكف عن القتال من لم يطعه ، فكان آخر
الخلفاء الراشدين الذين ولايتهم خلافة النبوة .

ثم آل الأمر إلى معاوية أول الملوك كما قال عليه الصلاة والسلام « الخلافة
بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً » وسيرة معاوية من أجود سيرة الملوك
بالنسبة » اهـ .

هذه فلسفة عقلية للامام ابن تيمية في شأن الخلافة الإسلامية ، وتولية الخلفاء الراشدين الأربعة ، وقد جاءت طبيعية كما ترى . ومن هنا نبتدى بذكر نماذج من الحوار الذي دار بين ابن المطهر وابن تيمية ، جاعلاً إياه على طريق السؤال والجواب ، مجرداً عن التنازع بالألقاب ، لتجلى شمس الحقيقة للناظرين ، لا بغشاها حجاب ولا سحباب ، ونرمز للأول بحرف الميم ، وللثاني بحرف الناء .

(ابن المطهر) : « إن مذهب الإمامية واجب الاتباع . . . أخذوا دينهم عن المعصومين ، وغيرهم اختلفوا ، وتعددت آراؤهم وأهواؤهم ، فمنهم من طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وتابعه أكثر الناس طلباً للدنيا » .

(ابن تيمية) : هذا الصنف هو أشرف الأمة ، وقد قال سبحانه في شأنهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض » الآية . فوعدم الاستخلاف ، وأخير برضاء عنهم ، وبأنهم متقون ، وبأنه أنزل السكينة عليهم . وهذه النوع منطبقة على الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، فانه إذ ذاك الزمان حصل لهم الاستخلاف ، وتمكين الدين والأمن بعد الخوف ، الى أن قهروا فارس والروم ، وافتتحو الشام والعراق ، ومصر والمغرب وخراسان وأذربيجان وغير ذلك . فلما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئاً ، بل طمع فيهم الروم وغيرهم . . . وأريق الدماء ، فأين ما بعد قتله عما قبله ؟ ؟

(م) فاذا قلت : إن أبا بكر ومبايعيه طلبوا الدنيا والرياسة .

(ت) (فالجواب . أن أبا بكر) : يوبع باختيارهم بلا سيف ولا عصا ، واستوسق له الأمر فلم يول أحدًا من أقاربه ، ولا خلف لورثته مالا ، وأتفق مالا كثيراً في سبيل الله ، وأوصى الى بيت مالهم ما كان عنده ، حتى قيل : يرحمك الله أبا بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك ، وما قتل مسلم على إمارته ، بل قاتل بالمسلمين المرتدين والكفار ، فلما احتضر استخلف على الأمة القوي

الأمين البقري (عمر) لا لقراية ولا لنسابة ولا لدنيا ، بل اجتهد للمسلمين ، فحمدت فراسته وشكر نظره ، بالذي افتتح الأعمار ، ونصب الديارات وملا بيت المال ، وعم الناس بالعدل ، مع ملازمته لحدي صاحبه وخشونة عيشه ، وعدم توليته أقاربه ، ثم ختم الله له بالشهادة .

(م) تقلك عن أهل السنة : أن العبد لا تأثير له في الكفر والمعاصي :
(ت) تقل باطل ، بل جمهور من أثبت القدر يقول : إن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وإن له قدرة واستطاعة ، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية ، بل يقرّون بما دل عليه الشرع والعقل من أن الله يخلق السحاب بالرياح ، ويتزل الماء بالسحاب ، وينبت النبات بالماء ، والله خالق السبب والمسبب .

(القول الثاني) أن الظلمة قدور لله منزّه عنه كتمذيب الإنسان بذنب غيره ، كما قال تعالى : « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً » وهو لا يقولون : الفرق بين تمذيب الإنسان على فعله الاختياري وغير فعله الاختياري مستقر في فطر العقول ، ويقولون : الاحتياج بالقدر على الذنوب مما يعلم بطلانه بالعقل ، فإن الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدر أيضاً فالاحتياج على فعل المعاصي بالقدر باطل باتفاق الملل والعقلاء ، وإنما يحتج به من اتبع هواه كما قيل : أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري ، أي مذهب وافق هواك تمذهب به ، ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش لم يحسن أن يلوم أحداً أحداً ، ولا أن يعاقب أحد أحداً .

(م) وذهب من عدا الإمامية والإسماعيلية إلى أن الأنبياء والأئمة غير معصومين ، فجوزوا بئس من يجوز عليه الكذب والسهو والسرقة .

(ت) ما ذكرته عن الجمهور فيه تجويز ذلك على الأنبياء (باطل) فإنهم متفقون على عصمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الرسالة ، وطاعتهم واجبة

إلا عند الخوارج ، واليهود يجوزون عليهم الصفائر وانهم لا يقرّون عليها .
وأما عصمة الأئمة فنعم كما قال ، لم يقل بها إلا من ذكر ، وناهيك بقول
عريّ عن الحجة ، قالوا : إن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك
من المصلحة واللفظ ، قلنا : فهذا الغائب المنتظر المنقود لم يحصل به شيء من
المصلحة واللفظ سواء كان ميتاً كما تقول ، أو حياً كما تزعمه الإمامية . .
ثم لم يحصل بعده أحد من الاثني عشر له سلطان إلا علي كرم الله وجهه .
ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف والمصلحة التي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء
الثلاثة أعظم مما كان في زمانه من الفرقة والفتنة والقتال ، والله قد أمرنا بالرد
عند التنازع إلى الله والرسول ، ولو كان للناس معصوم غير الرسول لوجه الرد إليه .
(م) وهم يرون القول بالقياس والرأي ، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه ،
وحرفوا أحكام الشريعة ، وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي (ﷺ)
وأهملوا أقاويل الصحابة .

(ت) فالجواب أن هذا وارد عليكم ، فالزبدية تقول بالقياس ، ثم قوله :
« أدخلوا في دين الله ما ليس منه » فهذا ليس في طائفة أكثر (من الإمامية) . . .
حيث قالوا « مرج البحرين » علي وفاطمة « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » الحسن
والحسين « في امام مبين » علي « وآل عمران علي العالمين » آل أبي طالب وسماؤ .
أيا طالب عمران ، « والشجرة الملعونة » بني أمية « أن تذبجوا بقره » عائشة « لئن
أشركت ليجفن عمالك » لئن أشركت بين أبي بكر وعمر ، ونحو ذلك مما
وجدته في كتبهم ، ومن ثم دخلت الإسماعيلية في تأويلات الواجبات والحرمات .
(م) وأحدثوا مذاهب أربعة ، وأهملوا أقاويل الصحابة !

(ب) متى كانت مخالفة الصحابة منكراً عنكم ؟ ومن الذي يخالف إجماع
الصحابة نحن أو اتم ؟ ومن الذي كفرهم وضللهم ؟ . . . انه لم يكن في

العترة النبوية - بني هاشم - على عهد رسول الله (ﷺ) وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) من يقول بإمامة اثني عشر ، ولا بعصمة أحد بعد النبي (ﷺ) ولا بكفر الخلفاء الثلاثة ، بل ولا من يطعن في إمامتهم . وأما المذاهب فإن الأربعة لم يكونوا في وقت واحد . ولا كان فيهم من يقلد الآخر ، ولا من أمر الناس باتباعه ، بل كان كل منهم يدعو إلى متابعة الكتاب والسنة ، ويرد على صاحبه ، وإن قلت أن الناس اتبعوا الأربعة فهذا أمر اتفاني . . . والأربعة لم يحتدوا علماً لم يكن . . . ثم لم يقل أهل السنة إن إجماع الأربعة حجة معصومة ، ولا أن الحق منحصر في قولهم ، وأن ما خرج عنه باطل ولا شك أن القياس فيه فاسد ، وليس بوجب بطلان جميعه ، كما أن وجود الموضوعات في الروايات لا يوجب بطلان جميع الحديث .

(الشيخ الإسلام رسالة في بيان القياس الصحيح والقياس الفاسد ، ولتلميذه الإمام شمس الدين بن القيم تحقيق واسع في ذلك ، وسبق لنا جمعها في كتاب عنوانه « القياس في الشرع الإسلامي » (الخطيب)

(م) ثم ذكر (أي ابن المطهر) حديث ابن عمر : « يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي . . . الحديث » .

(ت) قلنا : ذا حجة عليكم ، فإن لفظه « يواظب اسمه اسمي » واسم أبيه اسم أبي « يعني اسمه (محمد بن عبد الله) لا (محمد بن الحسن) » . ثم قد روي عن علي (رضي الله عنه) أنه من ذرية الحسن ، لا الحسين .

(م) فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال .

(ت) إن دعوى العصمة في هؤلاء لم يذكر عليها حجة إلا ما ادعاه من أنه يجب على الله أن يجعل للناس إماماً معصوماً ، ليكون لطفاً ومصلحة في التكليف . وقد تبين فساد هذه الحجة من وجوه أدناها أن هذا - أي اللطف والمصلحة -

مفقود لا موجود ، فانه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة ، ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلا المنتظر الذي قد علم بصريح العقل أنه لم ينتفع به أحد لا في دين ولا دنيا ، ولا حصل لأحد من المكلفين به مصلحة ولا لطف ، لكان هذا دليلاً على بطلان قولهم فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك ؟

(م) لم يتخذوا ما اتخذه غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك والمعاصي .

(ت) كلام باطل ، فان علماء أهل السنة المعروفين بالعالم عند أهل السنة متفقون على أنه لا يقتدى بأحد في معصية الله ، ولا يتخذ إماماً في ذلك ، وان أراد أن أهل السنة يستعينون بهؤلاء الملوك فيما يحتاج اليه في طاعة الله ، ويماونونهم على ما يفعلون من طاعة الله ، فيقال له : ان كان اتخاذهم أئمة بهذا الاعتبار محذوراً ، (فالإمامية) أدخل منهم في ذلك [والنصير الطوسي شيخ المؤلف مثل واضح على استعانة علمائهم بالملوك الكفار والتجار . وإعانتهم والعمل في خدمتهم . وهو المشلول مع عدو الله ابن العلقمي ومشاره ابن أبي الحديد ، عن الشيخ العام الرهيب الذي ارتكبه الوثني هلاكه في أمة محمد (ﷺ) سنة ٦٥٥ عند استيلائه على جامعة الاسلام بغداد بخيانة ابن العلقمي ومشاره ، وتجريص هذا الفيلسوف) .

(م) ومنع أبو بكر فاطمة إرثها ، والتجأ الى رواية انفراد بها ، وكان هو الغريم لها ، لأن الصدقة تحمل له ؟ لأن النبي (ﷺ) قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » على ما رووه عنه .

(ت) بل رواه - أي هذا الحديث - عن النبي (ﷺ) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن بن عوف والعباس ، وأزواج النبي (ﷺ) وأبو هريرة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

وقوله : كان الغريم لها : إن أبا بكر لم يدع التركة لنفسه ، وإنما هي صدقة

لستحقها . وأيضاً فتيقن الصحابة ، وأولهم علي رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) لا يورث ، ولهذا لما ولي علي الخلافة لم يقسم تركته النبي (ﷺ) ولا غيرها عن مصرفها ، وعموم آية الميراث قد 'خص' منه هذا ، وأنه لا يرث الكافر ، ولا القاتل عمداً ، ولا العبد وغير ذلك . ثم إن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) قد أعطيا علياً وبنيه (رضي الله عنهم) من المال أخفاف ما خلفه النبي (ﷺ) . وما خلفه النبي (ﷺ) فقد سلمه عمر إلى علي والعباس (رضي الله عنهم) بليانه وينعلان فيه ما كان النبي (ﷺ) يفعله ، وهذا مما ينفي التهمة عن أبي بكر وعمر .

[لو كان إرثنا لما كان منحصرأً بفاطمة ، بل هو إرث زوجاته أمهات المؤمنين أيضاً ، فالذي وقع لفاطمة من أمر الإرث المزعوم وقع مثله لعائشة وحفصة وصائر أمهات المؤمنين ، ووقع مثله لعمه العباس . . . ومع ذلك فأت ربع فذك وخمس خير أبيع لآل البيت بأكلون منه حاجتهم ، كما كانت الحال في حياته (ﷺ) والباقي صرف حيث كان يصرف النبي (ﷺ) ما زاد عن حاجته منه] .

(م) وأجمعوا على قتل عثمان !

(ت) إن الجمهور لم يأمرؤا بقتله ، ولا رضؤه ، ولم يكن أكثر المسلمين بالمدينة ، بل كانوا بالأمصار - من بلد المغرب إلى خراسان ، - ولم يدخل خيار المسلمين في ذلك ، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض ، من أوباش القبائل ورؤوس الشر . وعن علي قال : اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل ، غاية ما يقال : انهم لم ينصروه ، وقتروا عن إعائته بما رأؤه ، وما ظنؤوا أن الأمر يبلغ إلى قتله .

ومن المعلوم أن المسلمين أجمعوا على ييمة عثمان ، وما أجمعوا على قتله ، فهلاً كان الإجماع على بيعته حقاً لتيقن الإجماع عليها ؟ ؟ . . . إن عثمان من

أعيان السابقين الأولين من المهاجرين ، من طبقة عليّ وطلحة والزبير ، وهو خليفة للمسلمين أجمعوا على بيعته ، بل لم يشهر في الأمة سيفاً ولا قتل على ولايته أحداً [ولما جاء البغاة المدينة للبغي عليه ، كانت جيوش عثمان ، ورجال الكفاح من الصحابة كلهم في ميادين القتال في الغرب والشرق إلى أعمال آسيا التي يحكمها السوفيت الروس]^(١) .

(م) ان النبي (ﷺ) لن معاوية الطليق ابن الطليق ، وقال : إذا رأيتهم على منبري فاقتلوه .

(ت) هذا الحديث ليس في شيء من كتب الاسلام ، وهو عند الحفاظ كذب ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات . [وقد رأى الحسين وغيره من الصحابة على المنبر النبوي ، وصاروا كلهم وراة ، لأنه كان إمامهم ، وخليفة رسول الله فيهم] . وأما قولك الطليق ابن الطليق ، فما هذا بصفة ذم ، فإن الطلقاء غالبهم حسن إسلامهم ، كالحارث بن هشام ، وابن أخيه عكرمة ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين . ومعاوية ممن حسن إسلامه ، وولاه عمر بعد أخيه يزيد ، ولم يكن عمر والله ممن مجابي ، ولا تأخذه في الله لومة لائم . ثم إن معاوية بقي على دمشق وغيرها عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ، ورعيته يجبرونه لإحسانه وحسن سياسته وتأليفه لقلوبهم .

(١) دخل الروس على أيدي الصحابة الكرام في دين الله أفواجا . وقد لقي محمدنا النبي دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م . واجتمعت أنا هناك باخواني المسلمين ، وصليت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا مقسم ابن الميلاس (رضي الله عنهما) في سمرقند وشاهدنا جامع لنين كراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة «تويأب» الله إلا أن يتم نوره .

(محمد بهجة البيطار)

(م) وقاتل عليا وعلي عندهم رابع الخلفاء ، إمام حق ، وكل من قاتل إمام حق ، فهو باغ ظالم .

(ت) قلنا نعم ، والباغي قد يكون متأولاً معتقداً أنه على حق ، وقد يكون بغية مركبا من تأويل وشهوة وشبهة ، وهو الغالب ، وعلي كل تقدير فهذا لا يرد ، وإنا لا ننزه هذا الرجل ولا من هو أفضل منه عن الذنوب ، والحكاية مشهورة عن المسور بن مخرمة أنه خلا بمعاوية ، فطلب منه معاوية أن يخبره بما ينقمه عليه ، فذكر المسور أمورا ، فقال (أي معاوية) يا مسور ألك سيئات ؟ قال نعم . قال : أترجو أن يغفرها الله ؟ قال نعم ، قال : فما جعلك أرجى لرحمة الله مني ؟ وإني مع ذلك والله - ما خيرت بين الله وبين سواء إلا اخترت الله على ما سواه ، والله لما أليه من الجهاد ، وإقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفضل من عمالك ، وأنا على دين يقبل الله من أهله الحسنات ، ويتجاوز لهم عن السيئات .

ثم أهل السنة تقول : الإمام الحق ليس معصوماً ، ولا يجب على الإنسان أن يقاوم معه كل من خرج عن طاعته . ولا أن يطيعه الإنسان فيما يعلم أنه معصية ، وأن يتركه أولى ، وعلي هذا ترك جماعة من الصحابة القتال مع علي لأهل الشام .

(م) إن معاوية قتل جمعا كثيراً من خيار الصحابة .

(ت) الذين قتلوا من الطائفتين ، قتل هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء . وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون عليا ولا معاوية . وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلب لكف الدماء من أكثر المقتولين ، لكن غلبا فيما وقع . والفتنة اذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها .

(م) وتمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقد إمامة يزيد ، مع ما صدر عنه من قتل الحسين ، وسي نساته في البلاد على الجمال بغير قتب ، وزين العابدين مغلول .

(ت) أما يزيد فلم يأمر بقتل الحسين ، باتفاق أهل النعل ، ولكن كتب الى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق ، ولما أراد الحسين (رضي الله عنه) أن يخرج الى أهل العراق - لما كاتبوه كتباً كثيرة - أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر ، وابن عباس أن لا يخرج ، وغلّب على ظنهم أنه يقتل ، حتى أن بعضهم قال : أستودعك الله من قتيل ، وقال بعضهم : لولا الشناعة لأمسكتك ، ومنعك من الخروج . وهم بذلك قاصدون نصيحته ، طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين ، فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك ، إذ لم يكن في الخروج مصلحة ، لا في دين ولا في دنيا ، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله (ﷺ) حتى قتلوه مظلوماً شهيداً . (ثم) إن عنت باعتقاد إمامة يزيد أنه كان ملك وقته ، وصاحب السيف كأمثاله من المروانية والعباسية ، فهذا أمر متيقن ، وحكم يزيد على حوزة الاسلام سوى مكة ، فانه غلب عليها ابن الزبير ، وامتنع عن بيعه يزيد ، ولم يدع إلى نفسه حتى بلغه موت يزيد ، وهذا معنى كونه إماماً ، وخليفة وسلطاناً ، وأما كونه برّاً أو فاجراً ، مطيعاً أو عاصياً ، فذاك أمر آخر ، فأهل السنة إذا اعتقدوا إمامة الواحد من هؤلاء : يزيد أو عبد الملك أو المنصور أو غيرهم ، كان بهذا الاعتبار . وكذلك كونه عادلاً في جميع أموره مطيعاً في جميع أفعاله ليس هذا اعتقاد أحد من المسلمين ، وكذلك وجوب طاعته في كل ما يأمر به ، وإن كان معصية لله ليس هو اعتقاد أحد من المسلمين ، ولكن مذهب أهل السنة والجماعة أن هؤلاء يشاركون فيما يحتاج اليهم فيه من طاعة الله .

وكان قتل الحسين (عليه السلام) مما أوجب الفتن ، كما كان قتل عثمان (رضي الله عنه) مما أوجب الفتن ، وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي (ﷺ) من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد

في المماش والمعاد ، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد ؛ ولهذا أنى النبي (ﷺ) على الحسن بقوله : (إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) ولم يُثنِ علي أحد لا بقتال في فتنه ، ولا بخروج علي أئمة ، ولا تزعج بد من طاعة ، ولا بفارقة الجماعة . وقد ثبت في البخاري من حديث ابن عمر عن النبي (ﷺ) : « أول جيش يغزون القسطنطينية مغفور لهم » فأول من غزا القسطنطينية جيش بهتهم معاوية وعليهم ابنه يزيد ، وفيهم من سادات الصحابة أبو أيوب الأنصاري ، فحاصروها .

(م) وأما قوله (أي ابن المطهر) « السي والجل على جمال بلا أفتاب » . (ت) (فالجواب) : ما استعملت أمة محمد (ﷺ) سي هاشمية ، وإنما قاتلوا الحسين خوفاً منه ، ومن أن يزبل عنهم الملك . فلما استشهد فرغ الأمر ، وبعث بآله إلى المدينة ، ولا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب ، وفاعله والراعي به مستحق للعقاب . لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه ، وقتل زوج أخته عمر ، وقتل زوج خاله عثمان .

(م) ومنها (أي من فضائل علي كرم الله وجهه) ما رواه أحمد بن حنبل أن أنساً قال لسمان : سأل النبي (ﷺ) من وصيه ؟ فسأله ، فقال : يا سمان من كان وصي موسى ؟ قال : يوشع ، قال : فان وصي ووارثي علي . (ت) هذا الحديث موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل . وأحمد قد صنف كتاباً في فضائل الصحابة ، ذكر فيه فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجماعة من الصحابة ، وذكر فيه ما روي في ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك .

[نقل المامقاني في كتابهم تنقيح المقال (٢ : ١٨٤) عن محمد بن عمر الكشي - رأس علمائهم في الجرح والتعديل ، وأول من فتح لهم باب التأليف فيه - مانصه : « وذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ، ووالى علياً ؛ وكان يقول - وهو على يهوديته - في يوشع بن نون (وصي موسى) فقال في إسلامه في علي مثل ذلك » فهذا نص عنهم صريح صحيح بأن مخترع لقب (الوصي) لهي هو عدو الله بن سبأ . وما دام خبر أنس عن سلمان مكذوباً من أساسه كما ستري ، فإن الخبر اليقين هو الذي نقله المامقاني عن الكشي عن علمائهم أن صاحب الحق في هذا الاختراع هو ابن سبأ اليهودي .

وبذلك برأ الله نبيه من هذه التهمة كما برأ صاحبيه أنسا وسلمان ، بل برأ الله آخر رسالاته من أن توجه بهذا الاحتكار الذي تكون فيه الأمة بتيمة مسلوقة التصرف ، تحت أوصياء من البشر ، آخروهم لم بلد ولم يولد ، وهي . . من بعد نائمة خائفة راسفة في قيودها بين الأمم ، بينما رسالة الإسلام جاءت لتحرير الإنسانية كلها ، وإطلاق العقول في الأخذ عن ينبوع هذه الهداية العظمى بالغة راشدة . لبس عليها قيم ولا وصي إلا هذا الشرع العالي القويم] .

(يتبع)

محمد بهجة البيطار

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٥ -

نشأة « التصريف » وأثر ابن جني رحمه الله فيه :

علم التصريف أو علم الصرف هو صنو علم النحو وأخوه ، وكما أن النحو قد وجد لما أراد العلماء طرد القواعد لضبط أواخر الكلمات ونفي الشواذ ، كذلك وجد علم الصرف لما أراد العلماء ضبط صيغ الاشتقاق وطردها فوضعوا هذه القواعد العامة في الاشتقاق والابدال والاعلال ^(١) وما إلى ذلك .

(١) نحب أن نذكر هنا رأي بروكلمان في نشأة هذين العلمين حيث يقول ما ترجمته :
أوائل النحو والصرف ستبقى مجهولة إلى الأبد لأن أملنا قليل بالشروع على نصوص أقدم من النصوص التي بين أيدينا ؛ فلا يمكننا إذن أن نعرف أي مقدار أخذه النحاة العرب عن سبقهم من النحاة الأقدمين . يقول الأستاذ Braunlich براونليكي إن تأثير الأقدمين على النحو العربي لم يبدأ إلا مع سيويوه وإن من كان قبله من العلماء - كالحليل - كانوا عربياً أقصاحاً ، ولا يمكننا أيضاً أن نعتبر أن الحليل هو الواضع فقد كان قبله آخرون ؛ أما قصة أبي الأسود فهي إلى الخرافة أقرب منها إلى أي شيء آخر .

أما التصريف فيقولون إنه نشأ مع معاذ بن مسلم الهراء (- ١٨٩ أو ١٩٠) وليس معاذ إلا غويماً [انظر التهمة : ٦٤ وابن خلكان : ٩١/٢ والبنية : ٢٩٣] وقول ابن فارس في الصحاح : ٤٢٠ . إن علم العربية خال من أي تأثير أجنبي غير صحيح وقد بحث ذلك مفصلاً Bravmann براومان في رسالته عن الحروف والمصادر العربية وقد طُبعت في برسلو سنة ١٩٣٤ .

والئن كان للنحاة أثر عظيم في جمع قواعد العربية وضبطها هذا الجمع والضبط المتينين فإن للصرفيين أثراً أعظم في استنباط هذه القواعد العامة التي يعرف بها كيفية اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول ، والمصدر الميمي واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة واسم التفضيل وليس من شك في أن العرب الأقدمين لم ينطقوا بكل مشتقات مادة بعينها ولكن الصرفيين هم الذين أعطونا المفتاح الذي به استطعنا أن نقيس ونشتق هذه الأسماء .

وان هذا الاشتقاق هو الذي وسع مواد اللغة العربية ، فقد نقل عن الامام سيويه أن التصريف « هو أن تبنى من الكلمة بناء لم يبنه العربي على وزن ما يبنيه ، ثم يعمل في البناء الذي يبنيه ما يقتضيه القياس » ^(١) . وقال ابن جني : التصريف هو أن تأتي الى الحروف الأصول فتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير ^(٢) . وهذا التعريفات يبينان لنا بوضوح أثر علم التصريف والصرفيين في توسيع اللغة العربية .

وليس من شك في أن هذا العمل الجليل لا يستطيع القيام به إلا عقل قد أوتي جانباً عظيماً من العمق وحب التنظيم وطرده الشواذ وكثرة الاطلاع على آثار العرب وفهم أشعارهم وكلامهم فهماً دقيقاً يكون لصاحبه ملكة الابداع والتصرف فيه .

وقد اجتمعت هذه الشروط في أئمة النحو البصريين الذين كانوا - الى علمهم الواسع بالعربية ولغاتها - على جانب عظيم من الذكاء وحب للجدل والكلام في أصول الدين .

قال أستاذنا العلامة الجليل ابراهيم مصطفى : « حينما بدأ الفقه في الكوفة كانت البصرة صبت الى الكلام في أصول الدين وأصول الفقه وكان مجلس

(١) انظر كتاب اصطلاحات الفنون للتهانوي ج ١ ص ٩٢١ طبع الاستانة .

(٢) التصريف اللوكي ص ٢ .

الحسن البصري يفيض بال مناقشات الدينية حول العقائد وأصول الدين والفن التي غشيت المسلمين ، ومن تلك الحلقة نشأ واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما من رؤوس المتكلمين ، ولم يكن للكوفة مثل هذا الحظ بل استعاضت عنه بدرس الفقه وتأصيله وتأسيس قواعده وذلك في مدرسة أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر ومحمد وابن أبي ليلى ، ثم أخذت الكوفة في جمع الأشعار وتدوينها وكان حظها من ذلك عظيماً قام به المفضل الضبي وحماد الراوية وأبو عمرو الشيباني^(٢) » في تلك البيئة البصرية الحكيمة نشأ علم النحو كما نشأت فيها أدائل علم التصريف .

وقد كان النحاة الأولون كعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (- ١١٧) وعيسى بن عمر الثقفي (- ١٤٩) وأبي عمرو بن الدلاء (- ١٥٤) والخليل بن أحمد (- ١٨٠) وسيبويه (- ١٨٣) يمزجون أبحاث النحو بالتصريف كما نجد ذلك في كتاب سيبويه . ويزعم الكوفيون أن أول من بحث في التصريف بحثاً مستقلاً هو إمامهم معاذ بن مسلم المراء (- ١٨٧) وأن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد هجاه لما رآه يبحث في التصريف فقال :

قد كان أخدم في النحو بمعجني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم .
لما سمعت كلاماً لست أفهمه كأنه زجل الغربان والبنوم .
تركت فحوم والله يعصني من التعجم في تلك الجرائم .

وقد رد معاذ بن مسلم على أبي مسلم هذا في أبيات ثلاثة . ويعلق السيوطي على هذه الحكاية بقوله : (ومن هنا لجأت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا)^(٣) .

(١) من محاضرات للأستاذ إبراهيم معطني ألقاها في كلية الآداب بالجامعة المصرية

عام ١٣٢ - ١٣٣ . .

(٢) البنية ص ٣٩٣ .

قلت : ولا شك في أن الأقدمين من البصريين والكوفيين جميعاً كانوا يبحثون في مسائل علم التصريف ، ولكن يظهر أن معاذاً هو أول من أكثر من البحث والتعمق فيه . وأول من ألف فيه من البصريين أبو عثمان بكر بن محمد المازني ^(١) (٢٤٧ -) كما أن أول من ألف فيه من الكوفيين هو الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الباهلي (٢٠٢ -) . أما الفراء فكان كما يقول الزبيدي في طبقاته : هو أبرع الكوفيين في علمهم وله كتب حسنة في القرآن وغيره . وقال ابن النديم : كان شديد العصية على سيوبه وكان يتفلسف في تصانيفه ^(٢) . وله من الكتب في علم التصريف : (المصادر في القرآن) و (الجمع والتثنية في القرآن) ، و (المقصور والممدود) و (أفعل وفعل) و (المذكر والمؤنث) ^(٣) ، ولم يبق من آثاره هذه إلا كتاب معاني القرآن ^(٤) ، ويظهر أن رسائله هذه كانت إلى البحوث اللغوية أقرب منها إلى البحوث الصرفية ولذلك لا ينبغي أن يعتد بها كثيراً في تاريخ نشأة علم التصريف ، وأما المازني ، الذي لم يكن بعد سيوبه أعلم منه بالعربية ^(٥) ، فقد أبقى لنا كتاباً في التصريف يشهد بسعة علمه وتعمق بحثه ونحن إذا قرأنا هذا الكتاب علمنا أن المازني ، هو إمام الصرفيين غير مدافع ^(٦) وقد وقع لنا كتابه العظيم بشرح ابن جني وهو من أجل ما ألف في هذا العلم . وكان أستاذنا العلامة إبراهيم مصطفى

(١) البنية : ٢٠٢ .

(٢) الفهرست : ١٠٠ وطبقات النحاة للزبيدي مخطوطتان ص ١٧ رقم الترجمة (٦٤) .

(٣) مفتاح السادة لطاش كبرى ١٤٤/١ .

(٤) انظر تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١١٨/٢ .

(٥) بغية الوعاة : ٢٠٢ .

(٦) من الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة أخرى في مكتبة كلية الآداب من الجامعة المصرية .

يعنى به من زمن حتى أخرجه للناس هذا العام مطبوعاً مع شرح ابن جني جزاء الله خير الجزاء (١) .

ومن البصريين الأول الذين لهم أثر في علم التصريف الإمام أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج (- ٣١١) وله كتاب (الاشتقاق) وكتاب (فعات وأفعات) (٢) ؛ والإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (- ٣٢١) وله كتاب (الاشتقاق) وقد ذكر فيه اشتقاق الأسماء العربية وعماؤها وأنحازها وبطونها وصاداتها وشعرائها وفرسانها (٣) ؛ ومنهم ابن ولاد أبو الحسن محمد بن الوليد التميمي العالم المصري (- ٢٩٨) (٤) ومن آثاره الصرفية كتاب (المقصور والمدود) وهو خير ما كتب في هذا البحث (٥) .

وجاء بعد هذه الطبقة الإمامان الجليلان أبو الحسن الرماني وابن جني . وقد تقدم الكلام عن الرماني وإنما نريد هنا أن نشيد بأثره في علم التصريف بالكتاب المفيد الذي شرح به كتاب تصريف المازني المسمى بالآلف واللام (٦) . وأما ابن جني فهو كما رأيت البحر العباب الذي يروع في التصريف براعة عظيمة ، وأنت إذا قرأت كتاب (النصف) في شرح تصريف المازني أو (سر الصناعة أو (التصريف الملوكي) وجدت أن الصرفيين بعده لم يزدوا شيئاً على ما . ب في هذا العلم ، قال أستاذنا ابراهيم مصطفى . : « وتعلمون

(١) نشرته وزارة المعارف المصرية برئاسة الأستاذ ابراهيم مصطفى والسيد عبد الله - أمين في مطبعة الباني الحالي سنة ١٩٥٤ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) وقد طبع برئاسة بعض المستشرقين في غوتنغن سنة ١٨٥٤ .

(٤) انظر أخباره في طبقات الزبيدي مخطوحتنا ص ٢٧ ورقم الترجمة (١٦١) .
والبنية : ١١٢ .

(٥) طبع في مصر سنة ١٩٠٨ .

(٦) البنية : ٣٤٤ ومفتاح العلوم ١٤٢/١ ؟

أن ابن جنّي هو بلا خلاف أفضل من بحث في الصرف . وإذا علمنا أن الصرف بدأ برسالة المازني علمنا أن الصرف هو علم هذين الإمامين ويمكن أن نستشهد على فضل كتاب المازني وشرح ابن جنّي بما نراه في كتب اللغة قبله كالعين مثلاً من اضطراب ووضع للكلمات في غير مواضعها كما يلاحظ ذلك الزبيدي (١) «
قلت : ولا يعلم حقيقة أثر ابن جنّي في التصريف واللغة إلا من اطّلع على آثار الصرفيين وأصحاب المماجم من بعده فانها كلها مطبوعة بطابعه وما نعرف بعد ابن جنّي عالماً كتب في التصريف وأجاد فيه - على أنه لم يأت بشيء جديد غير ما ذكره ابن جنّي - إلا الإمامان الكبيران عبد القاهر الجرجاني (- ٤٧٤) واحمد بن محمد الميداني صاحب مجمع الأمثال (- ٥١٨) ؛ أما الجرجاني فقد ذكر مترجموه أن له كتاباً في التصريف اسمه (العمدة ^(٢)) وأنا وإن لم أر هذا الكتاب ولا أعرف له وجوداً أظن أن الإمام الجرجاني قد استطاع أن يخدم علم التصريف لما عرف عنه من الفكر السليم والبحث الدقيق الذي يتجلى في كتابيه الباقيين (دلائل الإعجاز) و (أمرار البلاغة) . أما الميداني فقد بقي لنا من آثاره رسالة لطيفة اسمها (نزهة الطرف في علم الصرف) وهي رسالة جد حسنة تدل على علم واسع وتنظيم حسن لمباحث علم التصريف ولكن ليس فيها جديد غير ما نجده في كتب ابن جنّي ^(٣) .

وما أعرف بعد هؤلاء عالماً كتب في التصريف إلا وهو معتمد على كتب ابن جنّي : مثل عبد الوهاب الزنجاني ، وعن الدين بن ابراهيم بن عبد الوهاب

(١) من محاضرات الأستاذ ابراهيم مصطفى عام ١٩٣٢ - ١٩٣٣ في كلية الآداب المصرية .

(٢) مفتاح السادة لطاش كبرى ١٤٣/١ .

(٣) نشرت مطبعة الجوائب هذا الكتاب سنة ١٢٩٩ مع كتابين آخرين هما النموذج

الزنجري ، وإمراب ابن هشام ، انظر بروكلمان ٢٨٩/١ وذيله ٥٠٧/١ .

الزنجاني الذي كان حياً في سنة ٦٥٤^(١) فإن له كتاباً في الصرف مشهوراً اسمه (العزى) وهو متأثر كل التأثر بابن جني في كتابيه (التصريف الملوكي) و (مر الصناعة) . وقد عظمت شهرة هذا الكتاب وشرحته جماهير كثيرة من العلماء منذ زمن مؤلفه حتى العصر الأخير^(٢) ؛ ومثل موفق الدين بن يعيش علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا الحلبي (٦١٣ -) وقد أفاد كثيراً من كتب ابن جني وبخاصة في (شرح المفصل) فقد ملأه نقولاً عنه^(٣) ؛ ومثل ابن الحاجب أبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري (٦٤٦ -) صاحب (الثانية) في الصرف^(٤) وآراؤها على جلالة قدرها صورة مصغرة عن آراء مر الصناعة وهي بمنزلة بحسن التبويب والتصنيف . وقد اهتم الناس بها كثيراً فشرحوها ونظموها وترجموها الى التركية والفارسية والأوردية ومن أعظم شروحها شهرة شرح احمد بن الحسين نحر الدين الجاربردي (٦٤٦ -) وعليه حواش كثيرة ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي^(٥) ؛ وشرح جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري (٧٦٣ -) ؛ وشرح رخي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (٦٨٤ -) وهو شرح عظيم الفائدة جداً مملوء بالبحوث المفيدة وقد طبع عدة مرات في الهند وبلاد العجم ومصر^(٦) . وهناك شروح كثيرة أخرى وحواش وتعليقات ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون^(٧) .

- (١) انظر كشف الظنون ١١٥/٢ .
- (٢) انظر تلك الشروح والحواشي في الكشف ١١٥/٢ .
- (٣) انظر مفتاح العادة ١٥٨/١ .
- (٤) انظر الكشف عن مخطوطات الأوقاف تأليفنا من ٢٩٣ .
- (٥) انظر بروكلمان : G. A. L. ٣٠٣/١ وذيّه ٥٣٢/١ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف من ١٩٢ .
- (٦) انظر اخبار الاسترابادي في بنية الوعاة : ٢٤٨ و بروكلمان G. A. L. ٣٠٥/١ وكشف الظنون الطبعة الجديدة ١٠٣١/٢ .
- (٧) كشف الظنون ٤٤/٢ .

ومثل العلامة ابن مالك محمد بن عبد الله ، جمال الدين الطائي ، النحوي ، الدمشقي (٦٧٢ -) وقد كتب في التصريف كتاباً خاصة ، و كتاباً ممزوجة بالنحو فن الكتب الخاصة (ايجاز التعريف بعلم التصريف) وقد شرحه ابن اياز النحوي (٦٨١ -) ^(١) ، و (لامية الأفعال في التصريف) وقد شرحها ولده الإمام النحوي بدر الدين (٦٨٦ -) ^(٢) ومن كتبه الممزوجة (الألفية النحوية) المشهورة ، وتمتاز كتب الإمام ابن مالك بحسن عرضه للقواعد واختصارها واختيار الجيد المستقيم منها . وهناك علماء آخرون بحثوا في التصريف بحثاً ذا قيمة منهم :
الرضي الاسترآبادي ، والفخر الجاربردي في شرحهما للشافية ، وعلي بن مسعود صاحب المثنى المشهور (بمراح الأرواح) ^(٣) وهو من الكتب المشهورة التي أضحت لها شهرة كبيرة في العصر العثماني لاهتمام علماء الترك بها اهتماماً كبيراً .
ومنهم الإمامان الجليلان سعد الدين التفتازاني شارح (كتاب المزى) ، والجلال السيوطي صاحب (الأشباه والنظائر) و (جمع الجوامع) و (الاقتراح) و (المزهري) وفي هذه الكتب النحوية والعرفية كلها نقول مستفيضة عن كتب ابن جني .
ولو رحنا نستقصي نقول السيوطي عن ابن جني لعسر علينا ذلك فإنه ربما نقل عشرين صحيفة دفعة واحدة ^(٤) .

- (١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣/٣٤١ .
- (٢) بروكلمان G. A. L. ١/٣٠٠ والذيل ١/٥٢٦ .
- (٣) بنية الوعاة : ١٥١ وكشف الظنون ٢/١٥٠ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ١١٣ .
- (٤) نقرب لك مثلاً . بكتابين من كتبه أحدهما المزهري وقائمه الأشباه والنظائر ففي الجزء ١ من المزهري انظر الصفائف من طبعة برلاق : ٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٩ .
- وفي الجزء الثاني منه : ١٥ ، ٢٠ ، ٣١ ، ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢٤٨ .
- وفي الأشباه والنظائر ج ١ طبعة الهند : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ الخ .
- وفي الجزء الثاني : ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ١٠٢ ، ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٧٣ .
- وفي الجزء الثالث : ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٢٠ .
- وفي الجزء الرابع : ١٠٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ الخ .

أما بعد فقد رأينا تأثير ابن جني في النحاة والصرفيين وإفادتهم من كتبه ، ولا عجب فهو الذي تعمق في هذا العلم فوقف الناس بعده عند الحد الذي حدّه . وهو أول من ابتدع بحث (الاشتقاق الأكبر) في علم الصرف ودلّ عليه وذكر طرفاً من الأمثلة عليه في كتاب الخصائص ^(١) . وقد ذكر السيوطي ذلك فقال : إنه « بما أبدعه الامام أبو الفتح بن جني وكان شيخه أبو علي الفارسي بأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة » ^(٢) .

وقف الصرفيون عند ما كتبه ابن جني ووضحه الرضي الاسترأبادي توضيحاً ذا قيمة ثم جاء بعد هذين قوم من الصرفيين بذلوا جهدهم في كتابة الأمثلة والتمرين على القواعد الصرفية ليس غير .

ومن الكتب التي ألفها المتأخرون في هذا الفن (كتاب المقصود) وقد نسب بعضهم الى الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان ^(٣) ، وقد قال العلامة طاش كبري في (مفتاح السعادة) : « وما اشتهر بديارنا مختصر مسمى بالمقصود لم تقف على اسم مصنفه إلا أنه مبارك مشهور بأيدي الناس وعليه شروح مفيدة عند أبناء الزمان » . وقال الأرنؤباني في شرح أصول البزدوي إن الامام أبا حنيفة صنف . . . (المقصود في الصرف) وقيل ليس له بل هو لبعض المعتزلة ^(٤) . وقال الحاج خليفة : اختلف في مؤلفه فقيل الامام الأعظم وقيل لغيره وجزم به محمد بن يبر علي المعروف ببركلي (٩٨١ -) وعليه شروح كثيرة وله تراجم الى التركية والفارسية ذكرها الحاج خليفة ^(٥) .

(١) انظر ج ١/٤ ، ١٢ ، ٥٢٥ الطبعة الأولى والمزهر ١/١١١ .

(٢) المزهر ١/١٦٤ .

(٣) انظر مفتاح السعادة ١/١١٩ وكتف الظنون ٢/٥٠٨ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩٣ .

(٤) مفتاح السعادة ١/١١٩ .

(٥) كتف الظنون ٢/٥٠٨ .

ومن كتب المتأخرين (كتاب البناء) المنسوب لعبد الله الدقزي^(١) ، و (كتاب المارونية) لنجم الدين عمر بن المروني^(٢) ، و كتاب (الأمثلة) الذي لا يعرف مؤلفه ، و (بداية المبتدي) للشيخ يحيى بن رجب بن علي وقد ألفها سنة ١٠٥٠^(٣) ، و كتاب (تصريف الافعال) الذي لا يعرف مؤلفه^(٤) ، و كتاب (كفاية المبتدي) لمحمد بن بير علي البركوي (البركلي)^(٥) و كتاب (العلم الخفاق في علم الاشتقاق) لمحمد صديق حسن خان^(٦) ، و (شذا العرف) لأحمد الحملاوي^(٧) ، و (عنوان الظرف) لمرون بن عبد الرزاق^(٨) وغيرهم من المتأخرين .

وكتب المتأخرين هذه تنتظم بمجوثاً موجزة في التصريف مأخوذة عن ابن جني مثل التصريف الملوكي ، أو عن كتب ابن مالك وابن هشام وليس فيها شيء من الابتكار أو تطوير هذا العلم وتهذيبه ، كما نبين ذلك فيما بعد :

ملاحظاتنا على كتب التصريف : ننتن الصرفيون القدماء في هذا العلم

وجاءوا فيه بأبحاث طريفة ونكات غريبة مفيدة تدل على ذوق سليم وملكة رفيعة ضبطت أحكام اللغة ونظمت معاجمها وأقذتها من الفوضى التي كانت قبل أن ينتظم أمر هذا العلم . ولكن شيئاً واحداً كان ينقص هؤلاء التصريفيين ليحيي ما كتبوه كاملاً أو قريباً من الكمال وذلك بمقارنتهم اللغة العربية مع اللغات

(١) فهرس دار الكتب المصرية ٥١/٢ .

(٢) انظر الكشف ٦٤٥/٢ .

(٣) فهرس دار الكتب المصرية ٥١/٢ .

(٤) فهرس دار الكتب المصرية ٥٢/٢ .

(٥) فهرس دار الكتب المصرية ٦٦/٢ .

(٦) نشرته مطبعة الجوائب ١٢٩٦ .

(٧) نشرته مطبعة بولاق ١٣١٢ .

(٨) نشرته مطبعة بولاق ١٨٨٩ .

السامية الأخرى فلو أنهم فعلوا ذلك - وقد كان في وسعهم أن يفعلوه ولكن عجزيتهم أبت عليهم أن يتعلموا لغات ميتة أو كالميتة لا قيمة لها في نظرهم - أقول : لو أنهم فعلوا ذلك لأت بحوشهم كاملة . وقد لاحظ هذا الأمر صديقنا وأستاذنا الأستاذ خير الدين الأسدي فقال : « لامراء في أن نحائنا برزوا على أمم الأرض طرّاً في التقير والتثيت والاستقراء واستيقاء البحوث وحمل الأحكام على الإحكام ، ولئن كانت مهمة شامپليون وماريت باشا وماسبيرو وأمثالهم في حل طلسم الميروغلفية عسيرة وعسيرة جداً الأمر الذي جعل كلاً منهم دولة من الدكاء وجبروت هذا الدكاء ، فإن مهمة الخليل وسيبويه والكسائي وأمثالهم لا تقل في خطورتها عن مهمة أولئك بل هي أشد خطورة إذا تمثّلت معي اضطلاعهم بأعباء لغة ترامت آفاقها وبعد غورها وتشتت مسالكها والثالث معالمها ومنبت بأفانين من ضروب الفوضى والاضطراب والامعان في هذه الفوضى وهذا الاضطراب ، بيد أن خطأ نحائنا كان عظيماً في تنكّهم عن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى فلقد كانوا يتصورون أن اللغة العربية هبطت من حلق مقدرة بمقادير خاصة بها لا تشرك غيرها في شيء كما لا يشركها غيرها في شيء ... » (١) .

ولقد سمنا من أستاذنا العلامة الجليل ابراهيم مصطفى شيئاً يشبه ذلك في محاضرة له ألقاها عن تاريخ النحو العربي فقال : لو أن ابن جني ، على جلالة قدره ، كان يعرف اللغات السامية ويقارن بينها وبين العربية لما وقع فيها وقع فيه من تخاريج غريبة كقوله في اشتقاق (نوراة) إنها فوعلة من وري الزند وأن أصلها وورية وأن الواو الأولى أبدلت تاء وأنهم لو لم يبدلوها تاء لوجب أن يبدلوها همزة لاجتماع الواوين في أول الكلمة مثل توجل لأنها من الولوج ... » . هذا ضرب من ضروب الخطأ التي وقع فيها ابن جني . وهناك أمر ثانٍ تعاب عليه كتب ابن جني وسائر الصرفيين من متقدمين ومتأخرين ، وهو فساد التبويب وسوء

(١) رسالة « ليس » للأسدي ص ٧ .

التركيب والذي نراه أن تكون كتب الصرف مؤلفة من قصول ستة على النمط الآتي:

الفصل الأول : في المصطلحات الصرفية وما ينبغي أن يطلع عليه الطالب قبلولوج في البحث .

الفصل الثاني في أبنية الأفعال وما يتورها من أحكام الإعرال والإبدال والقلب .

الفصل الثالث : في الأسماء وأبنيتها وما يتورها من أحكام .

الفصل الرابع : في التغيرات التي تطرأ على الكلمات أثناء إعرالها وإبدالها .

الفصل الخامس : في المقارنات بين اللغة العربية واللغات السامية .

الفصل السادس : في التمرينات .

وإننا لنؤمل خيراً كثيراً من الحركة التي ظهرت مؤخراً في الجامعات السورية والمصرية والعراقية^(١) والتي تسمى لإحياء النحوي والصرف العربيين إحياء صحيحاً يعتمد على مقارنة اللغة العربية باللغات السامية . هذه النهضة التي كان يضطلع بأعبائها زعيان من زعماء علماء اللغة العربية ، أولها عراقي وهو العلامة المغفور له الدكتور عن الدين آل ياسين أستاذ النحو واللغات السامية في كلية الآداب العراقية ، الذي توفاه الله قبل ستة فلم يتمكن من أداء رسالته ، وثانيها مصري وهو الأستاذ الجليل إبراهيم مصطفى صاحب « إحياء النحوي » وعضو المجمع اللغوي المصري وإن كتابه هذا خطوة مباركة ورشيدة للسير بالعربية وبحوثها سيراً جديداً ، وإننا نرجو أن يصدر الأستاذ إبراهيم مصطفى في القريب كتابه الثاني الخاص بإعراب الفعل ثم يعقب على كتابيه هذين بكتاب ثالث يبحث فيه عن التصريف وينقذنا من فوضى المتأخرين الذين عقدوا هذا العلم وأفسدوه .

(١) عمدت الجامعتان المصريتان في القاهرة والاسكندرية والجامعة السورية في دمشق والجامعة العراقية في بغداد إلى إسناد تدريس مواد اللغة العربية من نحو وصرف وفتح لغة إلى أساتذة يعرفون اللغات السامية ليكون قدمهم أرسخ في التنقيب عن أسرار هذه اللغة العربية المحيطة .

ولا ينبغي لنا هنا أن نهمل جهوداً عظيمة يبذلها أستاذ فاضل من
 أساتذة العلم في حلب ألا وهو العالم الأستاذ خير الدين الأسدي صاحب
 (كتاب ليس) و (كتاب الحمزة) وغيرهما من الكتب الجليلة التي سلك فيها
 مسلك المدققين من العلماء المستشرقين الباحثين في أصول اللغات السامية ومفرداتها
 وإننا نرجو أن يوفق - أعانه الله - في نشر مؤلفاته القيمة التي تكشف عن العبقريّة
 الشامية وجهودها العظيمة في خدمة العربية وعلومها وبخاصة علمي التصريف وفقه اللغة .
 وبعد : فإن فضل ابن جني على تكوين علم الصرف بل على إيجاد علم فقه اللغة العربية
 فضل عظيم ، وإن كان الناس يشهدون دوماً لسيبويه بالمكانة السامية والسبق
 في هذا الميدان ، فإن ابن جني بدقته وبراعته ، ووضوحه وكشفه عن أسرار
 اللغة ، هو فارس هذا الميدان الأول . ثم إن القاري اليوم لا يكاد يقرأ
 صحيفة أو اثنتين من (كتاب سيبويه) حتى يمل ويضجر بأسلوبه المعقد ، بينما
 يلتهم كتب ابن جني التهاماً .

وقل مثل ذلك في المقارنة بين عالمنا ابن جني ، وبين الخليل بن أحمد الفراهيدي
 فيما أثر عنه فإن أسلوبه معقد ، لا يكاد يفهم المرء إلا إذا كدّ ذهنه ،
 وتعمق في تفكيره ، ولا كذلك كتب ابن جني . وليس في هذا مطعن على
 سيبويه أو الخليل ، رضوان الله عليهما ورحماته ، وإنما هو إحقاق للحق ،
 فإن عمل ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي رحمهما الله كان عملاً جليلاً ،
 ولا غرو فإن القرن الرابع بثقافته الواسعة ودراساته اللغوية للتعدد قد مكن
 الرجلين من أن يأتيا بهذا الذي نراه .

ولم يكن ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي يقتصران على مذهب أهل البصرة ،
 أو أهل الكوفة ، أو أهل بغداد ، كما أسلفنا ، وإنما كانا يجمعان كل ذلك
 ويتنقلانه ويضيفان إليه ما تهديه اليهما قريحتهما الصافية ، وبدفع إليه نظرهما الثاقب .

(يتبع)

الدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

كتاب الترييع والتدوير للجاحظ

عُني بنشره وتحقيقه : شارل پلات
أستاذ بـدرسة اللغات الشرقية بباريس

بواظب المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق على نشر طائفة من كتبنا القديمة ، وآخر كتاب أخرجه لنا كتاب الترييع والتدوير للجاحظ .
وضع محقق هذا الكتاب مقدمة باللغة الفرنسية وذكر المصادر التي رجع إليها ويسيراً من تراجم الأعلام الذين جاء ذكرهم في الكتاب ونقل مفردات الكتاب إلى اللغة الفرنسية .

أول منشور عُني بدراسة كتاب الترييع والتدوير إنما هو المنشور المولندي « فلوتن » ، ثم ظهرت نسخ مخطوطة مختلفة ظفر بها الأستاذ « پلات » ، ويُستنتج من المقدمة أن كتاب الترييع والتدوير لا يخلو من بعض زيادات ليست للجاحظ اقتصر الناشر على الإشارة إليها دون حذفها .
عرّف « پلات » كتاب الترييع والتدوير فهو عبارة عن مسائل عويصة طرحها الجاحظ على أحمد بن عبد الوهاب ثم أجاب عنها الجاحظ نفسه بسخريته المعروفة ، والأستاذ « پلات » يشبه الجاحظ في تصويره لأحمد بن عبد الوهاب بالكتاب الفرنسي المشهور : « لايروير » .

وقد انتقل بعد هذا التعريف إلى ذكر تاريخ تأليف الكتاب وإلى الكلام على أحمد بن عبد الوهاب وإلى الأسباب التي من أجلها ألّف الجاحظ كتاب

الترييع والتدوير والى تلخيص مكانة هذا الكتاب فالأستاذ « پلات » يرى أن صلة الكتاب بتاريخ الفكر العربي أشد من صله بتاريخ الأدب .

نقلت مفردات كتاب الترييع والتدوير الى اللغة الفرنسية ، ولقد صررت على هذه الترجمة عَرَضاً فوقعت عيني على ترجمة :- مبغضة ، جاءت هذه اللفظة في المتن على هذا الشكل : والمزج جمام والجد مبغضة . والمزح محبة ، فقال الأستاذ الناشر في ترجمة مبغضة : mépris وقال : هي ضد محبة ، لست من أهل اللغة الفرنسية حتى أجادل رجلاً من رجالها ولكن الذي أغرّفه أن كلمة mépris تدل على الاحتقار والازدراء والاستخفاف أكثر من دلالتها على البغض .

على أن هذه الخطورة خطرت على البال عرضاً على نحو ما قلت ، فالمهم أن أبادر الى إشارات تتصل بالجاحظ لا بأس بإثباتها في هذا المقام ، فقد ذكر الأستاذ « پلات » أن الجاحظ وقف أمام معتقدات كثيرة لا يقول بها القرآن موقف الشك لأن هذه المعتقدات يعارضها العقل وهذا الشك الذي أدخله الجاحظ على أدب العرب لو أدخل على أمة أقل تمسكاً بتقاليدها لأمكن أن يكون عاملاً من أعظم عوامل تفتيح العقول وتخمينها .

والحقيقة التي استنبطتها من دراستي لكتب الجاحظ أنه لم يدخل الشك على الأدب وحده وإنما أدخله على أمور الفكر والعقل ، فالجاحظ لجأ في الاهتمام الى الحقيقة الى الحواس ثم تبين له أن الحواس تخفي فعمد الى الشك ، ولكن شكّه كان سبيلاً الى اليقين ومثله في ذلك مثل « باكون » و « ديكارت » ، فطريقة « باكون » كانت مبنية على الحواس وطريقة « ديكارت » كانت مبنية على العقل ، ولم يكتف الجاحظ بطريقة العقل وحدها فقد جرب بنفسه على نحو ما يفعله علماء الحيوان والنبات وتجاربه مستفيضة في كتاب الحيوانات .

لقد جاء الوقت الذي يجب علينا فيه أن ندخل الجاحظ في جملة العلماء كما أدخلناه في جملة الأدباء ، فبعض المستشرقين لا يزالون يرون في الجاحظ اماماً من أئمة الأدب وهم يكادون لا يعترفون له بأثر في العلم .

لقد أنصفه الأستاذ « پلات » كل الانصاف لما قال إن هذا الرجل لم يعرفه الناس حق المعرفة فانه يمثل الفكر البشري في فترة من الفترات على الرغم من اتهامه من بعض الوجوه باقتباسه عن اليونان وبقلة ابتكاراته .

ماذا يريدون بقلة ابتكارات الجاحظ ؟ أفلا بكفي صاحب هذا العقل العظيم أن يجرب ما جرب وأن يهتدي في نتائج تجاربه الى أمور كثيرة تتصل بالحيوان أو بالنبات أو بالانسان دون أن يحمده على ما اقتبسه عن اليونان أو عن غيرهم من الأمم . إلا ان العصر الذي عاش فيه الجاحظ يختلف عن العصر الذي نعيش فيه فلا يمكننا أن نطالبه بابتكارات تشبه ابتكارات علماء هذه الأيام وحسبه انه سبق « باكون » و « ديكارت » الى طريقتيهما ولكنه لم يتوسع في هاتين الطريقتين توسع هذين الفيلسوفين الكبيرين ، إلا أن فضله بالنسبة إلى عصره ليس بقليل .

وإننا لنشكر الأستاذ « پلات » الشكر كله من أجل اعترافه بأن الجاحظ يمثل الفكر البشري في زمن من الأزمان فقد أعطاه حقّه وجعله في المتزلة التي يجب أن يكون فيها وهي متزلة رجال الفكر البشري ، لا الفكر العربي وحده .

شفيق جبري

تلخيص البيان في مجازات القرآن

تصنيف السيد الأجل الشريف الرضي

أتم بقره عن النسخة الحطية الوحيدة في مكتبته السيد محمد المشكاة

قدّم لهذا الكتاب الأستاذ حسين علي محفوظ مدرس العربية بالعراق ، مقدمة جاء فيها : التعريف بالمخطوط - صحة انتسابه الى الشريف الرضي - تلخيص البيان - قيمته الأدبية - سيرة مصححه السيد محمد المشكاة وآثاره .

وفي المقدمة الثانية للأستاذ الناشر (المشكاة) أنه ظفر بكتاب عتيق كتب في القرن الخامس للهجرة ، يبحث عن آيات القرآن الكريم بعنوان (الاستعارة) ووصفه بقوله : « وجدته تفسيراً يشتمل على التعليل في اختلاف القراءات ، وكتاب أدب ، يبحث عن وجوه التشبيهات والاستعارات ، (الى أن قال) : وقد صدر البحث عن كل آية بلفظ (استعارة) وليس يراد معناه المصطلح المقابل للكتابة والتشبيه ، وإلا لم يصدق على كثير من مباحث الكتاب ، فالمراد بالمجاز هنا المعنى الأعم من المجاز العقلي واللفوي والتشبيه ، والمراد بالاستعارة المعنى الأعم من أقسام الاستعارة والكتابة والمجاز العقلي والتشبيه بأقسامها ، كيف لا وقد استعملت هذه الكلمات في معانيها الاصطلاحية بعد ما وضع علم المعاني والبيان ، وألفت المطولات في الأصول النحوية . وكتابنا هذا - وهو أول كتاب صنف في بابيه - أعني مجازات القرآن الكريم ، متقدم على ذاك بعشرات من السنين » قلت : ويؤيد هذا ما ذكره ابن القيم في بعض كتبه من أن المجاز لم يرد به في عرف السلف ما يقابل الحقيقة ، بل المراد به ما يجوز لغة ومعنى في تفسير الآية ، وهذا ملخص ما قال :

« وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها الى حقيقة ومجاز ، ولا قال أحد من العرب قط هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز ، ولا وجد في كلامهم

من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك ؛ ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفراء ، وأبي عمرو بن العلاء ، والأصمعي وأمثالهم ، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابع التابعين ، ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة .

قال السيد المشكاة : واعلم أن التي بين يديك إنما هي نسخة عتيقة مهبذة قريبة العهد من مصنفها بحيث تكاد تدرك زمانه ، ولذلك سالت من تصرفات الناسخين . ثم علل طبع هذه المخطوطة بقوله وإنما أردنا بذلك تكثير هذه النسخة المخطوطة القيمة خوفاً من تلفها وتتمياً لنفوسها ، ورغبة في خدمة العلم وأهله . وقد بلغت هذه المخطوطة (٢٤٠) صفحة بالقطع المتوسط ، وذكر في أعلى الصفحات أسماء السور المفسرة ، وعلى جوانبها أرقام الآيات ، وخطها واضح وكلماتها منقوطة ، وفي آخرها عدة فهارس : فهرس السور والآيات ، وآخر لأعلام الأشخاص والأماكن والفرق والكتب ، وثالث للأمثال والتراكيب المذكورة في الكتاب ، ورابع للألفاظ التي شرحها الشريف مرتبة . وختمها بمرض تجليلي للمطالع التي يبحث عنها في الكتاب . وبفهرس أبيات الشعر التي استشهد بها في الكتاب مرتبة على ترتيب قوائمه ، ثم فهرس الأخبار والأحداث الواردة في الكتاب على قلتها .

ولا نرى البحث في هئات جاءت في مقدمة الناشر السيد المشكاة كقوله : بذلنا الجهد على طبعها ، وبجعل الشعر ثراً في قوله :

ففي كل لفظ منه روض من المني وفي كل سطر منه عقد من الدر
وكقوله : وقد عقب امم أيه أبي أحمد أيضاً (أي أبي المؤلف) بقوله : « رضي الله عنه » ،
(قال) : وهذا أيضاً دعاء (على الميت) أي دعاء للميت ، وحسبنا هذا وكفى .

René Dussaud - La pénétration des Arabes en Syrie
avant l'Islam - Paris 1955

توغل العرب في بلاد الشام قبل الإسلام

تأليف الأستاذ رينه دوسيو يقع في (٢٣٤) صفحة من القطع الكبير
تتخللها صور عديدة ، طبع في باريس عام ١٩٥٥

إن أستاذي المؤلف عضو المجمع العلمي الافرنسي وزميلنا في مجتمعنا العلمي العربي هو أشهر من أن يعرف ، عرفته بلادنا منذ أكثر من نصف قرن بجائته جوالاً في معمرها وبواديه ، كرس شطراً كبيراً من حياته العلمية في دراسة وتدريس آثار بلاد الشام وتاريخها ، وتلأ تأليفه وأبحاثه في هذا الموضوع مجلدات عديدة . وهو اليوم عميد الدراسات الأثرية لشرقنا وشيخ الآثاريين عنها .
حصر جل همه في كل ماله علاقة في تاريخنا القديم . فهو أول من تتبع موضوع ظهور العرب في بلاد الشام قبل الفتح الاسلامي . وكان بحثه الذي نشره في عام ١٩٠٧ فتحاً جديداً في باب طالع الموضوع بروح علمية عميقة جعلت مؤلفه الى يومنا هذا مرجعاً من أهم المصادر للباحثين . ولم يكن كتابه في نظره إذ ذاك إلا تمهيداً لبحث أوسع . وهاهو يطالع علينا بعد نصف قرن من بحث وتنقيب بكتابيه القيم داعماً آراءه بالاكتشافات والوثائق الحديثة التي ظهرت خلال النصف الأول من هذا القرن ، التي ألقت أضواء جديدة على كثير من غوامض التاريخ .

ويرى المؤلف أن العراق وسورية ولبنان وفلسطين والشرق العربي هي امتداد حيوي لجزيرة العرب وسكانها ، وقد يبدو هذا الرأي للبعض مبالغاً فيه لما بين جزيرة العرب وهذه البلاد من بعد شاسع وعقيات تفصل بينها وتحول دون سهولة

الاتصال .. ولكن من عرف طبيعة العرب الرجل واستهانتهم بالمسافات الطويلة والضعوبات والمشقات في سبيل طلب الكلاً والماء والكسب الحلال والحرام يسلم برأي المؤلف ويقنع بحجته .

كان العرب في كل رحلة نحو الشمال يتخلف منهم عن العودة الى بلادهم بعض أفرادهم كما هو عالم اليوم ، فشكوا مع الزمن نواة جالية عربية كان لها شأنها ولعبت في التاريخ دورها ، وقد احتفظ هؤلاء المتخلفون بمقائدهم وتقاليدهم ولغتهم ، وقد اقتبس عنهم أهل البلاد البعض منها ، ونجد أثر ذلك ظاهراً عند الأنباط وفي حوران والصفاء وتدمر وحمص وغيرها من بقاع الشام ، وقد احتفظوا أيضاً بقوميتهم رغم اندماجهم بأهل البلاد التي استوطنوها ، وكان لهم مواقف شريفة في الدفاع عن هذه البلاد ، وكانوا أشد العناصر غيرة على سلامة موطنهم الجديد ، فقد وقفوا في وجه غزوة الاسكندر وصمدوا لها في جبال لبنان وقطاع فلسطين ودافعوا كمن يدافع عن وطنه وديارهم .

وقد القم هذا الكتاب حجراً من يقول ان العربية دخيلة على الشام والعراق فرضتها قوة الاحتلال الاسلامي ، مع أن الغزوة الاسلامية هي برأيي نتيجة محتمة لانتشار العرب في البلدان قبل الفتح الاسلامي بقرون عديدة ، فقد مهدوا السبيل لغزوة التحرير لشريعة قليلة من الفاتحين وساعدوا على هزيمة هرقل وكسرى . ونجدد بعمادتنا العلمية العالية ومن بهمهم تاريخ بلادنا العناية بهذا الكتاب ونقله الى العربية خدمة لتاريخنا وقوميتنا .

قال أستاذي الكبير منا أبلغ الشكر وأطيب الثناء مد الله بجماله ذخراً للعلم .

جعفر الحسني

كتاب الورقة

لأبي عبد الله محمد بن داود الجراح

محقق الدكتور عبد الوهاب عنزام والأستاذ عبد الستار أحمد فراج

ذخائر العرب - مصر ١٩٥٣ ، ١٥٩ صفحة

حرص العرب في جاهليتهم على رواية الشعر وحفظه ، واتخذ خلفاء بني أمية خطة عظيمة في تأديب أولادهم بالشعر وروايته ، وعمل علماء اللغة في العصر العباسي على جمع الشعر وتدوينه وطلبه خدمة للغة والنحو وما يتصل بها . فكانت المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب ، وحماسة أبي تمام والبحتري وابن الشجري ، وكانت كتب الأدب كديوان المعاني والبيان والتبيين والكامل ، والمعقد والامالي . وشرع العلماء بعد هذا في تأليف كتب عن الشعراء والشعر ، كابن قتيبة وابن سلام وابن المعتز ، جمعوا فيها سيرة الشاعر وترجمته وطرقاً من أخباره وأشعاره . وتبعهم في خطتهم مؤلفو العصور العباسية حتى عصر الانحطاط . وهذه الكتب في تراجم الشعراء نقية ثينة تفي بالبحث وتضيف إلى معرفتنا بأدبائنا القدماء ثروة عظيمة . وقد فقدت أكثر هذه الكتب وضاعت ، وبقي منها عدد قليل عني الناشر بإظهاره ، وكتاب الورقة في صدر هذه الآثار .

الله صاحبه أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وجعل لكل شاعر ورقة يترجم فيها سيرته وأخباره ويذكر عليها طرقاً من أشعاره . وهذه الورقة تختلف طولاً وقصراً ، إسهاباً واقتضاباً ، فقد جاءت بعض التراجم في صفحات وجاء بعضها في سطور كما في هذه الطبعة . وهذه التراجم تضيء جوانب كثيرة من حياة أدبائنا ، وترجم لكثيرين ممن ضاع أثرهم في المطبوع من كتبنا ، ويبلغ عددها في الكتاب ثلاثاً وستين

ترجمة ، فيها شعراء مغمورون وآخرون قالوا الشعر ولم يعدوا في الشعراء ، وفيها من الأعلام المشهورين .

ويبدو أن ابن الجراح كان عارفاً بأبام العرب وأخبارهم ودول الملوك ، واقفاً على التاريخ ، ذواقة في الأدب ، لما يورد من أبيات مختارة وأشعار سائرة جميلة ؛ ولذلك كان كتابه « الورقة » ثميناً جداً في مصادرنا القديمة ، وكان نشره حدثاً في كتب التراجم ، يشكر له المحققان الفاضلان أيتما شكر .

وقد كتب الدكتور عبد الوهاب عنان مقدمة قصيرة في حياة ابن الجراح ، كشف فيها عن وزارته لابن المعتز ، وهربه واختفائه حين قتل هذا الخليفة ، ثم ظهوره بعد ذلك ، وحبه وموته سنة ٢٩٦ هـ ، ورسم الفاجعة في مقتله . وحياته كانت سلسلة من المآسي ، ألمع إليها المحقق إماماً يسيراً ، ولم يسهب في البحث عن الكتاب ، وإنما رسم مخطوطته القديمة وعرف بقدرها وفضلها وذكر الأيدي التي تعادرت على ملكيتها ، ثم بين أنها فقدت كثيراً من التراجم مما وقع في كتب الأدب منسوبة إلى كتاب الورقة ، ولم يرد في هذه الطبعة . وهنا نود أن نرسل عتياً رقيقاً في ضد هذه المقدمة ، فعي عجلي كما يعترف الأستاذ المحقق ، وكما كنا نتمنى أن يطيل النظر في الكتاب وأن يذكر لنا أين تقع تراجمه من الدقة والاحاطة والشمول بين كتب التراجم ، وهي مبسطة بين يديه يستطيع أن يوازن بينها وبينه ليطلق حكمه فيها ، وبدي برأيه في قيمة الكتاب . بل كنا نرجو أن يذكر لنا أين تشترك هذه التراجم وأين تنفرد ، ولكن الرجل بطن في تواضع جمة أنه أسلم بتحقيق الكتاب للأستاذ فراج ، وأنه ترك له التعليق والإشارة والشرح .

ولا بد من التوبة بفضل الرجلين في نشر الكتاب لما قاما به من خدمة الناطقين بالضاد ، على ما في عملهما من قصور ، في ضبط كثير من الأعلام ،

والإشارة إلى مواقع الصفحات من المصادر التي ترد فيها هذه التراجم ، فظابع السرعة لا يخلوها من مسئوليتها في الرجوع إلى كتب البلدان والأنساب لرسم الأعلام مثل : (زوزر الرفاء ، المصري ، الخاركي ، المستهل) كما كان يفعل المحدثون في القديم والمحققون في العصر الحديث .

وأخيراً ، لا يقتضينا قول الدكتور عنزام في مقدمته : « انت في الكتاب جملاً قليلة لم يزايلها الصموص والشك » ، وعسى أن يملوها البحث » ، فهناك شيء غير قليل يحتاج إلى إطالة النظر والبحث والتعليق والتصحيح ، لجلاء هذا الكتاب الثمين والعودة إليه ، وليس ذلك على همة المحققين بعزير .

الدكتور سامي الدهان

كتاب الريف السوري

للأستاذ أحمد وصفي زكريا

كم وددت لو استطعت أن أحشر في هذه العجالة كل ما درته أمامي مما جال في نفسي من آراء وفكر ، وأنا أقرأ كتاب الريف السوري الذي أصدره أخيراً الأستاذ الفاضل أحمد وصفي زكريا ، وإني ما كنت لأوفق لما أردت لأن ذلك يحتاج لمجال قد تضيق به ذراع الصفحات التي اعتادت مجلة المجمع أن ترصدها لنقد الكتب الجديدة وتقرئها . ولعل من أم ما يوحيه هذا الكتاب لقارئه الناقد ويرسم في نفسه من صور بارزة هو هذه المرحلة من التطور الاجتماعي التي بدأت ترسم في أفق الشرق العربي فتظهر هذا الانصراف الواضح عن عالم الخيال إلى حياة الواقع التي أخذ يحياها أبناء الأمة العربية في مختلف أقطارهم وأمصارم والعزوف عن الهم والتجمل إلى هذه الحقيقة الراحنة التي تستند إليها من تعريف المواطنين بأوطانهم التي يعيشون فيها وبلدانهم التي يستمدون منها قوتهم منها

والذين هم أجدر الناس بمعرفة والاطلاع على خصائصها ، لأنه ليس لأحد من الناس أن يدعي المعرفة والعلم إذا كان يجهل الوطن الذي يعيش فيه ، ولعل من أهم أخطاء الأدباء والكتاب والعلماء المعاصرين في الشرق العربي هو انصرافهم حتى الآن عن تأليف مثل هذه الكتب التي تعالج الواقع وتدرس الأرض ، أرض الوطن وما عليها والمدن وما فيها والأرياف وما احتوته من خيرات مما هو أول ما يجب أن يعرفه كل مواطن يزعم أنه على شيء من الثقافة والعلم ، وليس في الناس أسخف من أولئك المواطنين الذين يتحدثونك عن خصائص التربة وعوامل الاقليم في بقعة قاصية من بقاع الدنيا ويجهلون كل خاصة من خصائص الأرض التي أنبتهم أو البلد الذي يعيشون فيه كما عاش آبائهم وأجدادهم من قبل . وإني لأبألف إذا قلت ان الأستاذ زكريا قد وفق التوفيق كله في هذا الفتح الجديد وفي تأليفه كتابه هذا الذي نحن أحوج ما نكون إليه وإخراجه للناس على هذا الشكل الواضح وبهذا الأسلوب البارع في الوصف والتعريف وإني لمقدر كل التقدير الجهد العظيم الذي بذله المؤلف كما يقدر ذلك كل قارئ منصف وهو يعلم ما هي عليه المكتبة الشامية ، إذا صح هذا التعريف ، من فقر مدقع ، إذ ليس بين مؤلفيها من سبق الأستاذ زكريا لوضع أمثال هذه الكتب إلا نفر من الأقدمين قد لا يصح الاعتماد إلا على القليل مما دونوه بشكل خاطف وعلى غرار ما يكتبه الرواد والسائحون . ولعل ندرة الكتب الجديدة التي يمكن الرجوع إليها والامتناع بها هو الذي ألجأ المؤلف لأن يجمع في بعض الفصول من كتابه بين الماضي والحاضر ويمزج في وصف وتعريف كثير من المواقع بين ما كانت عليه الأوضاع وبين ما صارت إليه ، ولقد وددت لو اقتصر المؤلف في بعض الفصول على وصف الحالة الراهنة دون أن يرجع إلى ما وصفه الأقدمون مما دعى لبعض النعوض أو التشويش ، سيما وهو يعتمد في أكثر

ما يصفه ويدونه على خبرته الخاصة بعد أن جاس خلال الديار في أكثر المناطق واختبر شؤونها بنفسه ودرس الأشياء في مواقعها ، على أنه مع هذا قد وفق الى حد بعيد في كثير من الفصول وعلى الأخص في كثير من المناطق الأثرية حينما أتى على لمحة من تاريخها القديم وما فيها من معالم وآثار يرجع عهدا الى أزمان غابرة بعيدة . هذا ولعل أهم ما دونته أمامي أيضا وأنا أطلع هذا السفر القيم عن الريف السوري الذي انتصر فيه مؤلفه على محافظة دمشق ، هو ما تمتينه من صميم فؤادي لو أن الدولة وما فيها من مصالح أخذت بيد الأستاذ المؤلف وساعدته مساعدة فعالة في عمله لإصدار الأجزاء التالية من مؤلفه عن الريف السوري في بقية المحافظات ، لأنني أعتقد جازما أنها لو فمات ذلك لست نقصا عظيما صارخا فيها نحتاج اليه من مؤلفات ، وحقت بذلك أمرا لا تستغني عنه البلاد السورية في نهضتها الجديدة .

الدكتور طاهر الراجحي

مكتبة

كتاب

(١) تنبيه الغي الى تكفير ابن عربي

(٢) تحذير العباد من أهل المناد

تأليف العلامة يرهان الدين البقاعي ٨٠٩ - ٨٨٥

تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الوكيل

كان التصوف في أول نشأته بين المسلمين زهدا في الدنيا وعرضا الأدي ، وإثارا للآخرة عليها ، وجهادا في سبيل الله ، وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس . وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان . ولم يكن اسم (التصوف) معروفا لهم ، ثم حدث له هذا الاسم ، ومن بعد أن كان مسما نكرا وزهدا ، وبعدا عن مظاهر الترف والنعيم ،

صار آراء فلسفية تنقل فيها أهلها إلى القول بالحلول والاتحاد (بل بالوحدة المطلقة) ثم انقلب إلى شموذة وشعبذة ، وتغريب بالبسطاء ، وتزلف للحكام ، وأكل لأموال الناس بالباطل .

هذا بعض ما وصفت به من قبلُ التصوف في جملته . وأما هذان الكتابان المطبوعان معاً - وكلاهما للمفسر البقاعي الدمشقي - ففي أولهما نصوص كثيرة من قصوص الحكم لابن عربي (الشيخ الأكبر) وفي ثانيهما آيات متنوعة من تائية ابن الفارض (سلطان العاشقين) المسماة بنظم السلوك ، وهي تقرب من ثمانمائة بيت ، وفي هذا وذاك الكفر الصريح الذي لا يحتمل الجدل ولا التأويل ، وبنى البقاعي حكمه هذا على النقول الكثيرة من ثمر الأول ونظم الثاني ، وأما التأصيل والتفصيل ، أو التحليل والتعليل . ففي تعليقات الحق الأستاذ (الوكيل) ، فقد ردّ فيها الفرع إلى الأصل ، والجزء إلى الكل ، وجاء ما كتبه بمقدار الأصل أو يزيد ، والكتاب الأول يقع في مائتي صفحة بحقيقاته ، والثاني في نحو سبعين .

وصف الأستاذ الوكيل في مقدمته للأول ما وعاه في حداثته منه من ترانيم شيوخ قريته التي كانت تهرف بما لا تعرف من صلوات ابن مشيش ومنها : اللهم انقلني من أحوال التوحيد ، ومن منظومة الدردير (وجد لي يجمع الجمع منك تفضلاً) ثم كان يسمع ذكر الله في طنطا « بجنت الأثوف ، ورجات الأرداف ، ووثنية الدفوف » ومنشد القوم بنشد رافصا (ولي صنم في الدير أعبد ذاته) ويسمعه يصبح : (وما الكلب والخنزير إلا إلههم) فإذا سأل عن معنى هذه الجهالات والضلالات قيل له : « انت لسه صغير » ثم صار يدرس في كلية أصول الدين ، وفي شعبة التوحيد والفلسفة ، فلا يزداد إلا حيرة وشكاً ، إلى أن هداه الله تعالى فقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأوى إلى جماعة

أنصار السنة المحمدية ، فسار على هدى من ربه ، ومضى في طريق الحق غير هيب ولا وکیل .

وقد عني الأستاذ الوکیل بهذا الكتاب ، فترجم لمعظم من ذكروا فيه ، ولكل فرقة أو نخلة ورد ذكرها ، وخروج أحاديثه ، وجلّى غوامضه بتفسير مصطلحات القوم من كتبهم ، ونقضها بما خالفت فيه العقل والنقل (كتاباً وسنة) ، ووضع عناوين لمباحث الكتابين لا يوضح المراد منها ، ورقّم ما ورد فيهما من الآيات الكريمة وسورها ، وذكر النسخة التي طبع عنها ، وما لقي من عنا في معارضتها بأصولها .

من أمعن النظر في كلا الكتابين : (فصوص الحكم وتائفة نظم السلوك) لا يرى الفرق بينهما إلا بكونه ثراً وكونها نظماً ، واليك كلمتين منها ، بدلات على سائرهما .

« فإذا شاهد الرجل الحق في امرأة كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما ، كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشوده للحق في المرأة أتم وأكمل . لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل ومنفعل » وقد قال في النصّ النوحى في أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام « وقد أضلوا كثيراً » أي حيروهم في تعداد الآلهة « ولا تزد الظالمين » المصطفين الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة ، « إلا ضللاً » إلا حيرة . فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب » ^(١) فهو يفسر الظالمين عبدة الأوثان بالمصطفين الذين أورثوا الكتاب ، « ومكروا مكرّاً كبيراً » لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو الخ ... قال القاشاني « معناه أن الدعوة إلى الله دعوة منه

إليه ، لأن الله عين الداعي والمدعو ، والبداية والغاية ، لكونه عين كل شيء »^(١)
فقالوا في مكرم : « لا تَذَرُوكُمْ آلهتكم » ولا تذرنا ودّاً ولا سُوَاعاً ،
ولا يغوث ويعوق ونسرا » فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا
من هؤلاء ، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه ويجهله من جهله »^(٢) .
وهذه آيات من تائية ابن الفارض ، وهي تضرب على نفس الوتر ، وكأنها
نظم لما نثر من فصوص الحكم :

وإن عبد النار المحوس وما انظفت كما جاء في الأخبار من ألف حجة^(٣)
فما عبدوا غيري وإن كان قصدم سواي وإن لم يعتقدوا عقد نية
رأوا ضوء نوري مرة فتوهموا (م) ناراً ، فضلوا في الهدى بالأشعة
وإن خراً للأشجار في البدة عاكف فلا وجه للإنكار بالمصيبة^(٤)
ومن ذلك قول ابن الفارض أيضاً :

إني رسولاً كنتُ مني مرسلًا وذاتي بآياتي عليّ استدلت
قال القاشاني في شرحه : « فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتداء تكون
مرسلًا ، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسلًا إليها (أه ص ٧٣) .
هذه شواهد قصيرة من فصوص الحكم ومن تائية نظم السلوك ، قلت : ويجمع
بينها ما نسب إلى الخلاج في معنهما وهو قوله :

عقد الخلائق في الآله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه
فكل ما هو كفر وشرك وإفك فهو في حقيقته عندهم إيمان صحيح ، وتوحيد خالص ،
وكل إنكار على أعداء الرسل (عليهم السلام) من عبادة الأوثان ، فهو في
حقيقته عندهم إقرار لهم على ما عبدوه ، وكل طعن فيهم ، فردّه إلى مدحهم

(١) ص ٤٩ منه (٢) ص ٥١ (٣) من ألف سنة (٤) بيت الأستام

والثناء عليهم . وأما ما في النائية من ذلك ، فقال فيها مخاطباً لله تعالى - كما أجمع عليه شراحها - بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها « (١) » .

هذه مراتبهم وأخيلتهم في وحدة الوجود ، ونحو الفرق بين الشاهد والمشهود ، فلا مغايرة بينهما ولا اثنية ، وهؤلاء (الوجودية) يعملون الله تعالى عين وجود الممكنات ، فالإله عندهم كالكلبي الطبيعي ، لا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، كالإنسان الذي لا وجود له إلا في ضمن أفرادهِ ، فهم يعملون الله تعالى أمراً اعتبارياً لا وجود له إلا في الموجودات ، وليس له وجود مستقل عنهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقد عدّ أبو حيان في تفسيره لسورة المائدة طائفة من هؤلاء الغلاة القائلين بوحدة الوجود . وتجد أسماءهم في هذا الكتاب (ص ١٥٦) كما ترى في موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض ، قال البقاعي : وقد كفرهما العلماء بسبب ما نقل من حالهما ، وما صدق ذلك من كلامهما ، أما ابن عربي فالتكلمون فيه كثير جداً ، وقال عن ابن الفارض : رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً ، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا ، وعدّ كثيراً من أجلاتهم (ص : ٢١٤ - ٢١٧) وقد قال إمام القراء شمس الدين الجزري الدمشقي ، تزيل بلاد الروم ثم المعجم : « وما يجب على ملوك الإسلام ، ومن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهر ، من كتب المذكور وغيره ، ولا يلتفت إلى قول من قال : هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يؤول ، فإنه غلط من قائله ، إنما يؤول كلام المعصوم ، ولو فتح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر ، لم يكن في الأرض كافر » (٢) .

(١) ص : ٢١٨ وكتب هذا تحت عنوان : رب ابن الفارض أتى ١ ؟

(٢) ص : ٢١٤ - ٢١٧

وكذا العلامة المؤرخ ابن خلدون ، فإنه بعد أن عدّ فريقاً منهم ومن كتبهم ، أفتى بإحراقها فقال : « فالحكم في هذه الكتب وأمثالها ، إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار ، والفصل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بحجج العقائد المختلفة ، فتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة ، ويتعين على من كانت عنده التمكن منها للإحراق . ٥١٠ »

الرأي في سلف الصوفية

نقل المفسر البقاعي عن الشفاء للقاضي عياض عن سلف الصوفية أنهم بنوا طريقة على الاقتداء بالكتاب والسنة كالحسن البصري ، وأبي عثمان الحيري ، وسهيل بن عبد الله النستري ، والجنيد (سيد الطائفة) والقشيري والسروردي ، والجيلاني ، ولكن الأستاذ (الوكيل) المدقق ، هو باحث مستقل مستدل ، قوي المعارضة ، شديد المعارضة ، وقد عارض في تعليقاته أقوالهم في نصرة الشريعة بكلمات تؤخذ عليهم . وكلّ يؤخذ من قوله ويترك ، وبقييل منه ويرد ، ولا معصوم إلا من عصاه الله تعالى . وقد طبع هذا الكتاب على نسخة الشيخ الجليل محمد زهير ، المهداة إليه من شيخ العروبة أحمد زكي باشا رحمه الله وجزى المحسنين خيراً .

وقد لاحظنا أثناء تصفح الكتاب أغلاطاً غير ما نشر قمنا : ص ١٢٣ س ٢٤ : إن حكمة الله تجسدت في عيسى ، لعلها : (كلمة الله) ، ص ١٣٤ س ١٢ : الاجتهاد والصحيح : (الصحيح) ، ص ١٧٦ س ٢١ : ولد سنة ٨٠٥ . . . توفي سنة ٨٠٥ والصواب : (ولد سنة ٧٢٤) ، ص ١٩٣ س ١١ : كاطمحلل (كاضمحلل) ، ص ٢٠٢ س ١٢ : إذا لم ينتبه (إذا لم ينته) ، ص ٢٠٣

من ٦ : لميشته (لمبته) ، ص ٢٠٤ س ٣ : امرأته (إمرته) ، ص ٢١٥
 من ٢ : ابن قيم : (ابن قيم الجوزية) ، ص ٢١٦ س ١٩ : النذر (النز) ،
 ص ٢٤٤ س ١ : نقص من الآية الكريمة : «وأن تشركوا بالله ما لم
 ينزل به سلطانا» ، ص ٢٤٨ س ١٠ : التنايد (التايز) ، ص ٢٦٢ س ٤ :
 بأن هناك طريقان (طريقين) .

محمد بن أبي البطار

.....

الشبك

من فرق الغلاة في العراق

تأليف الأستاذ أحمد حامد الصراف

عدد صفحاته (٣١٤) - صفحة من قطع الوسط طبع في بغداد عام (١٩٥٤)

الشبك جماعة من الأعاجم تقطن أكثر من عشرين قرية في الجانب الشرقي
 من الموصل ويبلغ عددها نحواً من اثني عشر ألف نسمة يتكلمون لغة هي خليط
 من العربية والتركية والكردية والفارسية . وهم من بقايا الفرق المغالية في
 الإسلام تطورت مع الزمن عقائدهم وتسلط الجبهة يبدعهم على عقولهم فأبعدوهم
 عن الروح الإسلامية . وقد حاول المؤلف أن يكشف عن حقيقتهم ، فمقد مع
 بعض خواصهم صداقات أدرك بها رغم تكتمهم شيئاً من غايته . شاع عن
 الشبك أنهم لا يعرفون من أركان الدين الإسلامي شيئاً ، يهملون الفرائض
 الدينية ولا يصلون الخمس ، ولا يصومون شهر رمضان ، ولا يحجون بيت الله
 الحرام ، ولا يؤتون الزكاة ، يبيحون شرب الخمر ، وبقيمون المناحات في
 العشر الأول من شهر المحرم - زناً على مقتل الحسين ، وحسبهم حب علي وآل علي

فهو عندهم حنة تمحو كل سيئة . وقد ظهر للمؤلف بعد أن خبرهم عن كتب
أنهم - رغم إنكارهم الفرائض الدينية - ليسوا من الغلاة كالنصيرية والبكطاشية
وأن شعورهم وإيمانهم بواجب الوجود هو عين شعور المسلم وإيمانه بواجب الوجود ،
وأما رسول الله محمد فهو عندهم النبي المجل المترف به وإن كانوا يغالون في حب
علي غلواً عظيماً وينعتونه بأوصاف ونعوت لا يقرها الإسلام .

اختلفت الروايات في عنصر الشبك وأصلهم ونحلتهم ولم يجزم المؤلف بوحدة
منها ويرى أن حقيقة أصلهم لم تزل مجهولة كما أن تسرب هذه العقيدة اليهم
شيء غامض ومبهم .

وضع المتقدمون أبحاثاً عديدة عن الفرق الإسلامية ، ومن أشهرهم التوحيدي
وأبو منصور البغدادي وأبو المظفر الاسفراييني وابن حزم والشهرستاني والفخر الرازي
 وغيرهم وجميعهم أغفلوا ذكر الشبك وعقيدتهم مما يحملنا على أن نستنتج من ذلك
أن عقيدتهم محدثة ومنحدرة من البكطاشية القزلباشية لما بين العقيدتين من
أوجه الشبه .

وبعد أن وصف الأستاذ المؤلف عباداتهم في الصلاة والصوم والزكاة والحج
إلى النجف وكر بلاه ، وعدد مواسم أعيادهم والطقوس التي يمارسونها فيها ،
اختار قطعاً شعرية شعبية يتلونها في احتفالاتهم الدينية وعربها بأمانة ، يجد فيها
القاري أدباً عامياً عاطفياً يشتمل على نصائح ومدائح للأئمة الاثني عشرية ونحياً
على الشهيد الحسين وغلواً في الإمام علي بن أبي طالب .

وهذا الكتاب هو حافلة ممتعة من السلسلة التي عقدها المتقدمون عن الفرق
الإسلامية تحوي فوائد جليلة وأبحاثاً جديدة استحق عليها الشكر والثناء الجزيل .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م

أعضاء العامرون

١ — الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

١٠ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	٢ الدكتور اسعد الحكيم
١١ الأستاذ عمر الدين التتوخي	٣ الأمير جعفر الحسني
١٢ = فارس الخوري	٤ الدكتور جميل صليبا
١٣ الشيخ محمد بهجة البينطار	٥ = حسني مبيح
١٤ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	٦ = حكمة هاشم
١٥ = مرشد خاطر	٧ = سامي الدهان
١٦ الأمير مصطفى الشهابي	٨ الأستاذ شفيق جبيري
١٧ الدكتور منير العجلاني	٩ = عارف التكريدي

أعضاء المراسلون

١٢ الدكتور صبحي المحمصاني لبنان	١ الشيخ عبد الحميد الكيالي سورية
١٣ = عمر فروخ =	٢ الدكتور عبد الرحمن الكيالي =
١٤ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف =	٣ الأستاذ عمر ابوريثة =
١٥ الشيخ فؤاد الخطيب =	٤ الشيخ محمد زين العابدين =
١٦ الفيكونت فليبي دي طرازي =	٥ البطريرك مار اغناطيوس افرايم =
١٧ الأستاذ مارون عبود =	٦ الأستاذ محمد سليمان الأحمد =
١٨ الدكتور تقولا فياض =	٧ الشيخ سعيد العرفي =
١٩ الأب اس. م. مرجي الدومسكي فلسطين	٨ الدكتور قسطنطين زريق =
٢٠ الأستاذ عادل زعتر =	٩ الأستاذ أنيس المقدسي لبنان
٢١ = قدرى حافظ طوقان =	١٠ = بشارة الخوري =
٢٢ = محمد الشريفي الأردن	١١ الشيخ سليمان ظاهر =

٢٣	الاستاذ احمد حامد الصراف العراق	٤٩	الاستاذ احمد اتش	تركية
٢٤	الدكتور داود الجلي	٥٠	عباس إقبال	ايران
٢٥	الاستاذ ساطع المصري	٥١	عبد العزيز الميني الراجكوتي	الهند
٢٦	طاه الهاشمي	٥٢	يوسف البنوري	باكستان
٢٧	عباس الزاوي	٥٣	الدكتور بلاشير (رجيس)	فرنسة
٢٨	الشيخ كاظم الدجيلي	٥٤	الاستاذ دوسو (ربنه)	
٢٩	الاستاذ كوركيس عواد	٥٥	كولان (جورج)	
٣٠	الشيخ محمد بهجة الاثري	٥٦	لاوست (هنري)	
٣١	محمد رضا الشبيبي	٥٧	مارسيه (وليم)	
٣٢	الدكتور مصطفى جواد	٥٨	ماسه (هنري)	
٣٣	الاستاذ احمد حسن الزيات مصر	٥٩	ماسينيون (لويس)	
٣٤	الدكتور احمد ذكي	٦٠	أريزي (أ. ج. ٠)	انكلترة
٣٥	الاستاذ احمد لطفي السيد	٦١	جيب (٠. ١. ٠. ٥)	
٣٦	خليل ثابت	٦٢	غليوم (الفرد)	
٣٧	الدكتور طاه حسين	٦٣	بروكلن (كارل)	المانية
٣٨	الاستاذ عباس محمود المقاد	٦٤	ريتر (٠. ٥)	
٣٩	عبد الحميد العبادي	٦٥	هارتمان (ريشارد)	
٤٠	الدكتور عبد الوهاب عزام	٦٦	فيليب حتي	الولايات المتحدة
٤١	الشيخ محمد الخضر حسين	٦٧	سارطون (جورج)	
٤٢	الأمير يوسف كمال	٦٨	برتل (اينيكين)	الاتحاد السوفياتي
٤٣	الأستاذ حمد الجاسر الملكة العربية السعودية	٦٩	غومز (اميليو غارسيا)	اسبانية
٤٤	خير الدين الزركلي	٧٠	الدكتور اشتولز (كارل)	النمسة
٤٥	حسن حسني عبد الوهاب تونس	٧١	الاستاذ موجيك (هاتز)	
٤٦	محمد البشير الابراهيمي الجزائر	٧٢	ماهر (ادوارد)	المجر
٤٧	عبد الحمي الكتاني مراکش	٧٣	جبرائيل (فرنسيسكو)	ايطالية
٤٨	محمد الحجيوي	٧٤	الدكتور شخت (يوسف)	هولاندة
		٧٥	الاستاذ بدرسن (جون)	الدانيمرك
		٧٦	كرسيكو (يوخنا هتن)	فلاندة

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

٢٩	الأب لويس شيخو	لبنان
٣٠	الشيخ عبد الله البستاني	„
٣١	الاستاذ جبر ضومط	„
٣٢	عبد الباسط فتح الله	„
٣٣	الشيخ عبد الرحمن سلام	„
٣٤	مصطفى الغلاييني	„
٣٥	الاستاذ عمر الفاخوري	„
٣٦	بولص الخولي	„
٣٧	امين الريحاني	„
٣٨	الامير شكيب ارسلان	„
٣٩	الشيخ ابراهيم منذر	„
٤٠	الاستاذ جرجي بني	„
٤١	الشيخ احمد رضا	„
٤٢	سعيد الكرمي	فلسطين
٤٣	الاستاذ نخلة زريق	„
٤٤	الشيخ خليل الخالدي	„
٤٥	الاستاذ عبد الله مخلص	„
٤٦	محمد اسعاف النشاشيبي	„
٤٧	محمود شكري الآلومي	العراق
٤٨	جميل صدقي الزهاوي	„
٤٩	معروف الرصافي	„
٥٠	طه الراوي	„
٥١	الاب انتاس مارني الكرمل	„
٥٢	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	مصر
٥٣	رفيق العظم	„
٥٤	اجد كال	„
٥٥	احمد تيمور	„
١	الشيخ طاهر الجزائري	سورية
٢	سليم البخاري	„
٣	مسعود الكواكبي	„
٤	الاستاذ الياس قديمي	„
٥	أنيس معلوم	„
٦	جميل العظم	„
٧	سليم عنخوري	„
٨	عبد الله رعد	„
٩	رشيد بقدونس	„
١٠	اديب النقي	„
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	„
١٢	الاستاذ معروف الأرناؤط	„
١٣	السيد محسن الأمين	„
١٤	الاستاذ الرئيس محمد كرد علي	„
١٥	محمد البزم	„
١٦	سليم الجندي	„
١٧	الأب جرجس شلحت	„
١٨	جرجس منش	„
١٩	الاستاذ قسطنطين الحمصي	„
٢٠	الشيخ كامل الغزي	„
٢١	الاستاذ ميخائيل الصقال	„
٢٢	الشيخ بدر الدين النعساني	„
٢٣	راغب الطباخ	„
٢٤	عبد الحميد الجابري	„
٢٥	الدكتور صالح قنبار	„
٢٦	الشيخ سليمان الأحمد	„
٢٧	الاستاذ ادوار مرقص	„
٢٨	حسن يهيم	لبنان

٥٦	الاستاذ احمد زكي	مصر	٨٥	الاستاذ ميشو بلير	فرنسة
٥٧	الدكتور يعقوب صروف	≈	٨٦	مرجليوث (د.س) انكلترة	≈
٥٨	السيد محمد رشيد رضا	≈	٨٧	بفت	≈
٥٩	الاستاذ حافظ ابراهيم	≈	٨٨	براون (ادوارد)	≈
٦٠	احمد شوقي	≈	٨٩	كرينكو (فريتز)	≈
٦١	الشيخ احمد الاسكندري	≈	٩٠	هومل	المانية
٦٢	الاستاذ اسعد خليل داغر	≈	٩١	ساخاو (ادوارد)	≈
٦٣	داود يركات	≈	٩٢	هوروفيتز (يوسف)	≈
٦٤	الدكتور امين المعلوف	≈	٩٣	هارتمان (مارتين)	≈
٦٥	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	≈	٩٤	ميتفوخ (اوجين)	≈
٦٦	الشيخ عبد العزيز البشري	≈	٩٥	اغناطيوس غولد صيهر	المجر
٦٧	الدكتور احمد عيسى	≈	٩٦	ماكديفالد (د.ب) الولايات المتحدة	≈
٦٨	الأمير عمر طوسون	≈	٩٧	هرزفالد (ارنست)	≈
٦٩	الشيخ مصطفى عبد الرازق	≈	٩٨	كراتشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي	≈
٧٠	الاستاذ انطون الجميل	≈	٩٩	آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية	≈
٧١	خليل مطران	≈	١٠٠	لوبيس (دافيد) البرتغال	≈
٧٢	ابراهيم عبد القادر المازني	≈	١٠١	جويدي (اغنازيو) ايطالية	≈
٧٣	محمد لطفي جمعة	≈	١٠٢	فاليانو (كارلو)	≈
٧٤	الدكتور احمد امين	≈	١٠٣	غريفييني (اوجينيو)	≈
٧٥	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر	١٠٤	مونت (ادوارد) سويسرة	≈
٧٦	الاستاذ زكي مغامر	توكية	١٠٥	هنس (ج.ج)	≈
٧٧	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران	١٠٦	كوفالسكي (ت) بولونية	≈
٧٨	الحكيم محمد اجل خان	الهند	١٠٧	موزل (الوا) تشكوسلوفاكية	≈
٧٩	الاستاذ فران (جبريل)	فرنسة	١٠٨	هورغرينيه (سنوك) هولاندة	≈
٨٠	كليمان هوار	≈	١٠٩	اراندوك (ك)	≈
٨١	بوقا (لوسيان)	≈	١١٠	هوتسما (م.ت)	≈
٨٢	مالتجو	≈	١١١	بوهل (ف.م.ت) الدانمارك	≈
٨٣	كي (أ.أ)	≈	١١٢	الاستاذ استروب (ج)	≈
٨٤	رينه باسه	≈	١١٣	سترمين (ك.ف) السويد	≈
			١١٤	سعيد ابوجرة	البرازيل



وفاء الأمازيغ سليم الحنري

١٩٥٥ - ٢٠٠٠ م

وفاة الأستاذ سليم الجندي

في اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ (٢٤ - ١٠ - ١٩٥٥ م) استأثر الله بالأستاذ محمد سليم الجندي عضو مجمعنا العلمي العربي ، فكان لنعيه رنة أمى في قلوب إخوانه من أعضاء المجمع وأصدقائه وني مجامع العلم والأدب في الشام والأقطار العربية فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ولد الفقيه في معرة النعمان سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) من أسرة عريقة في العلم والفضل يتصل نسبها بالعباس بن عبد المطلب ، وشدا في المعرة شيناً من النحو والفقه ، ثم انتقل به والده السيد تقي الدين إلى دمشق وتوطنها وهو في أول العقد الثالث من عمره ، فقرأ على علمائها وأدبائها وشارك في أكثر علوم عصره ونجح في العربية وعلومها وآدابها وتاريخها وتمكن من الفقه والتوحيد والحديث والعلوم الرياضية والطبيعية ...

فلما قام الحكم الفعلي في دمشق عين الأستاذ الجندي مئشاً في ديوان الحاكم العام وأخذ إلى جانب ذلك بالتدريس في مدرسة الكتاب والمئشئين التي خصصت لموظفي الحكومة ، وكان من غاياتها إصلاح لغة دواوين الحكومة ، فأخذ يقوم المعوج منها ويصحح الفاسد من لغة الجرائد ، وانضم آنئذ إلى جمعية (الرابطة الأدبية) . وانتخب في سنة ١٩٢٢ م عضواً في المجمع العلمي العربي فأزر في إنجاح أغراضه ونشر في مجلته كثيراً من الأبحاث القيمة المفيدة . وقد سمي بعد قليل مدرساً للعربية في بعض المدارس الثانوية بدمشق وفي مدرسة الأدب العليا في الجامعة السورية فأفاد طلابه الكثير من علمه وأدبه ونهلوا من فضله وخلقه ، إلى أن أحبل على التقاعد سنة ١٩٤٠ م . ثم عهد إليه بعدئذ بإدارة الكلية الشرعية وظل قائماً بها حتى سنة ١٩٤٨ م .

كان الفقيه لطيف المعاشرة ظريف التهمك حاضر النكتة بارع الحديث قوي الحجة جم التواضع نبيل الخلق ، وكان إلى ذلك نقادة للمجتمع والكتب ، لا يجيب سائله إلا بثبت ومراجعة فلا يلقى الكلام على عواهنه وهذا شأن العلماء المحققين .

وقد تخرج على الفقيه كثير من أدباء الشام وعلمائها ، وأحبا الكثير من شوارد ألفاظ العربية واستحدث مصطلحات فصيحة تشتد حاجة العصر الحاضر إليها وكثير لكثير منها الذبوع والانتشار .

أولع الأستاذ الجندي بأبي العلاء المعري وعكف على دراسة آثاره المعروفة كلها ، حتى أصبح حجة في فهم تصانيف المعري وألف في ذلك كتباً لم تنشر بعد . فلما أقام المجمع العلمي العربي مهرجان المعري لمناسبة مرور ألف سنة على مولده قام الفقيه بتحقيق (رسالة الملائكة) لأبي العلاء عن مخطوطة وحيدة في العالم موجودة في (دار الكتب الظاهرية) . و (رسالة الملائكة) هذه رسالة ثمينة لا تقل عن (رسالة القرآن) في الكثير من خصائصها .

نشر الفقيه كثيراً من الكتب التي قام بتأليفها أو تحقيقها ، ككتاب (معاني الشعر) لأبي عثمان الاشناندي وقد صححه مع بعض إخوانه ، وكرسائله التي ألّفها عن النابغة الذبياني وامرئ القيس وعلي بن أبي طالب وابن المقفع وعن الكرم وعن الطرقي وكتابه (عدة الأديب) ، كما اشترك مع بعض أدباء الشام في تأليف سلاسل من الكتب اختاروها من عيون تراثنا الأدبي ككتب (الطرف) و (المستظهر) .

على أن كتبه التي لم تزل مخطوطة أكثر من التي نشرت ، ومن أجلها كتابه في تاريخ المعرة .

رحم الله الفقيه رحمة واسعة كفاه خدمته لغة قرآنه وحرصه عليها ونشره لها .

شرح لزوم ما لا يلزم^(١)

- ٢ -

أعود الى نقد شرح اللزوميات . وعذري في تأخير هذا المقال أني طوّحت
بيّ الأسفار ، فلم أطلع على مجلة المجمع ، ولم أدر أن مقالتي الأولى بلغها فنشرته
إلا بعد شهرين من نشره . ثم استأنفت السفر بعد اطلاعي عليه ، فلم أجد للكتابة
فراغاً ، فغسي أن بعذرتي القارئون .
وبعد فتتظر في شرح اللزوميات :

اللزومية الثامنة والثلاثون

البيت الأول :

ليشغلك ما أصبحت مرتقباً له عن العيب يبدى والخليل يؤنب
هكذا شكاه الشاعر . والصواب والخليل بالكسر عطفاً على العيب .
يعني ليشغلك ما ترتقبه في هذه الدنيا من البلاء والفناء ، عن إبداء عيب الناس
وتأنيب الخليل .

اللزومية الحادية بعد الأربعين

فلا تيسر فخاراً ، من الفخر ، عائد الى عنصر الفخار ، للنفع يضرب
لعل إناه منه يُصنع مرة فبأكل فيه من أراد ويشرب
المعنى يبين . يريد أبو العلاء : لا يكن فخاراً ، أي كثير الفخر ، من هو
عائد الى أن يكون فخاراً فيضرب للنفع أي تُصاغ منه آنية يتنفع بها .
وهذا ما يقته في البيت الثاني : لعل إناه الخ .

(١) تمة لما نُشر في الصفحة ٤٩١ من المجلد الثلاثين

ويقول الشارح : « وللتفهم يضرب أي هذا حديث يساق ليفيد الناس منه عظة وعبرة » .

فانظر كيف حاد عن المعنى وقطع سياق الكلام .

اللزومية السادسة والأربعون

أثومني بالمرء أنك ناعمي وما أنت إلا في حبالك جاذب
المعنى واضح . يقول الشاعر : أتمكر بي لتومني أنك تريد تقني ، وأنت
لا تفر التفرع إلا إلى نفسك ، تجذب في حبالك أنت لا في حبال غيرك .
فانظر ما يقول الشارح :

والجبال جمع جبل ما يصاد به . . إلى أن يقول : « والجذب المدة . أي
موسم لي في وسائل الإغواء لتصبب مني مقتلاً . وقد تكون الجبال جمع
جبل بمعنى العهد والذمة والتواصل . ويكون الجذب هنا بمعنى القطع ويكون
المعنى أنه يجبل له أنه على عهده ووده وهو يكتيد له ويمكر به » اهـ .
فانظر كيف بعد عن القريب ، وحاد عن الواضح .

اللزومية الخمسون

لائسأل الضيف ان أطمعته ظهراً ، بالليل : هل لك في بعض القرى أرب؟
والصواب ظهراً بضم الميم ليستقيم الوزن مع الأبيات الأخرى .

اللزومية الرابعة والخمسون

في البدو خراب أذداد مسومة وفي الجوامع والأسواق خراب
فهؤلاء تسوا بالعدول أو التسجار وامم ألاك القوم أعراب
يقول الشارح :

« والعدول الذين يعدلون ولا يميل بهم الهوى . الواحد عادل » .

وظاهر أن المدول جمع عدل وهم الشهود الممدّون الذين كانت الناس
يستشهدون بهم ويسجلون عندهم فيقبل القضاة شهادتهم . فهذا معنى خاص ، غير
معنى العادل على إطلاقه .

اللزومية الخامسة والخمسون

يقول فيها أبو العلاء :

أرى مُجنحَ الدجى أوفى جنحها وماتَ غرابُه الجَوْنُ المَرِبُ
فما للنَّسرِ ليس يطير فيه وعقرِه المُضِبَّةُ لا تَدِبُ

ويُنَّ أن الشاعر يريد أن يقول أن الظلام بسط جناحيه على العالم وليس لهذا
الليل انجلاء . أعزب عن هذا بقوله : ومات غرابه . يعني أنه لا يتحرك .
وقديماً شبه الشعراء الليل بالغراب . وزاد على هذا سؤاله : كيف لا تزول كواكب
هذا الليل كما تزول الكواكب في الليالي . فنسره لا يطير وعقره لا تدب .
هذا يَنُّ من لفظ الشاعر ومن مذهب أبي العلاء في التشاؤم وتصوير العالم
مظلاً لا يزول ظلامه ولا يتجلى نهاره .

فانظر ما يقول الشارح : « ويريد بموته (موت غرابه) انهزامه وفناءه أمام
جيوش النهار، أي أن ظلامه مما اشتدت حلكته فهو إلى انتشاع » .
ويقول :

« أراد بطيران النسر وديب العقرب حركتهما في مدارهما : أي أنه مع
انتشاع الليل لا ترى النجوم . وكذلك الأمور إلى تبدل » . اهـ .
ولست بحاجة إلى بيان حيد الشارح عن المعنى وتعمقه الطريق . فادع
هذا للقاري .

اللزومية السادسة والخمسون

أقرّوا بالآله وأثبتوه وقالوا لانيّ ولا كتاب
ووطء بناتنا حلّ مباح رويدكم فقد بطل العتاب

يقول الشارح :

«وظاهر أنه يشير الى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب السماوية والتشكيك فيها والوطء الذكاح ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج الخ» .

وأنا لا أذهب الى أن الشارح لا يعرف فرق ما بين الخوارج والباطنية ، ولا يدري عقيدة الخوارج . وأحسبه أراد بالخوارج الخارجين على الدين ، لا الفرقة المعروفة في تاريخنا ! ولكنني آخذ عليه استعمال كلمة الخوارج هنا فيما قصد اليه . ففيها تضليل للقاري أو جلب تهمة الجهل الى الشارح .

اللزومية المتبعة للستين

جرى بفراق جبرتنا 'غراب' فُعال من مقالتهم 'غريب'
يقصد الشاعر أن الغراب مشتق من الغربة على وزن فُعال . وغريب مقول
مقالتهم ، أي « غراب » هو وزن فُعال من قول القائل « غريب » .

فانظر ما يقول الشارح اللغوي :

والفُعال بالضم ما تصاغ عليه مصادر الثلاثي الدالة على صوت أو داء . جعل
مقالتهم هذه وادعاءهم ما ادّعوا على الغراب من التصويت والصياح والمصراخ
كانتهم فيها والغريان سواء .

وقال الشارح المعنوي :

«وما أحسب الناس أخطأوا في شيء خطأهم في تسميته واستقامة لفظه من

الغربة أو القرية • فما هو بالغريب ولا المغرب • إنما هي حياتنا أنبات بموتنا ،
ووجودنا تنبأ بقنائنا » •

وأنا أكل الى القارئ أن يستنبط هذا القول أو ذاك من كلام المعري إن
استطاع ، أو أن يجمع بين هذين التفسيرين المختلفين المتباعدين البعيدين
مما أراد الشاعر •

اللزوميه الثالثة والستون

تنادوا ظاعنين غداة قالوا أصاب الأرض من مطر نصيب
لعل شوائمكم رمت وميضاً تبيد وما لها فيها نصيب
وقد تنجو النفوس بأرض جدد ويهلك أهل المكني الخصب
هذا على طريقة أبي العلاء في التشاؤم وارتعاب الهلاك في كل منجاة ، والنهي
في كل بشارة •

يقول : يظعن الناس الى مواقع القطر مستبشرين ، وما بدرهم لعل الذين يشيرون
البرق فيفرحوا به يبيدون قبل أن ينتفعوا بالمطر فلا ينالون نصيباً مما ينبت •
وان أدركوا المطر وأخصبوا فما بدرهم لعل النفوس تنجو بأرض مجدبة وتهلك
بأرض مخصبة •

فانظر ماذا يقول الشارح :

« إنما أنتم رواد غيث ، ومنتجعو مرعى • قد شتم البرق فرجئتموه ، وأملتم
المطر فثبتم مواقعه • وربما أعياكم السحاب فلم تدركوه • وربما أخطاكم الظن
فكان يرقم خلباً وسجاىكم جهاماً » اه •

ويرى القارئ أن أبا العلاء لم يذكر عدم إدراك السحاب ولا البرق الخلب
والسحاب الجهام بل قال لعل شائم البرق يبيد ولا ينال نصيباً منه • إن هذا

الكلام وذلك من مذهب أبي العلاء ولكن ينبغي أن تفسر الألفاظ بمعانيها ،
ولا يعدل عنها الى معان أخرى ليست لها وان كانت قريبة منها .

اللزومية الرابعة والستون

شهدت فلم أشاهد غير نُكْرَ وغَيْبني الْمُنَى فمَنى أغيب
هكذا ضبط الشارح « غَيْبني الْمُنَى » وشكل الميم بالضم والفتح وقال :
وَالْمُنَى بالفتح القدر وبالضم والكسر جمع مُنْيَةٍ وَمُنْيَةٍ بالكسر أيضاً .
فعلى الأولى فالمعنى أن القدر قد قضى عليه بأن يوجد في هذا الوجود
ذي النكر وجعل الوجود فيه تغيباً لأنه حبس للأرواح .
وعلى الثاني فالمعنى أن الأمانى غَشَّتْ به على الأفئدة والألباب وضربت
عليها الحجاب » اهـ .

وأقول : الأمر أبسر والمعنى أقرب من هذا الشطط ، وقد أوقفنا التحريف
في هذا التعريف . وصواب الجملة وغَيْبني الْمُنَى فمَنى أغيب . يعني أنه يشهد
النكر في هذه الحياة ، ومناه أن ينسب عنها فمَنى فتتاح له الغيبة أي الموت .
والتحريف في هذا البيت وأبيات أخرى بدعونا الى أن نسأل الشارح : علام
اعتمد في ضبط الكتاب ؟ وعلى أي الأصول عول ؟ فهو لم يذكر شيئاً عن
النسخ التي اعتمد عليها . وكثير من الغلط في الشكل حملته على المطبعة .
ولا أدري لعل الشارح تبع فيها نسخاً مغاظة والمطبعة بريئة .

اللزومية الرابعة والسبعون

أقررتُ بالجهل وادعى قَهَمي قومي فأمرني وأمرهم عَجَب
هكذا ضبط « قَهَمي » بسكون الهاء والعروض التي بنيت عليها الأبيات تقتضي
التحريك « قَهَمي » وهي لفظة مستعملة بل هي أخف وأفصح من قَهَم بالتسكين .

اللزومية الخامسة والسبعون

ما الثريا عنقود كرم مُلاحي ولا الليلُ يانع غريب
وتأى عن مُدامة شفقِ التغريب فليتنق المليكُ الليبُ
هكذا شكل المليكُ بضم الكاف والصواب فتحها أي فليتنق الليبُ المليك
وهو الله تعالى .

وفي شرح هذه اللزومية مثال مما يأخذه القارئ على الشارح كثيراً من اتباع
الأقوال الغريبة ، والمصادر التي لا يعول عليها في موضوعه .
فهو يقول في تفسير الكرم أن أصله الكرم وهو مصدر وصف به الغن
لما دُلَّ من قطوفه وكثر من خيره الخ .
ويزيد الشارح : قال أبو بكر ويعنى الكرم كرمًا لأن الخمرة المتخذة
منه تبحث على السخاء والكرم .
وهذا اشتقاق بعيد وتأويل غريب .
وأما هذا التأويل والتخرُّج غير المقبول بلقى القارئ كثيراً في صفحات
الكتاب .

ويقول الشارح في تفسير بيت في هذه اللزومية ذكر فيه جالينوس :
قال المسعودي : كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة .
أقول ليس المعول في تاريخ جالينوس على المسعودي وأمثاله بعد أن انضح
تاريخ اليونان وعرفه المتأخرون تفصيلاً وأوسعوه بحثاً وتقداً .

وفي هذه اللزومية :

سبب الرزق للإتام فما يقيطع بالعيجز ذلك النسيب

كذلك شكل الشارح يقطع وقال في الشرح :

« هو يَقْطَع بهذا الأمر أي قد انتهى الى صوابه فهو يجزم به » .
أي لا يصح أن يكون هذا التسبب مما يعملنا نستكن ونرضى بالحياة عجزاً
وخنوعاً » .

والصواب في اللفظ والمعنى والأشبه بمنهج الشاعر :

فما يُقْطَع بالعجز ذلك التسبب .

أي سبب الرزق للأنام فتال رزقه القوي والضعيف ، والقادر والعاجز
فما ينقطع سبب الرزق بالعجز .

ويمتنع المعنى الذي ذهب اليه الشارح أمران : الأول انه لا يجوز أن يقال
سبب الرزق فلا يجوز العجز فان العجز ليس اختياراً . والثاني أن ما بعد الفاء
لا يجوز أن يبنى على ما قبلها ان كان المعنى كما ذهب اليه . لا يقال الرزق
سبب فلا يجوز الاستكانة والرضا بالحياة عجزاً وخنوعاً ، بل يقتضي ترتيب
الكلام أن يقال الرزق سبب فلا ينبغي الجد والكدح .

هذا بعض ما أخذته على شرح لزوم ما لا يلزم النظر العابر والنقد الموجز
غير المستقصى وعسى أن تبرأ الأجزاء الآتية من مثل هذه المآخذ .

(جُدة)

عبد الوهاب عزام

ملاحظات على

ديوان النابغة الشيباني

المطبوع بناية العلامة أحمد نسيم في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١

- ٢ -

كنا نشرنا في الجزء الرابع من المجلد الثلاثين (ص ٦٨٤) الشطر الأول من ملاحظات المستشرق المرحوم الأستاذ سالم الكرنكوي على ديوان نابغة بني شيان . وهذا هو شطرها الثاني :

صفحة سطر

- ٣٣ ، ٤ : مبدلة بكسر الباء .
- ٣٤ ، ٢ : الأصل أن تَخَطَّت يَصِيد .
- ٩ : الأصل أبار بارت براءين .
- ١٠ : في هامش الأصل خ ويروى وَخُلُّ .
- ١١ : في هامش الأصل وَيُيْدِي أي بدل يَتَضَي .
- ١٣ : الأصل مَنَحِب بكسر الجيم .
- ٣٥ ، ٢ : الأصل إِلَّا تَقَى .
- ١٠ : الأصل مَطْلَع بكسر اللام .
- ١٢ : الأصل بَغِيض بالفاء .
- ٣٦ ، ٤ : الأصل يَخَالِقُه .
- ٣٧ ، ٣ : الأصل دَقِيقِي الخَصِر بالدال .
- ٤ : الأصل يُعْيِشُنِي .
- ٨ : الأصل فَمَقْرُور كَذَا وهو غلط .
- ١٠ : الأصل تَفْعَطُ بالعين .

صفحة	سطر	
٣٧	١٢	الأصل أبو كرب .
٣٨	٧	الأصل والمُعجبة بفهم الميم وكذا في الشرح .
	١٥	الأصل بني عمرو بن همام .
	١٦	الأصل شوش قرأت أنا هند بن همام أو قيس بن همام .
٣٩	١	الأصل مَدَّة عَافِيَةٍ .
	٣	الأصل به عُنُقَ آلُ سَامَةَ ، وحديث بني سامة بن لؤي مع مصقلة بن هبيرة مشهور .
	١٢	من بني أبي ربيعة .
	١٣	الأصل الذي أتى - قيصة وهاني بن مسعود .
٤٠	١	أبو ثبيت الخ في الأصل أبو مستهرس سعيد بن همام .
٤١	١	زاد الأصل في آخر الشطر ويروى بحُرْمَتِهِ .
	٧	في هامش الأصل خ ينفعك .
٤٣	١٣	في الأصل لقروشنا بالقاف .
٤٤	١	الأصل امتحاء .
	٣	زاد في الأصل ك بعد من كوة : أو جيش .
	٦	الأصل ورجات .
	٧	الأصل عَوْد .
٤٦	٨	الأصل فَنَاجِيَتُ .
٤٨	٢	الأصل لَمُفْرِغٌ بِكسر الراء .
٤٩	١	الأصل أَوْوَم .
	٨	الأصل ويروى يُجُوبُ على ذوائبها .
٥٠	٥	الصواب مَمَدَّة بفتح الميم .

- ٥١ ، ٢ : الأصل قَحْمٌ بالقاف .
- ٣ : هامش الأصل نخ تلنا - أي 'تلقَى' .
- ٥٨ ، ١ : الأصل في رَقَاقٍ بفتح الراء .
- ٩ : الأصل تَنْدَى .
- ١٠ : الأصل 'بُنْدِي' .
- ١٢ : ليس في الأصل لفظ قوي .
- ٥٩ ، ١١ : هذا الشرح ليس في الأصل .
- ٦٠ ، ٤ : الأصل غيهم بالمعجمة .
- ٦١ ، ٤ : في هامش الأصل الأرجوان - شرحاً للباغض .
- ٨ : الأصل مُصْنَعَت .
- ٦٣ ، ٢ : الأصل ذَلْ بالذال وكتب تحته : ودَقْ .
- ١١ : الأصل فُجِحاق بكسر الميم وضمها معاً .
- ١٣ : الأصل نَعْمًا بالقاف .
- ٦٤ ، ١٠ : الأصل يركب بكسر الباء .
- ٦٥ ، ٦ : في هامش الأصل عذاب ماء .
- ٨ : الأصل مُنْقَلِج .
- ٦٦ ، ٢ : الأصل ذات تاي - والصواب ذات ثأى بالثلثة .
- ٦٧ ، ٤ : الأصل 'تشبع بضم التاء' ، يبعه شرح : اقصت أي قد لقت .
- ٦ : الشرح في الأصل هكذا 'مِرج ذبال نار الجباحب' .
- ٦٩ ، ٢ : الأصل جاء بِلِيلٍ بيهيز في أدغال ، والوزن لا يستقيم .
- ٨ : الأصل القعم بالقاف - يُنبال بكسر التاء .

صفحة سطر

- ٦٩ ٤ ١١ : الأصل بالخفال بعلامة إهمال الحاء .
- ٧٠ ٤ ١ : الأصل المبشرين بضم العين .
- : الأصل كبت بالياء .
- ٧١ ٤ ١ : الأصل فاذا أبرزت جفان من الشيزي ...
- ٧٢ ٤ ١ : الأصل تزني بفتح التاء وكسر الفاء .
- ٤ : الأصل اذ حُدِّجت .
- : الأصل مناعمة .
- ٧٣ ٤ ٢ : الأصل تزها - أي تزعمي .
- ٧٤ ٤ ٧ : الأصل فيثيان .
- ٧٥ ٤ ٦ : لم أجد هذا السطر في الأصل .
- ١١ : الأصل يُعتنى .
- ٧٦ ٤ ٢ : الأصل ظهرت حاجتي بما قلت .
- ٧٨ ٤ ٥ : الأصل عودٌ يُجِدُّ .
- ٦ : الأصل مسنفة بكسر النون .
- ٧٩ ٤ ٣ : الأصل حشَدَت .
- ٤ : الأصل لها كباش .
- : الأصل مقضوب أحب إليّ ، يفضيها .
- ٧ : الأصل ثَمَّتْ تَنَامَتْ .
- ٨ : الأصل رِبَطًا بكسر الراء .
- ٨٣ ٤ ١ : الأصل يلبك بكسر اللام .
- ٣ : تمبيد .
- ٨ : هامش الأصل خ وتثيش .
- ٩ : هامش يحش ديف (كذا) .

- ٨٥ ، ١٣ : الأصل خصية كما طبع ولكن الصواب حُصْيَةٌ بالخاء المهملة
من الحُصٍّ وهو الزعفران . .
- ٨٦ ، ١٤ : الأصل هي الشُّدُق بضم الشين جمع اشدق .
- ٨٧ ، ٧ : الأصل يَحْبَوْنَ (كذا) .
- ٨٨ ، ٤ : الأصل عاضات . . للكُبْش بضم السين وفي الهامش كَتَبْش وكُبْش .
- ١١ : الأصل والحشو ما في بطنه (بكسر الحاء وبغير هاء) . . .
- حتى مرّقى بحيشوته .
- ٨٩ ، ٧ : الأصل ذاك فِعْلِي . . . غير .
- ١١ : الأصل من رُحْبَةٍ .
- ١١ : الأصل رُحْبَةٍ .
- ٩٠ ، ١٠ : في الأصل شغل كما في المطبوعة والصواب شَعَلَ بالعين .
- ٩١ ، ٣ : الأصل له سحيفة .
- ٦ : الأصل توى المزالي مُقْبَاً .
- ٩٢ ، ٢ : كتب تحت فالتبت : وفالتفت . . رواية أخرى .
- ٩٣ ، ٤ : مؤتلفا بالفاء أي أُنْفَا .
- ٥ : الأصل المسقولة بالسین لعلها لغة بني شيبان .
- ٧ : الأصل إن شج .
- ١٠ : الأصل نخوته .
- ٩٤ ، ٤ : الأصل مفاصلها . . . من دُقْها (كذا) .
- ٧ : الأصل الرعيان تعهدا .
- ٩٥ ، ٤ : الأصل كما يَنْبُ .
- ٩٦ ، ٥ : الأصل ان جاءت وان عظمت . .

صفحة	سطر	
٩٧	٥	• الاصل تحوى لما حوّل
٩٨	٤	• الاصل ثَقِلْ
	٦	• الاصل تَمَّا لَكُهَا
	٨	• الاصل صِعْرًا وَهِيَ قَدْ ذَبَلْتُ ... قَدْ ذَبَلْتُوا ، بضم الباء
٩٩	٤	• الاصل يُوَوِّث (كذا)
١٠٠	٤	• زاد في الاصل لكثرة الجراحات
١٠٢	١	• الاصل قَرِحُ بالقاف
	٦	• الاصل قَلْتَمِيعُ
١٠٣	٧	• الاصل حَنَاها
١٠٤	٣ و ٤	• الأُصل شَقُّ بضمين - ما المتندي
	٦	• الأُصل الأَرِخ بكسر الألف
	٧	• الاصل المَعْقَر بالعين وتشديد الفاء
	٤	• الاصل قِدَح بكسر القاف
١٠٥	١	• الاصل خَائِفَةٌ
	٢	• الاصل صرفت بالراء
	٤	• الاصل مَعَج بجاءين أي مِيعَن
١٠٦	١	• الاصل رَفْسَتَا
	١١	• الاصل صَأَحُوا بضم اللام
	١٢	• الاصل مَتَعِيج بكسر الصاد
١٠٨	١	• الاصل والمجد بذخر
	٧	• الاصل داود ثَقِل
	٨	• الاصل واحي

- صفحة سطر
- ١٠٨ ، ١٣ : هذه الورقة فيها ثقب ديدان صبة القراءة فقرأت أنا
- كان حولها ورجلها .
 - ١٠٩ ، ١ : قرأت من كتلتها .
 - ١١٠ ، ٥ : الاصل يَسُحُ بضم السين .
 - ٧ : قرأت أنا تمامها بدل قوامها .
 - ١٠٠ : الاصل نُثِبَ .
 - ١١١ ، ٤ : الاصل 'جلالما - أي 'جلى لغة بني شيان في جلبي .
 - : الاصل تمامها .
 - ١١٢ ، ١ : الاصل حتى اذا أغت ومات حَفَشَ الاكلام ...
 - والصواب مات بالثلثة وكذا في سطر ٢ .
 - ٣ : الاصل مَبَعَّة بفتح العين .
 - ١٠ : الاصل رُحْمًا بعلامة إهمال الحاء .
 - ١١٣ ، ٢ : الاصل عِنَاؤُهَا بكسر العين .
 - ١١٤ ، ٣ : الاصل يُثْبِي .
 - ١١٦ ، ٤ : الاصل غَمَضَ .
 - ١١٧ ، ٥ : الاصل صادفت بالفاء .
 - ١١٨ ، ١ : الاصل فأقتل .
 - ٦ : الاصل عَنَا (كذا) .
 - ١١٩ ، ٢ : هذا السطر من زيادات الشنيطي .
 - ٣ : الاصل المحارص (كذا) وهو تمهيف ظاهر .
 - ٨ : التفتض بكسر التوف .

صفحة سطر

- ١٢٠ ، ٥ : هذا الطر ليس في الاصل .
- ١١ : الاصل ورجاح .
- ١٢ : الاصل تَخَشَّ يوماً ذلّة .
- ١٤ : الاصل مدرَّب بكسر الراء .
- ١٢١ ، ٣ : الاصل مُتَجِيزٌ .
- ٨ : فقال يعتق : ليس في الأصل .
- ١٠ : في الاصل حِنَافَه . اُظْه غلطاً .
- ١٢٢ ، ١ : في الاصل ولا يرواح .
- ٤ : في الاصل القَفَاح يفتح القاف وهو غلط .
- ٥ : في الاصل في الترنيد بكسر الفاء والراء وهو غلط .
- ١٢٥ ، ٧ : في الاصل حَسود دوزانية .
- ٢ : في الاصل خاف بالضاد المعجمة .
- ٩ : في الاصل وردني أهل وذوي .
- ١٢٦ ، ١ : الاصل مَن م .
- ٦ : في الاصل هذا بهذا .
- ٨ : في الاصل والحنف بعلامة اجمال الحاء والتاء المثناة .
- ١٢٧ ، ٢ : في الاصل يَهْيَش بكسر الهاء .
- ١٢٨ ، ٣ : في الاصل يَمْلِئُهَا بكسر الميم فاللام .
- ٥ : في الاصل المِهْمَر بكسر الهاء .
- ٧ : في الاصل مَرَقَّع بالفاء .
- ٩ : في الاصل يحار اِيضار .

صفحة	سطر	
١٢٨	١٢	في الاصل المستقى بفتح القاف .
١٢٩	٨	في الاصل "تحتى بفتح التاء وفي الهامش خ وتحتى بلا شكل أي تحتى .
١٣٠	٣	في الاصل من دارها قذف .
١٣١	٨	في الاصل يقدّمها عرفاء عنزباء بعلامة إهمال العين .
١٣٢	١٠	في الاصل بأكيك التحض .
١٣٢	١	في الاصل بناها الدرث .
	٢	في الاصل بناها الدرث بتقديم الثوث .
	٣	في الاصل ذلاً يوم تمثرف .
	٧	البرق .
١٣٣	٥	في الاصل ويروى كالقد يسوسها ، ويسوسها الخ .
	٦	في الاصل. دينا بكسر الدال وكذا في الشرح .
ثم تبقى أشياء غير مهمة اختلفت الطبعة عن النسخة الأصلية التي نقلت عنها ولا شك نسخة الشنيطي التي في خزانة دار الكتب بالقاهرة ، مثلاً ورد لفظ يعف في جميع المواضع بفتح الفاء بدل الضم فلا أدري هل هي لغة بني شيبان أم غلط من الناسخ ويظهر أن الشنيطي إما كتب نسخته عجلاً أو غير رواية الأصل عمداً لأنه رأى في رواية الأصل أواماً من كاتب النسخة والنسخة الأصلية جيدة الكتابة تامة الشكل إلا أن التصاویر ليست عندي اليوم فلا يمكن الرجوع إليها .		



رسالة فيما اشتهر من العلوم والعلماء

وقفتُ على هذه الرسالة وهي مما أطلع عليه بعضُ علماء طهران عاصمة إيران الإمام العلامة البجائية المرحوم السيد محسن الأمين عضو المجمع العلمي العربي المتوفى سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) فكتبتها بخطه وعنه نقلتها في ذلك البلد ولم يذكر فيها اسمُ مؤلفها ولا عصره ولكن يشعر ذكره لآخر رجل من علماء الآخرة وسنة وفاته وهي سنة ٨٩٥ أنه من رجال المائة العاشرة الهجرية ولم أقف على النسخة الأصلية لأصنفها وقد راجعت كشف الظنون فلم أجده للرسالة والمؤلف ذكرًا .
أما هذه الرسالة فيبين المؤلف غرضه من تأليفها بقوله في مفتحتها بعد البسملة والحمدلة والصلوة :

هذه رسالة ببهة ومقالة شبيهة فيها ما اشتهر من العلوم والعلماء ولم آلُ جهداً في استقراء الأواخر واستقصاء القدماء وأسأل الله تعالى أن يجعلني من العلماء الصالحين ويفتح علي أبواب الرحمة إنه خير الفاتحين .

وهذه المأمة بمحتوياتها تراها كافية في التدليل عليها ، ولعل في من يعني من الباحثين بترائنا العلمي وما خلفه لنا الأجداد ، وكثير منه لم يرزق الحظ بتكثير نسخه ، من يكشف عن مؤلفها القناع ، ابتداء الرسالة بتفصيل العلوم فقال :

العلم المدون صنفان أحدهما ما دونه علماء الاسلام والثاني الحكماء الذين كانوا قبل بعثة نبينا (ﷺ) . أما الأول فنه علم العربية المسمى بعلم الأدب وهو كما قال المحقق الشربف في شرح المفتاح : علم يحتز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً وكتابة . وينقسم على ما صرحوا الى اثني عشر قسمًا فمنها أصول هي العمدة في ذلك ومنها فروع .

فالأصول ما يبحث فيها اما عن المفردات من حيث جوهرها وموادها فعلم اللغة ومن حيث صورها وهيئاتها فعلم الصرف أو من حيث انتساب بعضها الى بعض

بالإصالة أو التفرعية فعلم الاشتقاق . واما عن المركبات على الإطلاق . فاما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى فعلم المعاني أو باعتبار كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح فعلم البيان واما عن المركبات الموزونة فاما من حيث وزنها فعلم العروض ومن حيث أواخر أبياتها فعلم القافية .

وأما الفروع فالبحث فيها اما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر أو بالمشور فعلم إنشاء النثر من الرسائل والخطب أو لا يختص بشيء فعلم المحاضرات ومنه التواريخ . أما البديع فقد جعلوه ذبلاً لعلمي البلاغة .

ثم ذكر تنبيهات ستة عرض فيها لإطلاق علم اللغة على جميع أقسام العربية وللإشتقاق الصغير والكبير وانه علم مستقل عن علم الصرف ولعلمي المعنى واللفظ ولتعريف علم العروض وعلم قرض الشعر ولأن علم البديع قسم مستقل من علم العربية وقال : ولعل قرض الشعر والإنشاء جزءان من البديع فانه عبارة عما تعرف به محسنات الكلام منظوماً كان أو مشوراً .

ومنه مما دونه علماء الاسلام علم التفسير وينقسم الى تفسير وهو ما لا يدرك إلا بالنقل كأسياب النزول والقصص وإلى تأويل وهو ما يمكن إدراكه بقواعد العربية . فالقول الأول بلا قلة خطأ . وكذا القول بالثاني بمجرد التشبي وان أصاب فيه . وقد يطلق التأويل على ما يفهمه أرباب القلوب الصافية بالإلهام والمكاشفة . ثم قال : وعلوم المكاشفات لا تقتفي عن ظاهر التفسير . ومنه علم الحديث وعلم القراءة وعلم الأمثال . ومنه علوم الكلام والفقه والأصول وعلم الجدل ويسمى علم الخلاف وعلم آداب البحث .

ومنه علم الآخرة، قال : وهو قسمان علم معاملة وعلم مكاشفة؛ فعلم المعاملة هو علم أحوال القلب بمحقاتها وأسبابها وثمراتها وعلاماتها سواء كانت محمودة كالصبر والشكر أو مذمومة كالحسد والحقد وقد أفاض في ذلك الكلام إفاضة ليست من غرضنا . ومنه علم طريق الآخرة . قال : وهو العلم بكيفية تصقل مرآة القلب عن الأخبث التي هي الحجاب عن الله عز وجل وعن معرفه صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيره بالرياضة وكف النفس عن الشهوات والافتداء بالأنبياء في جميع أحوالهم . وهنا أطال البحث وعرض فيه لضبط علوم الاسلام فقال : ان سعادة الانسان منوطة بثلاثة أمور (١) إطاعة الأوامر والنواهي البدنية من العبادات وأسباب انتظام أمور الدنيا . (٢) معرفة النفس والمبدأ والمعاد . (٣) معرفة الأوامر والنواهي وهي علم الفقه ومآخذها أصول الفقه . (٤) معرفة الأخلاق هي علم المعاملات ومعرفة النفس ونظائرها اما أن تحصل بالاستدلال أو بالتصفية والرياضة فمعرفة بالاستدلال هي الكلام ومعرفتها بالتصفية والرياضة هي علم المكاشفة والعلم الذي يعرف به طريق التصفية والرياضة هو علم سلوك الآخرة وإثبات المسائل الفقهية والكلامية موقوف على المناظرة وإخام المعاندين للدين فلا بد من تدوين آداب البحث وعلم الجدل ولما توقف تحصيل بعض من هذه العلوم وتكامل بعض منها على العلم بالقرآن والحديث . وان علم التفسير والقراءة ومخارج الحروف وعلم الحديث موقوفات على علم العربية وعدة معرفة هذه العلوم من فروض الكفاية وذكر اختلاف العلماء في تعلم علم الكلام هل هو فرض عين أم فرض كفاية وهل هو مباح أم محرم .

ثم عرف علم المنطق وبسط الكلام في تعريف الحكمة وتقسيمها الى عملية ونظرية وما يتفرع عنهما من العلوم وأطال في ذلك الكلام وكله جم الفائدة جدير بالمعرفة . وبعد فراغه من هذه المباحث الجليلة وتقريبها الى الأذهان غمد

الى تفصيل طبقات العلماء ممن حذقوا علما من العلوم وتاريخ وفياتهم مبتدئا بطبقة اللغويين ثم النحويين فأرباب المعاني فأهل العروض والشعر وأرباب الانشاء فاللغويين فالمنسرين فالحدثين فالقراء فالمتكلمين فالنقهاء ثم الأصوليين فعلماء الآخرة ثم الحكماء القدماء ثم الحكماء الإسلاميين :

هذه هي الرسالة وهذا نموذج من محتوياتها بلغت صفحاتها مبعاً وستين من القطع الوسط ، ومنه يعلم ما لنشرها وطبعها من عظيم الفائدة إن لم يكن قد عثر على نسخة منها من لم عظيم العناية بآثار سلفنا الصالح وفوق كل ذي علم عليم .

سليمانه ظاهر

•••••

أغلاط في حديث أدبي

اتفق أن رأيت في مجلة المصور (العدد ١٥٧٤) الصادر في (١٢ / ١٢ / ٥٤) حديثاً نقله السيد طاهر اللوزي - فيما يقول - عن دولة الأستاذ الأديب فارس الخوري وكان إذ ذاك رئيساً لوزراء سورية تحت عنوان (شاعر) ومعلقنا من هذا الحديث ما نقله السيد اللوزي من قول دولة الأستاذ الخوري (ان العرب لم يكونوا يغفرون اللحن) ثم ما أورده شاهداً على ذلك من قصة تضمن إنكار أحد الشعراء على أبي علي القالي روايته وإيشاده بيننا من الشعر جاء مكسور الوزن بوضع كلمة موضع أخرى وقد وجدنا في هذه القصة من خطأ الطابع والرازي ومن عثرات القلم ما لا يجوز السكوت عليه وقد كتبنا كلمة بيننا فيها هذه الأغلاط وبعثنا بها ولعل ذلك كان في اليوم الثالث لصدور العدد ولكن على تنبؤنا لأعداد المصور - التي تلت ذلك العدد - مدة طويلة لم نر تلك الكلمة قد نشرت في عدد من أعداد المصور .

وهذا ما جاء في تلك القصة من أغلاط :

١ - عدّ الخطأ في إيراد البيت لحناً وإنما هو كسر في وزن الشعر وهذا لا يسمى لحناً وإنما اللحن في مصطلح علماء الأدب يطلق على ما يخرج به المتكلم على قواعد النحر وقد يمتد على سبيل التوسع والتجاوز إلى الخروج على قواعد الصرف فمثل قول بعض العامة في حديثهم (على كُلاً) يقال له لحن وقول بعضهم (يوكل) مكان (ياكل) قد يطلق عليه على سبيل التوسع والتجاوز لحن .

٢ - إن رواية البيت عن أبي علي كانت على الصواب وعلى ما يستقيم به الوزن فقد جاء في الحديث هكذا :

ثم ارتقينا على خيل مطهمة أعرافهن لأيدينا مناديل
هذا البيت هكذا لا كسر فيه وهو من البسيط وتذكر استقامته بالسليقة الشعرية .
نقوله : إن الصواب هو (أعرافها) مكان (أعرافهن) من الخطأ والصواب العكس كما لا يخفى فإذا وضعنا (أعرافها) مكان (أعرافهن) يصبح البيت هكذا :
ثم ارتقينا على خيل مطهمة أعرافها لأيدينا مناديل
وهذا ما يدرك بالذوق الشعري أن فيه كسراً .

٣ - إن المعروف أن هذا البيت لمبة بن الطيب كما جاء في ترجمة أبي علي القالي وهو هكذا :

ثم قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل
فأنشده أبو علي هكذا :

ثم قمنا إلى جرد مسومة أعرافها لأيدينا مناديل
والمحفوظ في هذا المعنى لا مرئي القيس هذا البيت :

ننمش بأعراف الجياد أكننا إذا نحن قننا عن شواء مضهب
(نمش : نمسح ، المضهب : المشوي بالنار أو على حجارة حمراء) .

٤ - ان الذي جاء في الحديث المعزوة إلى دولة الأستاذ الخوري أن المنكر على أبي علي خطأه في إنشاد البيت هو الشاعر (أبو شراعة) وذلك بلا ريب تحريف ويشبه أن يكون هذا منقولاً عن كلام أعجمي والصواب أن المنكر هو (ابن رفاعة الالبيري) .

٥ - انه جاء في الحديث نعت أبي علي القالي بصاحب المعالي هكذا: (أبو علي القالي صاحب المعالي) وهذا من قبيح الخطأ والصواب (صاحب الأمالي) إذ ان من المشهور أن أبا علي صاحب الأمالي وهو الكتاب المشهور الذي بعد من أمهات كتب الأدب ولقب (صاحب المعالي) للوزراء لم يكن معروفاً في ذلك الزمن على أنه قد انتشر في ذلك الزمن من الألقاب ما يحبه الناس وسخروا منه وعلى هذا قول من قال:

مما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتقد فيها ومعتد

ألقاب ملكة في غير موضعها كالمريحي اتفاخاً صولة الأسد

وفي الحديث أغلاط في الإعراب والإملاء نذكر مثالين منها :

١ - (أرسل من بدعو أبو علي) وظاهر أن هذا لحن والصواب (أبا علي)

لأنه مفعول (بدعو) .

٢ - (لامرؤ القيس) والصواب (لامرئ القيس) لأن ما قبل الآخر في

هذه الكلمة يتبع الآخر في إعرابه وتوضع الهزة على الحرف المناسب لحركتها

والمناسب للكسرة في لفظ (لامرئ القيس) الياء فتوضع عليها الهزة .

هذا ونحن نستبعد ان تقع هذه الأغلاط الميئة آتفاً من أدب كمثل ما في

المثالين الأخيرين فما آفة الأخبار - والأحاديث - إلا روايتها .

(عمان)

عبد الله القليلي

ملاحظات على مصطلحات كيمياوية

- ٣ -

• ٥٤ : صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٨ — وصلات ثنائية double bonds .
قلت : رُبُط مضاعفة ، التي تدل على تبادل قيمتين من قيم كل من
الجوهريين المتحدين أحدهما بالآخر (رمزياً : خطان أو نقطتان كما في الأتيهين
مثلاً $H_2C = CH_2$) .

• ٥٥ : صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٢٠ — بوتقة ، بودقة crucible .
قلت بوتقة ، بالضم ، وهي الذي يذوب فيه الصائغ . من الفارسية (پوتنه)
بالباء المثلثة التحتية ، وهي شبه مقلاة لصهر المعادن . ولم أجد كلمة بوتقة ولا
بودقة في المعاجم التي بين يدي . والأتراك يستعملون الكلمة الفارسية نفسها
(بوتقة) . وأحسب أن الكلمة الفرنسية (pot) منها أيضاً ، ولكن لمطلق
الإناء أو القصعة أو الأصيص . والبوتقة بالفرنسية هي (creuset) من
(creuser) أي حفر ، جَوَّف ، (جَوَّر) الخ .

• ٥٦ : صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٢٣ — حَلَقِي cyclic .
قلت : دوري ، من دَوْرَة لما يقابل (cycle) التي اصطلح عليها المجمع
(انظر ما قلته في الرقم ٢٤ عن كلمة acyclic) ، دفعا للبس بكلمة (حَلَقِي) ؛
و (cycle) من اليونانية kuklos ومعناها cercle أي دائرة لا حلقة .

• ٥٧ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١ — نزع الأمين Desamination .
قلت : خَسْفَمَة ، نَحْتًا من (خَسَفَ - أَمَنَ) أي حَذَفَ الأمين .
وباستعمال كلمة واحدة سهولة لا يتجنى خصوصاً للوصف والإضافة والاشتقاق .

فيقال (خسفَ desaminer - مخسفَ desaminé - تخسفَ) مما بتعذر الإتيان
بمثله من الكلمتين .

٥٨ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٤ - صَفَّقَ decanter .

قلت : أبان من (باتوا بيناً وبيئثونة فارقوا . والشئ بيناً وبيئثونا وبيئثونة
انقطع . وأبانه غيره . والمرأةُ عن الرجل فهي بائن انفصلت عنه بطلاق .
وضربه فأبان رأسه ، والبائن القوس التي بانت عن وترها) ، في كل ذلك معنى
الفصل والانفصال . ومعنى الكلمة الافرنجية هو (فصل الجزء الرائق من مائع ،
عن ثقله الراسب في قعر الوعاء الموضوع فيه والمتروك وشأنه حيناً) . أما الصَّفَّقُ
والإصفاق والتصفيق فهو (تحويل الشراب من إناء لآخر ممزوجاً ليصفو) فهو
إذن يوافق الكلمة الفرنسية (tranvaser أي النقل من إناء الى إناء) .

٥٩ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٥ - تصفيق decantation .

قلت : إبانة (وكذا بالفرنسية decantage) . والإبانة عمل يتم به فصل
الجزء الرائق من مائع عن ثقله (كما جاء آنفاً رقم ٥٨) .

٦٠ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٧ - محلول عياري normal solution .

قلت : محلول نظامي . وهو المحلول المهيأ على نظام الذرة . أما العياري فهو
لما يقابل titre (أو المعاير) وهو الذي يحتوي على كمية معلومة من المادة في لتر
من المحلول ، وليس من الشروط أن يكون على النظام الذري . (مثال عليه :
محلول فهلنغ - محلول الثورانييل) . وبين المحلول النظامي ، والمحلول العياري
أو المعاير اختلاف كبير . فكل محلول نظامي محلولٌ معاير وليس كل محلول
معاير ، محلولاً نظامياً .

٦١ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٨ - محلول عشر العياري ، المحلول العشري

• decinormal solution

قلت : محلول عشر نظامي ، للسبب المذكور في الرقم ٦٠ . أما المحلول العشري فهو الذي يحتوي من المادة المذابة فيه على مقدار يوافق ١ الى ١٠ (١٠ بالمئة) دون النظر الى النظام الذري وهو المقصود من الكلمة الفرنسية au dixième فلا يجوز البتة أن يقال (المحلول العشري) لما هو عشر نظامي ، فالبرون بينما شاسع واخلطاً واضح .

٦٢ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٢ — تَزَعُ الابدروجين dehydrogenate .
قلت : خَسَفَجَ ، فحناً من (خَسَفَ - هَدْرَجَ) أي حَذَفَ المَدرَجين .
ومن هذه الكلمة الوَحْدَةُ يسهل اشتقاق الكلمات (خَسَفَجَة - مَخَفَج - مَخَفَجَات) التي يتعذر الانتياف بثلمها من الكمنين .

٦٣ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٣ — تَزَعُ الابدروجين dehydrogenation .
قلت : خَسَفَجَة (انظر الرقم ٦٢) .

٦٤ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٦ — أزال الماء dehydrate .
قلت : بَلَمَة ، فحناً من (بَلَا - مَاء) أي جعله بلا ماء . والاشتقاق منها بعد ذلك يسير : (تَبَلَمَة - مَبْلَمَة - مَبْلَمَة - بَلَمَة) .

٦٥ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٧ — مزيل الماء dehydrating agent .
قلت : مَبْلَمِيه ، (انظر الرقم ٦٤) .

٦٦ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٨ — إزالة الماء dehydration .
قلت : بَلَمِيه ، (انظر الرقم ٦٤) .

٦٧ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٠ — أزال الشعر dépilete .
قلت : لا حاجة الى استعمال كلمتين وفي لغتنا كلمة (جَمَشَ) موضوعة لهذا الغرض . يقال : جَمَشَ رأسه حلَقَه . والجُمُوش من الدورة ، الحالقة ومنها اشتقت (جَمَشَة depilatoire) وزان مفعلة الدال على الذي يفعل .

- ٦٨ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢١ — إزالة الشعر *dépilation* .
- قلت : سَجَش ، (انظر الرقم ٦٧) .
- ٦٩ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٢ — نَشَفَ *dessicate, to* .
- قلت : جَفَفَ ، فالتجفيف هو التيبس وهو المقصود من العمل في دور الكيمياء أو دور الصناعة وغيرها . أما التنشيف فلا بد فيه من استعمال ما يأخذ الماء .
- يقال : نَشَفَ الماءَ تنشيفًا أخذه بخرقه ، فهو يقابل بالفرنسية *sécher* .
- والنشافة مندبل يتمسح به . والنشيفة فتع فسكون خرقه ينشف بها ماء المطر ويصير في الأوعية .
- ٧٠ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٣ — تنشيف *dessication* .
- قلت : تجفيف ، للسبب المذكور في الرقم ٦٩ .
- ٧١ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٤ — مِيشَف *dessicateur* .
- قلت : سَجَفَت ، للسبب الذي ذكرته في الرقم ٦٩ . والميشَف أصلح لما يقابل (*sechoir*) .
- ٧٢ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٤ — مَقَطَر *distillerie* .
- قلت : مَقَطَرَةٌ ، وزان مفعلة ، اسم مكان . ويجمع فؤاد كان أقرّ فياسبة مفعلة للمكان الذي يكثر فيه الشيء من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول عامة سواء أكانت من الحيوان أو النبات أم من الجواد (ج ٢ — ص ٥٢) ، فالمَقَطَرَةُ ، المكان الذي يكثر فيه تقطير شيء بعينه (ماء — غول — أشربة روحية — عطور الخ) .
- ٧٣ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٦ — وصلة ثنائية *double bond* .
- قلت : رباط مضاعف (انظر ماورد في الرقم ٥٤) .
- ٧٤ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٨ — قارورة قَطَّارَة *dropper flask* .

قلت : مِسْتَلَّة (انظر ما قلته في الرقم ٥٠) اسم آلة من مَتَلَّ أي سال قَطَرَاتًا .

٧٥ : صفحة ٢٧٠ عمود ١ سطر ٤ — مَسْتَحْلِب emulsifier .

قلت : مَحْلَبَة ، وزان مفعلة الدال على الذي يفعل .

٧٦ : صفحة ٢٧٠ عمود ١ سطر ٢٧ — حوامض دهنية fatty acids .

قلت : مَحْمُوض دسمة (لأن حوامض جمع حامضة) .

٧٧ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٣ — مرشّيح filter .

قلت : مِرْشَحَة ، اسم آلة من رَشَح (دون تخصيص من الثلاثي

أو الرباعي) .

٧٨ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٤ — رَشَّاحَة filtrate .

قلت : رَشَّاحَة ، بالتخفيف وزان مُعَالَة (الذي يدل على بقية شيء أو رديئه

أو فضائه ، كما هو جلي من الكلمات القديمة التي اشتقتها على الوزن نفسه) .

٧٩ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٨ — مَسْحُوق ناعم fine powder .

قلت : مَسْحُوق طَهْمَل ، والطهمل هو الذي لا يوجد له حجم إذا مَسَّ ،

فمَسْحُوق طَهْمَل ، غاية في النعومة ويقابل الكلمة الفرنسية impalpable .

٨٠ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ١٦ — مائِع fluid .

قلت : مَائِيَال ، من السُّيُولَة . وخصصنا المائِع لما يقابل liquide .

٨١ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ١٨ — مُيُوعَة fluidity .

قلت : مُيُُولَة ، للسبب المذكور آنفاً (رقم ٨٠) .

٨٢ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٢٥ — مَسِيَك fondry .

قلت : مَسْبِكَة ، على اسم المكان وزان مفعلة . ومثلها (مَصَوْرَة) من

الصَّهْر وأحسبها أكثر ملائمة من المسبكة لأن fonderie من fondre وهذه

من اللاتينية fundere أي أرسب في القعر ، ومعناها بالفرنسية (جعل الشيء

مائعاً أو أذابه في مائع) . فالصهر غير السبك فالسبك يتضمن معنى القَوَلْبَة
(= الإذابة والإفراغ) وليس من المشروط في الصهر القولبة . وأرى أن
تخصص (مَسْبَكَة) لما يقابل (lingoterie) ، والقَوَلْبَة لما يقابل
(moulage) .

*
**

هذا ، ولا يتوهم أننا بملاحظاتنا هذه نبخس أعضاء المجمع الأفاضل
جهودهم وكلهم عالم لغوي فحري ، أو عالم فني قدير . لا بل إننا ممن يكبرون
ما بذله هؤلاء الجهابذة من جهد بالغ وما عانوه من مشقة عظيمة في هذا السبيل .
فما إيجاد كلمة لمصطلح أفرنجي ، مِين . ولا اشتقاق لكلمة أعجمية ، يسير .
ولا ضير على المجتهد أخطأ أم أصاب : فله أجر العمل إن أخطأ ، وله أجران
أجر العمل وأجر الإصابة إن أصاب . وفقنا الله جميعاً لما فيه خدمة لفتنا
المحبوبة ، من الناحية العلمية وهذا للصواب فهو الكريم الوهاب .

الكواكبي

فهرس الجزء الأول من المجلد الحادي والثلاثين

صفحة	
٣	ديوان ابن النيب للأستاذ خليل مردم بك . . .
٢٣	الاصطلاحات الفلسفية (١) للدكتور جميل صليبا . . .
٣٥	حريق الجامع الأموي بدمشق سنة ٧٤٠ هـ للدكتور صلاح الدين المنجد .
٤٨	كتاب الموجز في علم القوافي للأستاذ عبد الهادي هاشم . . .
٥٩	مقدمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمام (٧) للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور
٧٧	إرواية البحري (١) للأستاذ عبد القادر المغربي . . .
٩٠	بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية (١) للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
١٠٦	أبو الفتح ابن جني (٥) للدكتور محمد أسعد طلس . . .

التعريف والنقد

١١٩	كتاب التريخ والتدوير للباحظ للأستاذ شفيق جبري . . .
١٢٢	تلخيص اليان في مجازات القرآن للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
١٢٤	توغل العرب في بلاد الشام قبل الإسلام للأمير جعفر الحني . . .
١٢٦	كتاب الورقة للدكتور سامي الدهان . . .
١٢٨	كتاب الريف السوزي للدكتور كاظم الداغستاني . . .
١٣٠	كتاب : ١ - تنبيه النبي . ٢ - تخدير البباد للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
١٣٦	الشبك للأمير جعفر الحني . . .

آراء وأنباء

١٣٨	أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م
١٤٠	أعضاء المجمع العلمي العربي الراحون
١٤٢	وفاة الأستاذ سليم الجندي
١٤٥	شرح لزوم ما لا يلزم (٢) للدكتور عبد الوهاب عزام . . .
١٥٣	ملاحظات على ديوان النابغة الشيباني (٢) للأستاذ سالم الكرنكوي . . .
١٦٢	رسالة فيا اشتهر من العلوم والمطاء للأستاذ سليمان ظاهر . . .
١٦٥	أغلاط في حديث أدبي للأستاذ عبد الله الفتيلي . . .
١٦٨	ملاحظات على مصطلحات كيمياء (٣) للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- ٣ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
- ٤ - نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي المحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ - نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي المحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - السجادة من فملات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - البصرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي
قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ - ديوان ابن حيوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ - ديوان ابن حيوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢١ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٢ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه
الدكتور يوسف العش

٢٤ - ديوان الوأواء دمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
٢٥ - تاريخ مدينة دمشق للمحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٦ - تاريخ مدينة دمشق للمحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلد الثانية) :
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٢٧ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٨ - أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور
صلاح الدين المنجد

٢٩ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. ستريتين .

٣٠ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٣١ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٣٢ - الموفى في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستاذ بولي : شرحه
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٣٣ - غريدة القصر وجريدة القصر للامام الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء
الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل

٣٤ - التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حستي عبد الوهاب

٣٥ - المتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
٣٦ - تكملة إصلاح ما تفلط به العامة للجوابي
٣٧ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخليل الحلبي

بتحقيق الأستاذ
عبد الدين التنوخي

مجلة المجمع العلمي العربي

١٩ شعبان سنة ١٣٧٥

١ نيسان سنة ١٩٥٦

مجموعة ابن النقيب

أو

بواكير الحقائق والغرف

صاحب هذه المجموعة غيد الرحمن بن محمد المعروف بابن النقيب وبابن حمزة الحسيني فتي من فتيان الشعر والأدب ، جمع الى صحة الطبع سعة الاطلاع وحسن الاختيار ؛ ولقد سبق لنا أن عرضنا بديوانه في الجزء الماضي من هذه المجلة (ص ٣ ج ١ م ٣١) ونريد أن نعرف في هذا الجزء بمجموعته المشتملة على مختارات من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض .

هذه المجموعة مخطوطة لا تزال في المسودة ، مكتوبة بقلم جامعها السيد عبد الرحمن ، كما يدل على ذلك ماورد في أعلى الصفحة الأخيرة من المجموعة وهو قوله : (لكاتبه عبد الرحمن الحسيني) وقد خلت من العنوان والمقدمة

والخاتمة ، كما أن بعض أبوابها لم بكل بعد ، أو لا يزال أبيض لم يكتب به شيء ، وذلك لأن صاحبها توفي شاباً قبل أن ينتهي من جمعها .

وعدد صفحات هذه المجموعة ١٥٦ صفحة (طول الصفحة ٢٠ سم وعرضها ١٣ سم) ولا تتفق في عدد الأسطر ، حسنة الخط مكتوبة بالقلم الفارسي والحبر الأسود على ورق متين صقيل ، إلا عناوين الأبواب فإنها مكتوبة بالحمرة ، وكذلك أول كلمة من كل كلام جديد ، وتقط الفصل ، فإنها بالحمرة أيضاً ، وطريقة الكاتب في الكتابة أن يضع قبل مقول القول - أي في المكان الذي نضع فيه نقطتين متراكبتين - دائرة حمراء في صدرها نقطة حمراء ، وأن يضع بعد صدر كل بيت وبعد عجزه نقطة حمراء .

لما توفي صاحب هذه المجموعة سنة ١٠٨١ هـ كان له طفل اسمه سعدي ^(١) لم يبلغ السادسة من عمره ، فحفظت له هذه المجموعة ، حتى إذا بلغ أشده ودفعت إليه كتب على الصفحة الثالثة عشرة منها مانعه : (من كتب الفقير الى عفو ربه المنان محمد سعيد بن عبد الرحمن الحسيني الحنفي . في منتصف سنة ١٠٩٥) ولم يقف عند هذا الحد بل أخذ يزيد على الأصل في بعض الأماكن الخالية من الصفحات ، ولحسن الحظ كانت زياداته قليلة وكان خطه يختلف اختلافاً بيناً عن خط والده ، فضلاً عن أنه لم يتقيد بطريقة والده في الكتابة وتلوين المداد . وكأنه تبين له فيما بعد أنه لم يكن مصيباً في عمله فشطب على طائفة مما كتب .

ثم انتقلت هذه المجموعة بعد زمن طويل الى السيد عمر زيتونة فكتب على ظاهر الورقة الأولى : (في ثوبة الحقير العاجز عمر بن ابراهيم زيتونة في ٢٥ صفر سنة ١٢٦٢) وانتقلت منه الى السيد محمود حمزة مفتي الشام وهي الآن محفوظة عندنا .

(١) ولد السيد سعدي سنة ١٠٧٥ هـ وتوفي سنة ١١٣٢ . سلك الدرر للرازي ٥٦/٢

تشتمل هذه المجموعة على مختارات جيدة من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض، أكثرها في وصف محامن الطبيعة والرياض والأشجار والأزهار والأنهار، وتصوير الجمال والترف والنعم والصبوة واللهم والشراب ومجالس الأُنس والطرب، وما إلى ذلك من متع الحياة ومباهجها، وهذه عناوين المجموعة كما كتبها جامعها يده :

- | | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| ١ - في فؤارة الماء | ١٩ - في الأرجوان |
| ٢ - جريان ماء الأودية | ٢٠ - في السفرة والطعام |
| ٣ - ماء البئر | ٢١ - في الحمام |
| ٤ - في الحمام وما يتضاف إليها | ٢٢ - نزعة في الحسن |
| ٥ - ماء النيل | ٢٣ - نزعة في نعمة البشرة |
| ٦ - ماء دجلة والفرات | ٢٤ - في الغمز والرمز والالام |
| ٧ - في البساتين | ٢٥ - نزعة في الالام المعنوي |
| ٨ - في الوديان | ٢٦ - في بلع الأميرة |
| ٩ - في الدور والقصور | ٢٧ - في الالبسام |
| ١٠ - في الشموع | ٢٨ - في الحديث والمناجاة والسرار |
| ١١ - في المداخن | ٢٩ - في السرور والأعنان |
| ١٢ - في البخور | ٣٠ - في الأعقاب والكراصع |
| ١٣ - في الكوانين | ٣١ - في رقة الطبع والفهم |
| ١٤ - في أنواع الطيب | ٣٢ - في الدل ورخامة النعمة |
| ١٥ - في نقش الحبيب وريقه | ٣٣ - في الخجل |
| ١٦ - في نور الكنان | ٣٤ - في التقييل والعرض والتجشيش |
| ١٧ - في نور الباقلا | ٣٥ - في العناق |
| ١٨ - في الزرع ومنبله | ٣٦ - في العناق |

٣٧ - في المراسلة والمكاتبة	٥٧ - في خيمة الناطور
٣٨ - في الطيف والخيال	٥٨ - في الترد
٣٩ - في عرق الحبيب وعمره	٥٩ - في المداعبة
٤٠ - في نسيم الشراب	٦٠ - في الكناية والتعريض
٤١ - حباب الكأس	٦١ - في المنى
٤٢ - في ديب الشراب	٦٢ - في الشباب وزوائه
٤٣ - في الكؤوس الملونة	٦٣ - في النسيم ومائه
٤٤ - في صبغ اليد بالكأس	٦٤ - في الرياح
٤٥ - في القدم	٦٥ - في الترفيح
٤٦ - في تصاوير الكؤوس	٦٦ - في المردنكوش
٤٧ - في ربع بسات السكر بما فيه	٦٧ - في الشاهنمر
٤٨ - في ثقل المدام	٦٨ - في الخزامى
٤٩ - صباح الديوك	٦٩ - في المنام
٥٠ - في ضرب النواقيس	٧٠ - في الآذريون
٥١ - في المصبغات والخانات والمناديل	٧١ - في الخوذان
٥٢ - في أكاليل الزهر	٧٢ - في الخرم
٥٣ - في المناطق	٧٣ - في الفلاح
٥٤ - في يوم رام ^(١)	٧٤ - في الآس
٥٥ - في الكلستان ^(٢)	٧٥ - في الفستق
٥٦ - في خيش النسيم والمروحة	٧٦ - في التفاح

(١) عيد من أعياد الفرس .

(٢) هذا الفصل نثر .

- ٢٧ - في السفرجل
- ٢٨ - في تشبيه المحبوب بالرياحين
- ٢٩ - في النور والكائن
- ٨٠ - في العناب
- ٨١ - في الشجر على اطلاقه
- وتذكره بها
- وطريقته في التدوين أن يذكر المصدر الذي اختار منه ، وبذلك تمكنا من إحصاء مصادره نقلاً عنه وهي :
- ١ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم حنين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني
- ٢ - مناهج الفكر ومناهج العبر لجمال الدين محمد بن ابراهيم الوطواط الكتي الوراق
- ٣ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام
- ٤ - بتيحة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمد البعالي
- ٥ - من غاب عنه المطرب له
- ٦ - نجة اليتيمة له
- ٧ - مركز الإحاطة لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب
- ٨ - قطب السرور لأحمد بن القاسم المعروف بالرفيق النديم
- ٩ - عنوان المرقصات لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي
- ١٠ - المرقص والمطرب له
- ١١ - المغرب في محاسن أهل المغرب له
- ١٢ - حديقة المنادمة وطريقة المناجمة
- ١٣ - كتاب الديرة للسري الرقاء
- ١٤ - قلائد العقيان للفتح ابن خاقان
- ١٥ - المسهب في أخبار أهل المغرب للعجاري

- ١٦ - الأوائل لأبي هلال العسكري
- ١٧ - المحب والمحبوب للسري الرقاء
- ١٨ - ازدهار الأزهار للنفثاشي
- ١٩ - ديوان ابن الممتز
- ٢٠ - نزهة العيون للبيانبي
- ٢١ - رياض الأزهار للشقاشي
- ٢٢ - فتح الطيب لمقري
- ٢٣ - ملح الملح لأبي المعالي سعد بن علي الخطيري
- ٢٤ - التحقيق في شراء الرقيق
- ٢٥ - الكنايات للجرجاني
- ٢٦ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للشعالي
- ٢٧ - ديوان ابن خفاجة الأندلسي
- ٢٨ - وفيات الأعيان لابن خلكان
- ٢٩ - تباشير السرور لابن الممتز
- ٣٠ - دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن علي بن حسن الباخريزي
- ٣١ - مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح ابن خاقان
- ٣٢ - شرح مقامات الحريري للشربشي
- ٣٣ - جماسة ابن الشجري
- ٣٤ - الحماسة لأبي تمام الطائي
- ٣٥ - مجمع الأمثال للميداني
- ٣٦ - زهر الآداب للحصري
- ٣٧ - الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني
- ٣٨ - النقد لابن عبد ربه
- ٣٩ - الكناية والتعريض للشعالي

وهذه أمثلة مختصرة من المجموعة تدل على صحة الذوق وحسن الاختيار؛
ورد في باب فواراة الماء ما يأتي :

«علي بن الجهم أنشدها له صاحب المحاضرات :

وفواراة ثارها سيف السماء فليست تقصّر عن ثارها
تردّ على المزن ما أميلت على الأرض من فيض مدرارها
ولبعض الأندلسيين أنشدها المقرئ وإخاله أنشدها من المناهج ، يصف بركة
عليها عدة فوارات :

غضبت مجاريها فأظهر غيظها ما في حشاها من خفي مضر
وكأنّ نبع الماء من جنباتها والعين تنظر منه أحسن منظر
قضب من البلور أثر فرعها لما انتهت بالؤلؤ المتحدر»
وورد في باب الحمام وما ينضاف إليها ما يأتي :

«ابو الحسن علي بن حصن الاشبيلي أنشدها له صاحب التخيصة :

وما راعني إلا ابن ورقاء هاتفا على قنّ بين الجزيرة والنهر
مفستق طوق لا زوردي كلكل موشى الطلى أحوى القوادم والظمر
أدار على الياقوت أجنان لؤلؤ وصاغ على الأجنان طوقاً من التبر
حدبد شبا المنقار داج كأنه شبا قلم من فضة صرّ في حبر
توسّد من فوق الأراك أربكة ومال على طيّ الجناح مع النحر
ولما رأى دمعي صرافاً أرابه بكائي فاستولى على الفصن النضر
وحثّ جناحيه وصنّق طائراً فطار بقلبي حيث طار ولا أدري

وقال يوسف بن هارون الرمادي : بكرت إلى أبي المطرف بن المثنى
وألّيت قد بكر قبلي ابن هذيل ، فقال لي ما عندك ؟ فقلت ليس عندي كبير
معنى ، ولكن ما عندك أنت ؟ فأخرج من كفه قصيدته التي يقول فيها في
صفة الحمامة :

ومرنتُ والدجن ينسج فوقها يردن من نورٍ وطلّ باكٍ
 مالتُ على طيّ الجناح وإنما جمعتُ أربكتها قضيب أراك
 وترنتُ الحنين قد حلتها بشاء مسمةٍ وأنة شاك
 ففقدتُ من نفسي لفرط تلهي نفس الحياة وقلت من أبكاك ؟
 فأنشدنيها وأنا أعد محاسنها فيها ، فلما أكلها قال لي : انصرف الى المكتب
 وتأدب حتى تحكم مثل هذا . فكانت حركتي ؛ واتفق انه لم يخرج أبو المطرف
 ذلك اليوم . فبكرت من الغد إليه وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها سيف
 صفة الحماسة :

أحممةً فوق الأراكة بيّني بجياة من أبكاك ، من أبكاك ؟
 أما أنا فبكيت من حرق الهوى وفراق من أهوى ، فأت كذاك ؟
 فلما سمعني ابن هذيل قال عارضتي ، قلت لا والله بل ناقضتك ؛ قال فاذهب
 فقد أخرجتك من المكتب .

وقال على هذه العروض والقافية أبو مروان المعروف بالبليّة من قصيدة أولها :
 يوم العقيق غدوت من قتلاك لا رمت بسهامها عيناك
 ثم قال في صفة الحماسة :

أحممةً بكّت الهديل وإنما طربت فنت فوق غصن أراك
 معشوقة التفويف ذات فلائد غيت جواهرها عن الأسلاك
 ناحت على غصن وكل شجيرة يوماً بلا دمع فليس بياك
 لو كنت صادقةً وكنت شجيرةً جادت دموعك حين جدّ بكّاك
 وورد في باب العفاف ما يلي :

« الشريف الرضي ، اخترت له من أبيات في العفاف أنشدها صاحب الدخيرة :
 بننا ضجيعين في ثوبي هوىً وتقي يلقتا الشوق من فرعٍ إلى قدمٍ »

وبات بارق ذاك الثغر بوضح لي
وبانت الريح كالغيري تجاذبنا
وأكرم الصبح عنها وهي غائلة
فقت أنقض ثوباً ما تعلقه
وأشد لأبي الوليد بن حزم :

وكم ليلة كاد الهوى يستفزني
وفي ساعدي بدرٌ على غصن بانه
وفي لحظه كالسكر لا من مدامة
وقد سلبته الراح صورة كبره
فلم بك إلا ما أباح لي التقى
وفي باب الندام «روى ابن بسام قول الرضي :

ولما وقفنا بالسراة غديةً
تأثم مرئياً بفضل رده
وقبله فوق اللثام فقال لي
ورود في باب النور والكائم ما يأتي :

«ابو اسحق ابرهيم بن خفاجة أنشدها له صاحب الدخيرة وذكرناها في غير
هذا الموضع عن صاحب المرقص :

وكأمة نحدن الصباح قناعها
في أبطح رضعت ثور أقاحه
نثرت ييجر الروض فيه بد الصبا
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت
عن صفحة تندي من الأزهار
أخلاف كل غمامة مدار
درر الندى زدرام النوار
جلي الحباب سواف الأنيار
جذلي وحيث الشط بدء عذار
فخللت حيث الماء صفحة ضاحك

والريح تنفض بكرة لم الربي والطل ينضح أوجه الأشجار
منقسم الأخطاظ بين محاسن من ردف رايقه وخصر قرار
وأراكير مجمع الهديل بفرعها والصبح يسفر عن جبين نهار
هزئت له أعطافها ولربما خلعت عليه ملاءة الأنوار»

بقي علينا أن نعلم أكان لهذه المجموعة اسم خاص سقط مع ورقة أو أكثر من أولها ، وإذا كان كذلك فما هو اسمها ؟ ذكر السيد سعدي أن والده السيد عبد الرحمن صاحب هذه المجموعة « جمع كتاباً لطيفاً في الأدب سماه (بواكير الحقائق والغرف) فلم يتم ولكن اقتطف منه كتاباً مختصراً سماه (دستيجة المقتطف من بواكير الحقائق والغرف) وأرسله لقدمي زاده النقيب بالممالك العثمانية » . وفي خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من هذا المختصر الأخير منقولة عن نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠١) أدب . ورد في مقدمتها قول المؤلف : « ... وبعد فلما كان كتابي بواكير الحقائق والغرف ... لم يبلغ الآن مبلغ الكمال ... عولتُ حينئذ على قطافها عند الشروع ، وأخرجتها في تضاعيف هذا المجموع ، ووصيته بدستيجة المقتطف من بواكير الحقائق والغرف » .

فالأرجح بعد كل ذلك أن يكون اسم هذه المجموعة (بواكير الحقائق والغرف) .

خليل مردم بك

الاصطلاحات الفلسفية

- ٢ -

الإرادة

Voluntas	في اللاتينية
Volonté	في الفرنسية
Will	في الانكليزية

الإرادة موضوعة في اللغة لتعين ما فيه غرض ، وهي في الأصل طلب الشيء ، أو شوق-الفاعل الى الفعل ، اذا فعله كف الشوق وحصل المراد (ابن رشد ، تهافت التهافت ص ٤) .

ويشترط في هذا الشوق الى الفعل أن يشعر الفاعل بالفرض الذي يريد بلوغه ، وأن يتوقف عن التزوع اليه توقفاً مؤقتاً ، وأن يتصور الأسباب الداعية اليه ، والأسباب الصادة عنه ، وأن يدرك قيمة هذه الأسباب ، ويعتمد عليها في عزمه ، وأن ينفذ الفعل في النهاية أو يكف عنه . (Lalande, Vocabulaire de)

(Philosophie , art . Volonté)

فالارادة بهذا المعنى العام هي صورة الفاعلية الشخصية . ولها عند الفلاسفة عدة معانٍ :

أ - الارادة هي تزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه . وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل ، ثم جعلت اسماً لتزوع النفس الى شيء مع الحكم فيه أنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل . والتزوع الاشتياق ، والميل المحبة والقصد (كشف اصطلاحات الثوث للتهانوي ، مادة الارادة) .

فاذا قلنا هذا الرجل قوي الارادة ، وذاك ضعيف الارادة ، دلت الارادة على انصاف صاحبها بتزوع واع متمكن من نفسه ، وهو تزوع يدفعه الى الفعل بالرغم من مقاومة التزعات الأخرى . فالارادة بهذا المعنى صفة من صفات السجبة . وهي تدل بالجملة على نزعة نهائية مستقرة ، أو ميل قوي يحمل صاحبه على الفعل ، ولا يشترط في هذا الميل أن يكون عقيب اعتقاد النفع كما ذهب اليه المعتزلة ، بل مجرد ان يكون حاملاً على الفعل بحيث يستلزمه ويمجّعه ، وان تقدم عليه بالذات .

٢ - الارادة هي القوة التي هي مبدأ التزوع وتكون قبل الفعل .

٣ - الارادة هي اعتقاد النفع أو ظنه ، وقيل ميل يتبع ذلك ، فاذا اعتقدنا ان الفعل الفلاني فيه جلب نفع ، أو دفع ضرر ، وجدنا من أنفسنا ميلاً اليه (المواقف للابيحي وشرحها للجرجاني ، جزء ٢ ، ص ٢١٥) . والقائل بذلك كثير من المعتزلة ، قالوا ان نسبة القدرة الى طرفي الفعل على السوية ، فاذا حصل اعتقاد النفع أو ظنه في أحد طرفيه ، ترجح على الآخر عند القادر ، وأثرت فيه قدرته .

٤ - والارادة صفة توجب للشيء حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه (تعريفات الجرجاني) ، حتى لقد قال الأشاعرة انها صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع في وقت معين ، وليست مشروطة باعتقاد النفع أو ميل يتبعه ، فان المارِب من السبع ، اذا ظهر له طريقان متساويان في الانضاء الى النجاة ، فانه يختار أحدهما بإرادته ، ولا يتوقف في ذلك الاختيار على ترجيح أحدهما لنفع يعتقد فيه ولا على ميل يتبعه (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) . مادة الارادة .

٥ — والارادة في علم الأخلاق هي الاستعداد الخلقى ، وهو إما أن يكون عاماً ، وإما أن يكون خاصاً . فالارادة الصالحة (Bonne volonté) هي العزم الصادق على فعل الخير ، أو هي استعداد الشخص للقيام بالفعل على قدر طاقته . والارادة السيئة (Mauvaise volonté) هي الارادة المتوجهة الى الشر ، أو هي على الأخص صفة رجل يحاول التخلص من واجباته ، فلا يقوم بها إلا إذا كان مجبراً عليها .

٦ — ومن الاصطلاحات المألوفة عند فلاسفة القرن الثامن عشر الارادة العامة (Volonté générale) وهي صفة عاقل يدرك عند تجزئته من الأقواء ما يستطيع أن يطلبه من أبناء جنسه وما يحق لأبناء جنسه أن يطلبوه منه . قال ديدرو : « الارادة الجزئية ظنون ، والارادة العامة صالحة » . ولكن قد تقول لي : أين مقر هذه الارادة العامة ، أين يمكنني أن أمثريها ؟ (الجواب على ذلك) ان هذه الارادة العامة موجودة في مبادئ الحق المكتوب عند جميع الأمم المتقدمة ، وفي الأعمال الاجتماعية للبربر والمتوحشين ، وفي اتفاق أعداء الجنس البشري على بعض الأمور اتفاقاً ضمنياً ، وفي الخط والألم اللذين وهبتهما الطبيعة للحيوان ليقيموا عندهم مقام القوانين الاجتماعية والانتقام العام » . (Diderot, Article, Droit Naturel (Morale) . de l'Encyclopédie)

وقال روسو : « هنالك في الأغلب فرق بين الارادة العامة وإرادة الكل . فالأولى لا تهتم إلا بالمصلحة المشتركة ، أما الثانية فتهم بالمصلحة الخاصة ، لأنها ليست سوى مجموع من الإرادات الجزئية » (J. J. Rousseau, Contrat social, liv. II. ch. III) . إن هذه الارادة العامة هي الأساس الشرعي لكل سيادة . ويشترط في شرعيتها : (١) أن تختص بالمصلحة المشتركة .

(٢) وأن تؤيدها أكثرية المواطنين بعد استشارتهم جميعاً . (٣) وأن لا تتخذ قراراتها لمصلحة شخص دون آخر . ان كل فعل من أفعال السيادة ، أعني كل فعل شرعي من أفعال الإرادة العامة يخبر جميع المواطنين ، أو يرعى حقوقهم على قدم المساواة ، فلا يراعي الحاكم إلا الصالح العام ولا يرجع مصلحة فردية على أخرى . ان الإرادة الجزئية تميل بطبيعتها الى التراجع ، أما الإرادة العامة فلا تميل إلا الى المساواة .

٧- ومن اصطلاحات علماء الاجتماع الإرادة المشتركة أو الإرادة الجماعية (Volonté Collective) وهي إرادة المجتمع من حيث هو موجود واحد .
٨- ومن اصطلاحات (وليم جيمس) إرادة الاعتقاد (Will to believe) ، وهي التسليم باعتقادات لا يستطيع العقل أن يبرهن على صدقها ، ولكنه يقبلها مع ذلك لعدم تناقضها ، وللمنافع العملية التي تنشأ عنها . من هذه الاعتقادات الثقة بالنفس ، فهي نافعة في الحياة ، لأنها تزيد قوة الانسان وتمينه على النجاح في أعماله .

٩- والإرادة عند بعضهم هي الفاعلية الدائمة التجهة الى جهة معينة وان كانت لا شعورية ، أو هي النزعة الأساسية لكائن واحد أو لجميع الكائنات ، كإرادة الحياة ، أو إرادة القوة ، أو إرادة الشعور .

أما إرادة الحياة (Volonté de vivre) فهي عند (شوبنهاور) المبدأ الكلي للجهود الفريزي الذي يحقق به كل كائن مثال نوعه ، ويناضل ضد الكائنات الأخرى لاستبقاء صورة الحياة الخاصة به .

وأما إرادة القوة (Volonté de puissance) فهي في نظر (نيتشه) مضادة لمعنى الحياة عند (سبنسر) ، ولتزوج الموجود الى التثبت في الوجود عند (اسبينوزا) ، ولإرادة الحياة عند (شوبنهاور) ، وهي مبدأ لوح قيم جديدة ،

إلا أن الضعفاء يعوقونها عن بلوغ غايتها بتأليبهم عليها ، وبتمسكهم بالقيم الخلقية المألوفة .

وأما إرادة الشعور (Volonté de Conscience) فهي عند (فوبه) نزعة أساسية تؤثر في حياة الإنسان العقلية والشعورية ، كما تؤثر في تطور الكائنات الحية . إن أول مظهر لهذه النزعة الأساسية ميل الكائن الحي إلى إرجاع كل شيء إلى ذاته ، وشعوره بأنه مركز الجاذبية ، وإن جميع الموجودات الأخرى وسائط يعتمد عليها في فعله وزيادة قوته ووعيه . ولكن هذا النزوع الأناني لا يخلو من الغيرية لأنه يستلزم التفكير في الآخرين ، كما يقتضي الشعور بذوات أخرى ينصب الإنسان نفسه أمامها . ففي كل نزوع أناني إذن نزعة غيرية .

١٠ — وفرّقوا بين الاختيار والإرادة فقالوا الإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل ، أما الاختيار فهو ميل مع تفضيل ، كأن المختار ينظر إلى طرفي المقدور ، والمريد لا ينظر إلا إلى الطرف الذي يريده . قال الفارابي : « إن الإنسان قد يتقدم فيختار الأشياء الممكنة ، وتقع إرادته على أشياء غير ممكنة ، مثل أن الإنسان يهوى أن لا يموت . والإرادة أعم من الاختيار ، فإن كل اختيار إرادة ، وليس كل إرادة اختياراً » . (الفارابي ، رسالة المعلم الثاني في جواب مسائل سئل عنها ، ص ٩٨) . وأصل الاختيار انفعال من الخير . ولذا قيل الاختيار ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره ، وهو أخص من الإرادة والمشئنة . نعم قد يستعمل المتكلمون الاختيار بمعنى الإرادة أيضاً حيث يقولون فاعل بالاختيار وفاعل مختار ، ولكن الاختيار لم يرد بمعنى الإرادة في اللغة . . .

وفرقوا أيضاً بين الإرادة والشهوة ، فقالوا إن الإنسان قد يريد شرب دواء كرهه فيشربه ولا يشتهي ، بل ينفر عنه ، وقد يشتهي ما لا يريد بل يكرهه ، ولهذا قالوا إرادة المعاصي بما يؤخذ عليها دون شهوتها .

وفرقوا أخيراً بين الإرادة والمشيئة فقالوا الإرادة طلب الشيء والمشيئة الإيجاد ، ولكن المشيئة في الأصل مأخوذة من الشيء وهو اسم للموجود ، وكذلك الإرادة فهي تقتضي الوجود لا محالة . فلا فرق إذن بين الإرادة والمشيئة إلا بالنسبة إلى الإنسان ، لأن إرادة الإنسان قد تحصل من غير أن تتقدمها إرادة الله ، ومشيئته لا تكون إلا بعد مشيئته . أما بالنسبة إلى الله فان الإرادة والمشيئة بمعنى واحد .

١١ - والإرادة إذا امتعلت في الله دلل على معنى سلبى ، ومعناه أنه تعالى غير مغلوب ولا مستبكر ، أو على معنى ثبوتى ، ومعناه العلم أو حفة زائدة على العلم . والفلاسفة الذين يقولون ان إرادة الله ليست صفة زائدة على ذاته كأرادتنا يقررون ان إرادته عين حكمته وحكمته عين علمه . والإرادة حقيقة واحدة قديمة قائمة بذاته تعالى ، إذ لو تعددت إرادة الفاعل المختار أو تعلتها لم يكن واحداً من جميع الجهات . وقد قال الحكماء إن إرادته تعالى هي علمه بجميع الموجودات من الأزل إلى الأبد ، وبأنه كيف ينبغي أن يكون نظام الوجود حتى يكون على الوجه الأكمل ، وبكيفية صدوره عنه حتى يكون الموجود على وفق المعلوم في أحسن نظام من غير قصد ولا شوق ، ويسمون هذا العلم عناية . وهذا كله يدل على أن الإرادة بمعنى الميل أو التزوع أو الشوق لا تستعمل في الله ، لأنه تعالى غنى عن كل تزوع وميل ، ففى قيل أراد بمعناه حكم أنه كذا وليس بكذا .

١٢ - والإرادة عند المتصوفين هي ابتداء الكد وترك الراحة ، حتى لقد

قال (الجنيدي) : الإرادة أن يعتقد الإنسان الشيء ثم يهزم عليه ثم يريد . ولا تكون إلا بعد صدق النية ، وقيل هي الإقبال بالكلية على الحق والإعراض عن الخلق وابتداء الحكمة . قال ابن مينا : « أول درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الإرادة ، وهو ما يعتري المستبصر باليقين البرهاني أو الساكن النفس إلى العقد الإيماني من الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى ، فيتحرك صرعه إلى القدس لينال من روح الاتصال ، فما دامت درجته هذه فهو صريد » .
(ابن مينا ، الاشارات ، ص ٢٠٢) .

الاستدلال

Ratiocinatio	في اللاتينية
Raisonnement	في الفرنسية
Reasoning	في الانكليزية

الاستدلال في اللغة العربية طلب الدليل ، وفي عرف الأصوليين والمتكلمين النظر في الدليل سواء كان استدلالاً بالعلة على المعلول أو بالمعلول على العلة . وقد يخص الأول باسم التعليل والثاني باسم الاستدلال . ولكن الأولى أن يطلق الاستدلال على إقامة الدليل لا على النظر في الدليل ، لأن الدليل قول مؤلف من أقوال يلزم من تسليمها لذاتها قول آخر ، وليس الاستدلال به النظر في الدليل وإنما هو إقامة الدليل .

والاستدلال عند بعضهم هو انتقال الذهن من الأثر إلى المؤثر ، أو من المؤثر إلى الأثر ، أو من أحد الأثرين إلى الآخر (تعريفات الجرجاني) . فإذا كان انتقالاً من الأثر إلى المؤثر أو من المعلول إلى العلة سمي استدلالاً أنياً ، وإذا كان انتقالاً من المؤثر إلى الأثر أو من العلة إلى المعلول سمي استدلالاً بياً .
م (٢)

والاستدلال في اصطلاحنا هو تسلسل عدة أحكام مترتبة بعضها على بعض ، بحيث يكون الأخير منها متوقفاً على الأول اضطراراً ، فكل استدلال هو إذن انتقال من حكم الى آخر ، لابل هو فعل ذهني مؤلف من أحكام متتابعة إذا وضعت لزم عنها بذاتها حكم آخر غيرها . وهذا الحكم الأخير لا يكون صادقاً إلا إذا كانت مقدماته صادقة .

وهذا كله يدل على أن المنطق وعلم النفس كليهما يشتركان في بحث الاستدلال . إلا أن المنطقي ينظر في الاستدلال الكامل من حيث هو مؤلف من قضايا مترتبة بعضها ببعض ارتباطاً ضرورياً ، فيعرف أنواع الاستدلال ، ويرتبها بحسب قيمتها ، ويفرق بين الاستدلالات المنتجة والاستدلالات غير المنتجة ، أما العالم النفسي فيبحث في الاستدلال من حيث هو فعل ذهني لا من حيث هو صحيح أو فاسد ، فقد تختلف قيمة الحجج العقلية في نظر المنطقي من حيث قربها من الصواب أو بعدها عنه ، ولكن قيمتها في نظر العالم النفسي واحدة ، لأنه إنما ينظر في حركة الدهن ، وكيفية تكون الحجج العقلية ونشوتها ، لا في صحتها وفسادها .

والمقدمون من فلاسفتنا يقسمون الاستدلال الى ثلاثة أنواع : القياس والاستقراء ، والتمثيل ، « وذلك لأنه إما أن يحكم على الجزئي لثبوت ذلك الحكم في الكل وهو القياس ، أو يحكم على الكل لثبوتة في الجزئي وهو الاستقراء ، أو يحكم على الجزئي لثبوت الحكم في جزئي آخر وهو التمثيل » (راجع لباب الاشارات لفخر الدين الرازي ، وهي تهذيب اشارات ابن سينا ، ص ٣٢ من طبعة مضر ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكام والمتكلمين لفخر الدين الرازي ، ص ٣٢ مع تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي في ذيله) .

والأولى أن يقسم الاستدلال الى استنتاج ، واستقراء ، وتمثيل ، لأن الاستنتاج

أعم من القياس ، وكل قياس فهو امتناع ، وليس كل امتناع قياساً
(راجع : القياس ، والامتناع ، والاستقراء) .

وجملة القول : ان الاستدلال هو استنباط قضية من قضية أو من عدة قضايا
أخرى ، أو هو حصول التمديق بحكم جديد مختلف عن الأحكام السابقة
التي نلزم عنها : والمعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الاستدلال هي المعرفة غير
المباشرة ، أما المعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الحدس فهي المعرفة المباشرة ،
وتسمى الأولى معرفة استدلالية أو كلامية (Connaissance discursive)
والثانية معرفة حدسية (Connaissance intuitive) (راجع الحدس) .

الاستعداد

في اللاتينية Dispositio

في الفرنسية Disposition

في الانكليزية Disposition

الاستعداد للشيء هو التهيؤ له ، وعند فلاسفة القرون الوسطى هو كيفية
تحصل للشيء بتحقيق بعض الأسباب والشروط ، وارتفاع بعض الموانع .
وتسمى تلك الكيفية استعداداً ، والقبول اللازم لها إمكاناً استعدادياً وثيرة .
فللاستعداد إذن معنيان أحدهما الكيفية المهيئة والثاني القبول اللازم لها . قال
ابن سينا : « وليس الاستعداد إلا مناسبة كاملة لشيء بعينه هو المستعد له .
وهذا مثل ان الماء اذا أفرط تسخينه فاجتمعت البخورة القريبة والصورة المائية ،
وهي بعيدة المناسبة للصورة المائية ، وشديدة المناسبة للصورة النارية ، فاذا أفرط ذلك
واشتدت المناسبة اشتد الاستعداد فصار من حق الصورة النارية أن تفيض ومن
حق هذه أن تبطل » (ابن سينا ، النجاة ص ٤٦٢) . فالاستعداد الشيء هو

إذن كونه بالقوة القريبة (prochaine) الى الفعل أو البعيدة عنه (éloignée) وهو أقل ثبوتاً من العادة .

ونحن نطلق اليوم اسم الاستعداد على الأهلية (Aptitude) وهي صفة جسمانية أو نفسانية تجعل صاحبها أهلاً لممارسة عمل معين . والاستعداد بهذا المعنى مألوف عند علماء النفس المعاصرين : قال (كلاباريد - Claparède) : « انت معنى الأهلية يتضمن معنى الاستعداد الطبيعي والاختلاف الفردي . قد نتكلم أحياناً على الأهليات المكنبة ونعني بذلك في الحقيقة استعداداً طبيعياً للاستفادة من التجربة ، أو لاكتساب عادة أو سرعة ومهارة . فلو كان لجميع الناس قابلية واحدة واستعداد واحد للاستفادة من التعلم لما كان لمعنى الأهلية فائدة » ، (راجع كتابه Comment diagnostiquer les aptitudes chez les écoliers (1924)

الاستقراء

Inductio في اللاتينية

Induction في الفرنسية

Induction في الأنكليزية

الاستقراء في اللغة التبع ، من استقرى أو استقرأ الأمر اذا تبعه لمعرفة احواله ، وعند المنطقيين هو الحكم على الكلي لثبوته في الجزئي . قال الخوارزمي : « الاستقراء هو تعرف الشيء الكلي بجميع اشخاصه » (مفاتيح العلوم ص ٩١ من طبعة مصر) ، وقال ابن سينا : « الاستقراء هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي ، اما كلها وهو الاستقراء التام ، وأما أكثرها وهو الاستقراء المشهور » (النجاة ص ٩٠) .
فالاستقراء إذن قسمان تام وناقص .

١ - أما الاستقراء التام (Induction complète) فيسميه بعضهم قياساً مقسماً . ونحن نسميه استقراءً صورياً (Formelle) وهو كما بين أرسطو حكم على الجنس لوجود ذلك الحكم في جميع أنواعه . مثال ذلك الجسم اما حيوان أو نبات أو جماد ، وكل واحد من هذه الأقسام منحيز ، فينتج من ذلك ان كل جسم منحيز . وهذا الاستقراء التام الحاصر لجميع الجزئيات مبني على القسمة . ويشترط في صدقه أن يكون حاصراً لجميع أنسام الكل وأن لا يؤخذ جزئي مشكوك فيه في أجزاء القسمة . والفرق بين هذا الاستقراء الصوري والقياس ان القياس يحكم على جزئيات الكل لوجود ذلك الحكم في الكل ، أما الاستقراء الصوري فيقلب هذا الأمر ويحكم على الكل لوجود ذلك الحكم في جميع جزئياته ، وهو نافع في البراهين لأنه يلخص الأحكام الجزئية ويجمعها في حكم كلي واحد .

ومن أنواع الاستقراء التام الاستقراء الرياضي (Induction mathématique) وهو انتقال من الخاص الى العام أو من العام الى الأعم . وهذا الاستقراء الذي ذكره (هنري بوانكاريه) فيبين أن القضية اذا كانت صادقة بالنسبة الى $(1 = 2)$ و $(2 = 3)$ كانت صادقة بالنسبة الى جملة $(1 + 2)$ وغيرها من الأعداد التامة ، كان (بوترو) قد أشار اليه قبله فيبين أن الرياضيين يبرهنون أولاً على قضية خاصة جزئية ثم ينتقلون منها الى قضية أعم منها . ويسمي (هنري بوانكاريه) هذا الاستقراء الرياضي بالاستدلال الارجاعي (Raisonnement par récurrence) (راجع هذا اللفظ) .

٢ - وأما الاستقراء الناقص فهو الحكم على الكل بما حكم به على بعض جزئياته ، وانما قلنا على بعض جزئياته لأن الحكم لو كان موجوداً في جميع الجزئيات لم يكن استقراءً ناقصاً بل استقراءً تاماً . والمثال في ذلك ان حجم

كل (غاز) متناسب والضغط الواقع عليه تناسباً عكسياً ، لأن الهيدروجين والأكسجين والآزوت وغيرها يتحقق ذلك . ففي هذا الاستقراء انتقال من الحكم على بعض جزئيات الكلي الى الحكم على جميع جزئياته ، وهو لا يفيد يقيناً تاماً ، بل يفيد ظناً لجواز وجود جزئي آخر لم يستقرأ وبكبره حكمه مخالفاً للجزئيات التي استقرت . « بل ربما كان المختلف فيه والمطلوب بخلاف حكم جميع ما سواه » (ابن سينا ، الاشارات ص ٦٤) . ويسمى هذا الاستقراء الناقص استقراءً موسعاً (Amplifiante) لأنه لا يتحصر في الجزئيات التي استقرت ، بل يتعداها كما قلنا الى جزئيات لم تستقرأ ، ويسمى أيضاً استقراءً علمياً لأنه ينتقل من الحوادث الى القانون ، أي من الحكم على الحقائق المشاهدة في زمان ومكان محدودين الى الحكم على جميع الحقائق حكماً عاماً غير محدود بزمان أو مكان ، وقد وضع (يكون) و (استوارت ميل) قواعد لهذا الاستقراء تسمى بقواعد الاستقراء . (راجع طريقة الاتفاق ، وطريقة الاختلاف ، وطريقة البواقي ، وطريقة التلازم في التغير) . وهي موضوعة لاختبار صحة الفروض العلمية ، إلا أنها لا تبرهن على صدق القانون إلا بالنسبة الى الحقائق المشاهدة . فلماذا نسلم إذن بقانون طبيعي شامل لجميع الجزئيات ونحن لم نستقري هذه الجزئيات كلها ؟ لماذا اعتبرنا ما لم نشاهده بما شهدناه منع أن تجاربنا محدودة في الزمان والمكان ؟ الجواب على ذلك أننا نؤمن بالعلمية ، ونعتقد أيضاً أن الطبيعة خاضعة لنظام عام ثابت لا يشذ عنه في المكان والزمان شيء . . . ويسمى هذا الاعتقاد مبدأ الحتمية Principe de déterminisme (راجع هذا اللفظ) .

وما هنا ثلاث مسائل لا بد من الإشارة إليها :

- ١- هل يستند الاستقراء الناقص الى أساس نفسي ، ما هي العوامل النفسية التي تدعونا الى التسليم بصدق أحكام كلية لم نجربها الا في حالات جزئية محدودة ؟
- ٢- هل الاستقراء الناقص حق ، ما هي الشروط اللازمة لاختبار صحة الفرضيات .

ج - ما هو مبدأ الاستقراء ، هل يمكننا ان نرجع حالات الاستقراء كلها الى قاعدة منطقية محددة . (راجع Lalande , Vocabulaire de philosophie, art. induction)

الاستنتاج

Deductio في اللاتينية

Dédution في الفرنسية

Deduction في الانكليزية

الاستنتاج في اصطلاحنا هو استخراج النتائج من المقدمات ، وهو اصطلاح جديد ، لا نجده في كتب التعريفات ، ولا في معاجم الاصطلاحات القديمة ، ولكننا نجد الفلاسفة القدماء يستعملونه في كلامهم على القياسات البرهانية دون أن يميزوا هذا الفعل الذهني عن صورة القياس . مثال ذلك قول ابن سينا : « المطلوب الضروري يستنتج في البرهان من الضروريات » وفي غير البرهان قد يستنتج من غير الضروريات » (الاشارات ص ٨٢) ، وقوله : « فان كانت المقدمة سالبة وأريد استنتاج موجبة بقياس الدور فلا يمكن . أن يكون المطلوب خاص السلب عن الموضوع ، فلا يسلب عن غيره » (النجاة ، ص ١٠٠) . ولم يميز الاستنتاج من حيث هو فعل ذهني عن صورة القياس إلا في زمنه الأخيرة ، فأطلقه الفلاسفة المتأخرون على الاستدلال المؤلف من الحكم على صدق قضية تسمى بالتالي (Conséquence) ، لثبوت ذلك الحكم في قضية أو عدة قضايا تسمى بالمبادي (Principes) . فالعفة الأساسية للاستنتاج هي إذن لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً ، سواء كان ذلك الاستنتاج صورياً كالقياس ، أو تحليلياً أو تركيبياً كالبرهان الرياضي . فاذا أنكرنا النتيجة بعد التسليم بالمبادي وقعنا في التناقض .

والاستنتاج ثلاثة أنواع : الاستنتاج الصوري ، والاستنتاج التحليلي ،
والاستنتاج التركيبي أو الانشائي .

أما الاستنتاج الصوري (*Dédution formelle*) فهو القياس (راجع
هذا اللفظ) ، وهو استنتاج صدق قضية أو كذبها على افتراض صدق أو كذب
قضية واحدة أو عدة قضايا . ومن صفاته : (١) لزوم النتيجة عن المقدمات
اضطراباً . (٢) ليس في النتيجة علم زائد على المقدمات . (٣) لا تصدق
النتيجة ولا تكذب الا على افتراض صدق المقدمات أو كذبها . وهذه الصفة
الأخيرة تدل على ان الاستنتاج الصوري هو استنتاج شرطي .

وأما الاستنتاج التحليلي (*Dédution analytique*) فهو الاستدلال المؤلف
من مقدمات مركبة اذا وضعت استخراج العقل منها بسائط داخلية فيها كالبرهان
التحليلي (في الرياضيات) المؤلف من سلسلة من القضايا أولها القضية المراد اثباتها
وآخرها القضية المعلومة . فاذا انتقلنا من الأولى الى الأخيرة كانت كل قضية
نتيجة لتي بعدها ، وكانت القضية الأولى نفسها نتيجة للقضية الأخيرة وصادقة مثلها .
وأما الاستنتاج التركيبي (*Dédution synthétique*) أو الانشائي

(*constructive*) فهو الانتقال من المبادي البسيطة الى النتائج المركبة ، مثال
ذلك التركيب الرياضي الذي نلزم فيه النتيجة عن المبادي اضطراباً . وقد سمي
انشائياً لأن نتيجته ليست داخلية في مقدماته . بل هي لازمة عنها وزائدة عليها .
ان مساواة مجموع زوايا المثلث لزادتين قائمتين ليست قضية داخلية في القضية
المتقدمة عليها في كتاب الهندسة ، بل هي حلقة جديدة في السلسلة لازمة عن
الحلقات السابقة اضطراباً . فكل قضية جديدة تكسبنا علماً جديداً زائداً
على المقدمات ، وتنقلنا من المعلوم الى المجهول . كأن هناك بناء ينشئه العقل
إنشاءً ، ويركبه تركيباً . والفرق بين هذا الاستنتاج والقياس أن القياس هو

انتقال من العام الى الخاص ، أما الاستنتاج الانشائي فهو انتقال من الخاص الى العام أو من العام الى الأعم . والنتيجة في القياس داخلة في المقدمات ، في حين ان علاقة المقدم بالتالي في الاستنتاج الرياضي ليست علاقة شمول أو تضمن وإنما هي علاقة التزام . لذلك قال ديكارت : القياس المنطقي عقيم ، والاستنتاج الرياضي منتج .

ثم ان الاستنتاج والاستقراء متقابلان ، والطريقة الاستنتاجية المستعملة في العلم الرياضي مضافة للطريقة التجريبية والاستقرائية المنبئة في العلم الطبيعي . ولكن (استوارت ميل) زعم أن هناك تقابلاً بين الاستقراء والقياس ، لا بين الاستقراء والاستنتاج ، لأن الاستقراء هو انتقال من الخاص الى العام ، والقياس انتقال من العام الى الخاص . أما البرهان الاستنتاجي فهو سلسلة من الاستدلالات العقلية المضادة للبرهان التجريبي لا للاستقراء .

وقد زعم ديكارت ان الاستنتاج والحدس متقابلان ، لأن الحدس هو الادراك المباشر لعلاقة المبادي بالنتائج ، أما الاستنتاج فهو حركة فكرية متصلة تدرك الأشياء واحداً بعد آخر ادراكاً بديهياً . فالعقل اللامتناهي يدرك النتائج في المبادي دفعة واحدة ، أما العقل المتناهي فلا يدرك إلا عدداً محدوداً من الحقائق ولا يصل الى النتيجة إلا بعد نسيان المبادي الأولى . والاستنتاج المتعالي (*Dédution transcendente*) عند (كنت) هو البرهان على امكان انطباق الكليات العقلية (*a priori*) على التجربة ، وهو مقابل للاستنتاج التجريبي القائم على استخراج الكليات العقلية من التجربة الحسية .

(يتبع)

جميل صليبا

رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار

لأمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمود التنوخي

دأت الدولة الأموية ، وانتقلت عاصمة الدولة من دمشق إلى بغداد ،
ولكن ظلت بلاد الشام أمانة على التراث الأدبي العربي ، تتعده وتثنيه ،
وظلت حواضرها موئل البلقاء من الكتاب والشعراء ، ما انقطع نبوغهم فيها
وورودهم إليها . وكان قيام بعض الأسر العربية يتولي شؤونها وتدير أمورها
عوناً على تعهد الأدب حتى لا تنطفئ شعلته ولا تموت نبتته . وفي شيء من
ذلك يقول أبو منصور الثعالبي في بنيحته : « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها
أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والإسلام . . . والسبب
في تبرز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر قريتهم من خطط العرب
ولا سيما أهل الحجاز ، وبمقدم عن بلاد المعجم ، وصلامة السننهم من الفساد . .
ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ،
ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقيه العرب ، والمشغوفون
بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم
إلا أدب جواد يحب الشعر وينقده . . . انبعث قرائحهم في الإبداع فقادوا
محاسن الكلام بالبن زمام وأبدعوا ما شاءوا . . . »^(١)

(١) ينبة الدهر في شعراء أهل مصر للثعالبي ، (ص ٨ ج ١ ط القاهرة سنة ١٩٣٤) .

وظل الأدب الجيد يبرز إلى الشام حتى في العصور التي زهد الناس فيها به ،
وانصرفوا عنه إلى الأدب المبتذل الرخيص .
وكان الأدباء يعقدون حلقات للمذاكرة والمناظرة والمحاضرة ويتناشدون
أجل الأسماء مما حفظوا أو نظموا ، وإذا كان في بعض مقامات الحريري وصف
خيالي لمثل هذه المجالس الأدبية في « رسالة الأنوار » التي نشرها اليوم وصف
حقيقي لجلسة أدبية طريفة ضمت فئة من فضلاء الشام في القرن السادس ، أداروا القول
فيها على وصف النار والفحم ، ورووا محاسن ما جاء به الشعراء المتقدمون
والعصريون في ذلك .

أما مؤلف هذه الرسالة فهو أمين الدين أبو الفضل عبد الحسن بن حمود^(١) بن
الحسن التنوخي الحلبي الكاتب ، ولد سنة ٥٧٠ / ١١٢٤ ورحل وسمع بدمشق
من جماعة من جلة علماءها ، وعُني بالأدب . وقد كتب لصاحب صرخد المملوك
عمر الدين أيبك ووزر له ، حتى قتل عمر الدين سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ . ثم توفي
المؤلف سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥^(٢) .

كان التنوخي هذا شاعراً مجيداً ، وله ديوان شعر لم يصل إلينا ، ولكن صاحب
فوات الوفيات^(٣) اختار من شعره نماذج جميلة أثبتتها في ترجمته له ، وهي في الحث
على طلب علم الحديث وفي الوصف والحكمة والغزل والعتاب وبذكر من
ترجموا له أنه كان خيراً ديناً كامل الأدوات .

(١) يخطئ بروكلمان عندما يجعل هذا الاسم (محموداً) في كتابه : تاريخ الأدب العربي

(G. A. L.) ج ١ ص ٢٥٧ وفي ذيله ج ٢ ص ٤٥٧ .

(٢) ورد في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان تطبيع جل وفاته سنة ٦٣٤ . ثم
ورد التاريخ صحيحاً في الدليل .

(٣) في الجزء الثاني ص ١٠ ط بولاق سنة ١٢٩٩ .

وقد جمع كتاباً في الأخبار والنوادر في عشرين مجلداً ضاع في ثنابا الزمن ولم يصل إلينا منه إلا اسمه ، على أن له كتاباً آخر عرفناه له ، واسمه (مفتاح الأفراح ^(١) في امتداح الراح) في النمرة وشرها كان قد قدمه للأمير عيسى ابن أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٤ / ١٢٢٧ ^(٢) . ومنه مخطوطات في برلين ووثينا والقاهرة ولندن ^(٣) .

أما الرسالة التي نشرها له اليوم فلا أعلم أن أحداً ممن تحدثوا عنه قد ذكرها له . وقد وقعت عليها عندما كنت أكتب في خزانة كتب المجمع العلمي العربي ، فوجدت مصورة مخطوط رقها ٦١ كان المجمع قد اشتراها سنة ١٩٤٣ من أحد الوراقين الدمشقيين ، وكان قسم التصوير في مطبعة دار الكتب المصرية قد صورها سنة ١٩٣٣ . وقد علمت فيما بعد أن مخطوط هذه الرسالة كان موجوداً في خزانة كتب المرحوم الأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوي الدمشقي ثم بيع في مصر منذ فترة إلى السيد أمين الخالنجي ، ولا تدري أين مقر هذا المخطوط اليوم . ويبدو مما كتب على غلاف هذه الرسالة أنها كانت قد دخلت قبل ذلك في ملك أحد أعيان الشام وهو السيد عبد الكريم بن محمد الحسيني . وكانت هذه الرسالة مضمومة في كناش إلى كتاب (المختار من كتاب الحقائق) في البلاغة ومنثور الحكم من كلام الفضلاء ونوادر البلاغ والفصحاء ، وإلى ثلاث صفحات ألفها قاضي القضاة محي الدين أبو المعالي محمد بن يحيى بن محمد بن علي في حل آيات ثلاثة لابن الرومي . وهذا الكناش مصور برمته في

(١) في بعض نسخ (كشف الظنون) لحاجي خليفة : مفتاح الأرواح .

(٢) وهنا تطبع آخر وقع في تاريخ الأدب لبروكلمان فقد جمل السنة ١١٢٧ .

(٣) ممن ترجم للمؤلف : محمد بن شاعر الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ في (نوات

الوفيات) ، وراغب بن محمود بن هاشم الطباخ في الجزء الرابع من (اعلام

النبل ، بتاريخ حلب الشهية) طبع حلب سنة ١٩٢٥ ، وجرجي زيدان في الجزء

الثالث من (تاريخ آداب اللغة العربية) وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي)

خزانة المجمع العلمي العربي ، وفي دار الكتب المصرية (تحت رقم ٨٥٠٣) ، كما يشير إلى ذلك الجزء السابع من قسم الفهارس العربية فيها (ص ٩٦) المنشور سنة ١٩٣٨ م^(١) .
يقع مخطوط (رسالة الأنوار المتبسة من أوار النار) في تسع وثلاثين صفحة ، في كل منها أحد عشر سطراً في الغالب وقد كتبت في مطلع القرن السابع وسميها جماعة من كبار فضلاء ذلك العصر على مؤلفها ، تجد ثبتاً بأسمائهم في آخر الرسالة كما تجد تاريخ السماع واسم كاتبه هنالك .

وخط الرسالة واضح جليّ وشكلها جيد صحيح في الجملة . على أن من عادة الناسخ أن يجعل أحياناً تحت السين ثلاث نقاط وتحت الدال نقطة واحدة ويسهل المحز ويسقط بعض النقط ويجعل المحزة - عندما يثبتها - تحت كرسيتها ، وقد يضع تقطتين فوق الياء وفوق الألف المقصورة . . . وفي هامش الرسالة تصويب واستدراك لما أخطأ فيه الناسخ ، أثبتته من سمع الرسالة من مؤلفها .

**

أما هذه الرسالة فهي طريقة أدبية جميلة ، متينة النسيج في مجلتها ، مشرقة الأسلوب في صبكها ، فيها صورة دقيقة لناحية مما كان يعنى به أدباء القرن السادس من الأغراض والمعاني ، ونموذج جيد من تقدم وذوقهم الأدبي . ولغتها سليمة على العموم ولكن بعض السجع الغالب على الرسالة غث متكلف . يبدو صاحب الرسالة في مقدمتها يرمي بعشه في حلب ، مؤثراً المقام في دمشق ، ثم يظهر في ثنايا الرسالة اعتداده بنفسه ، ونفخه بشعره ، وزهوه بأدبه ، واستصغاره أحياناً شأن من عاصره من الشعراء وهو في هذا يذكرنا بآين الأثير في مثله السائر . وفي الصفحات التالية تنشر هذه الرسالة الفريدة لأول مرة :

(دمشق)

عبد الهادي هاشم

(١) يجعل فهرس دار الكتب رسالة الأنوار : مقامة أدبية في وصف آثار العجم ، وهو تطبيع صحيحه : في وصف آثار الفهم .

رسالة الأنوار

انتقبة من أوار^(١) النار

صنعة السيد الفاضل الصدر العدل الرضي ، أوحده دهره وفريد عصره ،
مقدم الفصحاء والبلغاء ، أفضل الكتاب والوزراء ، رئيس
الادباء والشعراء ، أمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمود
ابن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب ، أدام الله علاه ، وكبت حساده وأعداءه .

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت أملت عليك - أطل الله في الجدد الراسخ بقاءك ، وأدام في الجدد
الراسخ ارتقاءك ، في سعادة تحرم لك المراتب ، وتحرمنك عنك لسان العايب
والعائب ، - بعد محاضرة تجاذبنا أطراف طرفها ، ومذاكرة تشاربنا ملاف
سلطانها^(٢) ، ماجري لي بحلب ، مع سادة من أهل الأدب ، وجماعة من
أتواب الرتب ، يُعجب الأسماع حديثه ، ويُطرب الطباع قديمه وحديثه ،
وتستطرفه النفوس ، ويستلطفه الرئيس والمرءوس ، ثم قد عليه الخناصر ، ولا يميل
إيراده المتناصر^(٣) ، فهزلك طرباً ، واستفزك عجياً وعجياً ، واقترحت علي
الاهتمام بتسجيله ، واقترحت زناد الاعتزام لتعجيله ، واستفتحت بالنعوذ من
تأخيرته وتأجيله ، فأنسيت « وما أناس إلا الشيطان »^(٤) ، وأهملته إهمالاً ألهمني

(١) الأنوار : الباب

(٢) ضبطت هذه الكلمة في الأصل المسموع على المؤلف بفتح الين ، ولكننا نرى

الضم أولى ، ومعنى السلف كما في اللسان : ما تدخره المرأة لتعف به من زارها .

(٣) تنصرت الأخبار : خدق بعضها بعضاً .

(٤) اقتباس من الآية الكريمة ٦٤ من سورة الكهف ١٨ .

الحرمان ؛ ثم أُجِلَّتْ^(١) عن الخطر الغمة ، وأُنْجِلَتْ عن الناظر الظلمة ،
وَأَذْكَرَتْهُ وَلَكِنْ بَعْدَ أُمَّةٍ^(٢) ، فَأَوْدَعَتْهُ صَحِيفَةً لَطِيفَةً ، لَتَكُونَ عَلَى مَنَعِمَاتِهَا
خَفِيفَةً ، وَإِلَى مَحْفِظِهَا أَلِيفَةً .

وذلك أنه لما كانت سنة ست وتسعين وخمس مائة حدث لي من الضجر ،
يَجْلِبُ فِي صَفَرٍ ، مَا أَوْجِبَ لِي عَنْهَا السَّفَرُ ، وَنَعِبَ بِهِ طَائِرُ الْبَيْتَيْنِ وَصَفَرُ ؛
فَخَرَجْتُ مِنْهَا لَا خَائِفًا مَتَرَفِيًّا^(٣) ، بَلْ عَنْ أَهْلِ الْفَضْلِ مَنَقِيًّا ، وَرَأَيْتُ مِنْ وَجْهِ
الْأَمَلِ سَافِرًا مَا كَانَ مُسْتَنَقِيًّا ، وَسَمِعْتُ لِأَعْلَامِ الْعِلْمِ مُتَطَلِّبًا ، وَمَعَ تَصَارُيفِ
الْعُرُوفِ مُتَعَلِّبًا .

فَلَمَّا أَظْفَرْتُني بِدَمَشْقَ بَدِ السَّفَرِ ، وَأَسْفَرْتُ لِي بِهَا طَلْمَةُ الظَّنِّ ، أَلْفَيْتُهَا
كَمَا وَصَفَهَا أَهْلُ الظَّرْفِ ، وَفِيهَا كُلُّ مَا يَشُوقُ الْقَلْبَ وَيُرْوِقُ الظَّرْفَ ، وَتَلَقَّيْتُ
شَبِيبًا وَشَبَابًا^(٤) ، وَشِعْرًا وَهَذَا وَكِتَابًا ، وَخَطْبًا وَحَسَابًا ، نِيْمًا خَسَنًا بِهِ
عِنْدَ نَفْسِي اعْتِرَابًا ، وَهَجْنًا بِهِ لَدَيْهَا وَطَنًا وَأَتْرَابًا ، وَأَنَسَانِي حَلْبًا وَإِنْ كُنْتُ
«أَوَّلُ أَرْضٍ مَنِ جَلَدِي تَرَابُهَا»^(٥) ، وَحَمَلَنِي أَهْلُهَا مِنَ الْكِرَامَةِ ، مَا حَمَلَنِي عَلَى
اتِّخَاذِهَا دَارَ إِقَامَةٍ ، وَفَلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَلَّنِي مِنْ فَضْلِهِ دَارَ الْمُقَامَةِ^(٦) ،
وَهَزَزْتُ بَجَذْوَعِيَا فَسَافَطْتُ عَلَى رُطْبًا جَنِيًّا^(٧) ، وَامْتَرَيْتُ خُصْرُوعَهَا فَأَذَرْتُ لَدَيْ
جَنَّتِيَا حَنِيًّا ، وَبَلَوْتُ^(٨) بَيْنَهَا فَأَلْفَيْتُ كَلًّا فِي حَفِيَّا .

(١) أَجَلِي ، عَلَى الزَّوْمِ لَا التَّمْدِيدِ : تَفَرَّقَ وَانْفَرَجَ .

(٢) الْأُمَّةُ : الْحِينُ .

(٣) اقْتِبَاسٌ مِنَ آيَةِ الْكَرِيمَةِ ٢٠ مِنْ سُورَةِ الْقَصَصِ ٢٨ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : وَشَبَابُهَا ، وَمَا أُثْبِتَاهُ أَكْثَرُ مِلَامَةٍ لِأَسْلُوبِ الْمُؤَلِّفِ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ .

(٥) هَذَا شَطْرُ مِنْ آيَاتِ ثَلَاثَةِ اخْتِلافٍ فِي قَائِلِهَا وَرَوَايَتُهَا ، وَأَشَارَ إِلَى بَعْضِهَا أَوْ

كُلِّهَا كَثِيرٌ مِنْ كُتُبِ الْاِتِّعَانِ وَالْأَدَبِ كَاللَّسَانِ (فِي نَوَاطِ) وَالْأَمَالِي (٨٣ / ١)

وَسَطِ اللَّالِي وَالْكَامِلِ وَزَهْرِ الْآدَابِ

(٦) اقْتِبَاسٌ مِنَ آيَةِ الْكَرِيمَةِ ٣٢ مِنْ سُورَةِ الْمَائِكَةِ ٣٥ .

(٧) اقْتِبَاسٌ مِنَ آيَةِ الْكَرِيمَةِ ٢٤ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ ١٩ .

(٨) فِي الْأَصْلِ : وَحَالَفْتُ ، وَمَا أُثْبِتَاهُ مَا خُوِذَ عَنْ الْهَامِشِ .

فما أنسَ لا أنسَ الزمان الذي بها توَلَّى وعيشًا كنتُ أنْتَبِهَ منها
وصحبة قوم كلَّما شئتُ أن أرى وجوهمهم التُّرَّ الحسان أرى الشُّبها
وهل أنا ناسٍ ما يذكركني به أَمِيلُ نهارِي والنسيمُ إذا هبَا
ولما كانت سنة ستِّمائةٍ عُدْتُ إلى حلب لمهمة عرَضْتُ ، ومداواة نفس
بالشوق إلى ألفٍ لها مبرِحتُ ؛ حتى إذا حلتُ برُحْبها ، وحلَّتُ حُبها ^(١)
السفر للإقامة بها ، واستراحت نفسي باستنشاء رَوْح صباها ، لم أجد منها
ما كنتُ أعهدُهُ من عمارة مَعْمَد صباها ؛ فعلمتُ أن محاسن أهل دمشق قد
أفسدتُ عليَّ ناظري ، وأن إحسانهم قد شغل عن سواهم خاطري ، وخفتُ
أن تفيض ^(٢) مهجتي ، لما كادت تفيض بهجتي .

وكان بحلب وزير فاضل ، يُمنَى بالأفاضل ، ويمطرهم بحائب النوازل ،
وهو نظام الدين أبو الحسين سبط جمال الدين بن الحصين ؛ فعطف عليَّ عطفة
الظباء على الأتلاء ، وخفَّ إليَّ خِفَّةَ الحنين إلى الأحياء ^(٣) وجذبني إلى
الوطن ، بما قرُب من الوعظ وما شطن ^(٤) ، ورغبني في العود إلى العطن ، بما
ظهر من النصع وما بطن ؛ فلم أزدُ على طول الرياضة إلا شجاسةً ، ولم أقدُ
على كثرة الترجيئ إلا ياساً . وقد كان فارضني في مثل هذا بدمشق ، وعارضني
بأشدَّ من هذا القول وأشق ، وهيات لا يؤثر معول الباطل في صفاء الحق .
فلما رأني بحلب ، توهم أن يخلِّف خَلْبَهُ قد حلب ، وحكم بأن مضارب عدله
جاب وجلب ، وحسب أن استعطائه قد خامر رِخَابَ ^(٥) كَيْيَدي فتخلَّب ، وظنَّ

(١) حلَّ الأولى بمعنى تزل وأمام والثانية بمعنى فك ، والحبا أو الحى بضم أوله

وكسره جمع حبة .

(٢) قاط يفيض : مات .

(٣) في الأصل : أطلأها . . . وأحيائها . وما ذكرناه من تصحيح الهامش .

(٤) شطن : يَشْدُ .

(٥) رِخَاب الكبد : حجابها .

أنه ظفر مني بما كان طلب ؛ فجعل يبشرني بانجاح طلي ، ويمدني بمخاطبة
سلطانه بسبي ، ويقتسم بالله جهده أيمانه ليجهدني في إدراك أرتي ؛ فلانت
للمقام عربكتي ، وهامت في وادي الانتظار قرونتي ^(١) وبشرني التماع أصارير
مسرتي ، بمساعدة القضاء على إنجاز قضيتي .

فبيننا أنا ذات ليلة ليلاء ، مدلمعة صرداء ، تساورني من أسود المحوم
كل ضئيلة رقشاء ، ويواثيني من أسود الطمع كل أغلب وغباء ، إذ استدعاني
الوزير بجماعة من أصحابه ، فيهم مقدم تجابه ، وأمامهم من المشاعل ما أعاد الليل
نهاراً ، ومن الشموع ما خلته أشجاراً أثرت نارا ، وشاع من أشعة أضوائها
ما عاد به جرف الظلام منهاراً ، وخيلت حنادس الظلاء نبات فاضت
(عليها) ^(٢) أنواء الأنوار (فأجرت خلاطاً) ^(٣) أنهاراً . فأبقت أن ليل
الوفاء ^(٤) قد أقر ، وعود الرجاء قد أثمر ، فنهضت نهوض المنشط من
العقال ، وخرجت خروج من أفرج عنه بعد الاعتقال ، وجعلت أمشي مشية
الحنال ، وأهتز اهتزاز من أظنره بمواده لطفت الاحتيال . فلما دخلت عليه ،
أجلستني إليه ، وأكرم مشواي ، وهنأني ببلوغ مناي ، فسرت سرور المجدي
بعد العدم ، والمهندي بالعلم بعد الفلال في دياجير الظلم ، ونظرت فإذا
بجلسه غاص ، بالفضلاء الخواص ، ومن ذوي الأدب ، بكل من شعره وكتب .
وكان فيمن حضر من الأدباء ، سالم بن سعادة الحمصي ^(٥) المقدم في زمانه على
الشعراء ، ذو الخاطر الماهر ، والشعر الباهر ، والطبع الذي هو لمواصني
القوافي قاهر ، والفكر الذي هو لانتصاف شوارد المعاني ساهر ؛ إلا أنه قد

(١) القرونة والمريكة : النفس .

(٢) ما بين القوسين استدراك وزيادة في الهامش .

(٣) في الأصل الخط . وما ذكرناه مأخوذ عن الهامش .

(٤) شاعر معروف توفي سنة ٦١٨ ، وعن أشار إليه ابن الهيثم الخبلي في (شذرات

الذهب) (٨٤/٥) ط . القاهرة سنة ١٣٠٥ .

أرتج عليه في ذلك المجلس ، وبين يديه صحيفة ينظر فيها ولا ينبيس ، كأنما ينظر في صحيفة التمس (١) ، فتأملت الصحيفة الملقاة ، فإذا فيها مكتوب بعد بسم الله :
 اشرب نبيثا عليك التاج مرتقيا في شاذمهر ودع غمدان ليمن
 فأت أدلى بتاج الملك تلبسه من هوذة بن علي وابن ذي بزن (٢)
 فقال لي الوزير - وكان ممن هو لخرايد المحامد زير (٣) ، ويده زمام التدبير والتدبير ، يد أن يده كانت مصانة (٤) عن التذير ، - إنه قد غنيت بين يدي السلطان بهذا الشعر فاستحسنه لما جعلته عليه ماشطة السكر ، وخطم على قائله خلع السكر ، وقال بعد ما عمل في استحسنه عوامل الفكر : أما في أهل الأدب بحباب من ينظم بيتا مثل هذا المعنى ، لتجلىه من الشرف أعلى منعتي ، ونجمته ممن كان مثمرا فاستغنى ؟ ثم أرسل بهذه الصحيفة إلي ، وأمر بإحضار الشعراء لدي ، لاستمري (٥) مواطر خواطرهم المحلولة عزالي الكزاد ، واستقدح قرائهم الواربة الزناد ، واستقري كواسر ضمائرهم الهائلة في كل واد ، وقد نظم كل من جواهر تجره ما (عليه) (٦) تيسر ، وتفسر على بعضهم ما تفسر ، وقد كنت مفكرا فيما عرض به للسلطان من ذكرك ،

- (١) التمس : جرير بن عبد السبع نديم عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقصة الصحيفة التي كتبها ابن هند إلى عامله بقتل التمس مشهورة في كتب الأدب .
 (٢) يضبط الأصل هذا الشعر بفتح الميم في (من) وضم الهاء المتطرفة في هوذة والنون في (بن) و (ابن) . ولا ذهب إليه وجه يفضل في رأينا الشكل الذي أثبتناه . أما هوذة (وهو ابن علي الحنفي صاحب اليمامة مخدوم الأعشى) فقد ضبط يفتح فسكون كما هو المشهور ولكن ذهب قوم إلى ضم أوله وسكون ثانيه ، راجع في ذلك تاج العروس في (هوذ) .
 (٣) حذف المؤلف الألف من آخر الكلمة التزاما للجمع قيا يظهر قوله توجه .
 (٤) كذا في الأصل وليس في اللغة أمان ، ولعل النسخ أخطأ فجعل مصانة بدل مصونة ، ولم يفتن السامع والمؤلف .
 (٥) استمري اللين ونحوه : استخرجه واستدره .
 (٦) زيادة من استدراكات الهامش .

وأَتوصِلُ به إلى مخاطبته في أمرِك ، وقد اتَّفقتُ هذه الحركة ، وأرجو أن تكون مُقتَرِفة بالبركة ، ولصيد ما تُؤمِّلُ شبكة ، فإن رأيتَ أن تشوي نَمَكُكَ في هذا الحريق ، وتُنهج الطريق ، وتُترج المضيق ، بما تنظمه في هذا المعنى من شعرك الرقيق ، فافعل وبالله التوفيق . ثم أدنى إليّ دواة ويضاء ، وقال : استخِر الله يستخِر لك القضاء . فأعملتُ جِوَادَ الجَنَان ، فجري وما كبا ، وسللتُ حِسامَ اللسان ، ففري وما نبا ، وكُتِبَتْ ما به حاسدي كُتِبَتْ ، وهو :

أيامُ ملك غياث الدين ذي المن	لدى رعيته من أشرف الزمن ^(١)
ملك خلائقه أصنى لرامقها	إذا تأملها من رائق المُرْت
وما زجت كل ذي نطق هابته	لما بَلَّوهُ امتزاج الماء باللين
كأنما صيفه والموت قد قرُتا	وأنفسُ القوم يوم الرّوع في قرَن
وأصبحت حلب اليفاض حين نوى	غازٍ بقلعتها من أحسن المدُن
عريّة الليث يحميها فكيف إذا	كانت عريته من أسمى القُن
فقل له يا غياث الدين قد فخرت	بك العواصم في الدنيا على اليمن
لم لا تنيه بك البلدان فاخرة	وأنت منها محلّ الروح في البدن
فاشرب بقلعك الشياه صافية	صهبا تشني مقام الهم والحزن
فأنت أحرى بملك الأرض أجمعها	من سيف حمدان أو سيف بن ذي يزن ^(٢)
لا زلت ترقل في يرد العلي مرحا	ما غربت ذات طوق في ذرى عُصْن

ثم أرسلَ ما نظمه الجماعة إلى السلطان ، على يد غلام من أقرَمَ الغلمان ، فوجده الغلام ، قد استولى عليه كأما المنام والمُدام ، وأصبح دمع كل من القوم

(١) في صلب النص (على) وفي الهامش (لدى) كما ابتدأ .

(٢) في الأصل المسموع على المؤلف تحت منه (من) والأواخر من (سيف) و (بن) . ولهذا الشكل وجه يفرضه في رأينا ما ابتدأه . وجاء مثل ذلك في الصفحة السابقة ، راجع الحاشية التالية فيما .

لأنّ آخر الجواب سائلا ، وراح كلّ منهم عما أُنتِجَتْ عُشْرَاهُ قضيته سائلا ، فلم يُسْمَعْ عن ذلك أثر ، ولا رُوِيَ له عين ولا أثر .

وكان ابنُ سعادة الحميُّ كثير الاجتماع بفارس بن سنان الحلبي ، وكان فارسٌ من الشعراء المجيدين ، والأدباء المجدودين ، والفضلاء المجتهدين ؛ قد أربى على أقرانه ، وفاق أبناء زمانه ، وله كلّ شاردة القوافي ، سالمة القوادم والخوافي . فاجتمع به صبيحة الليلة التي فيها اجتمعنا ، وتعيّنا بالحضور والمخاضرة فيها واستمتعنا ، وأخبره بقديمي ، وبلغه قجيني وتسلمي ، فوافاني من الغد مسلحا مهتبا ، وناداني إلى منزله مسندعيا ؛ فأجبتُه إلى مُرادِه ، وانطلقت معه طلق العنان إلى مُرادِه ؛ فاذا جماعة من ذوي الأدب حاضرون ، وفي مبدان البيان مُحضرون ، وبأنواع الفصاحة والبلاغة متحاضرون ، فاستبشروا بموردي ، وأقبلوا على تقبيل يدي ؛ فما استقرّ بنا المجلس ، ولا رجّع نقسه المتنقيس ، حتى أخضر كائون من الصفر الأخضر ، وناره تحت فحنه كلابس مغفر ، على قناع مزعفر^(١) ، ودخانه أطيب من دُخان العود الإذقر ، شكله مربع ، وأرجله أربع ، وقد أحسن فيه صانه وأبدع ، واستفرغ جهده فيه أجمع ، يستوقف حسنه الأبصار ، وتُعوز مثله الأمصار ، وكشّيتي ناره دخول النار ، في يوم يرد (كان)^(٢) كلّ مُكتسٍ فيه عاري ، وما اكتساء الكساء فيه بعاري ، كأنما ناره وقد خذت في أطراف الفحم ، ثغر سوداء ابنسم ، أو الفجر افرّ في وجه الظلم . فراق منظره الأعين ، وأفحم عن وصف ناره وفحجه الألسن ؛ فقلت للحاضرين : أمّا ترون هذا المنظر البهج ، كأنه صحن عقيق نُثر عليه سبج ؟^(٣) فقال من عن عيني : كأن منظره

(١) في المتن : ممبغر . والذي أثبتاه مأخوذ عن الهامش .

(٢) زيادة في الهامش .

(٣) السبج : الخرز الأسود .

الأنيق ، بَنَفَسَج نُفِدَ عَلَى شَقِيق . وقال الآخر : مَا أَشْبَهَهُ بِطِيق . من ذهب ، مِلْيُ بِسُودَ من العنب . وقال رجل الى جانبه : كَأَنَّهُ أَنَامِلُ سُودَاءِ مُشَبَّكَةٌ عَلَى نَارِجَةِ صَفَرَاءِ .

فقلتُ : أنتم شعراء العصر ، وما لَكُمْ زمام المدِّ والقصر ، ونصحاء أبناء الدهر ، وبلغاء البدو والحضر ، ولكم في النظم كلُّ عود نضر ، واليكم مرجع الأمر في صنعة الشعر . فما لَكُمْ وللنثر ، وقد جمع منكم هذا المكانُ سادةً لا يساعده مثله على مثليها الإمكانُ ، ولا والله ليس له بأختها يدان ، ولو أطاع له القدر ودان ، فأنشدوا ياذري الفضائل ، مارويتموه عن مَنْ رأيتموه من شعر الأوائل ، فلديكم من الرواية كل فن طائل . فقال صاحب المكان ، وهو فارس بن سنان : أجل ما في مثل هذا أنشد ، وأجل ما به عليه استشهد ، قول ابن المعتز الذي يزداد حسنا كلما رُدِّد :

كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلْظِيهَا وَالْفَحْمُ مِنْ فَوْقِهَا يَفْطِيهَا ^(١)

زَنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أَنْامِلَهَا مِنْ فَوْقِ نَارِجَةٍ تَخْفِيهَا

وقال سالم بن سماعة ، الذي ما فوق بلاغته زيادة : أبلغ أفاديل الشعراء ، في نار الاصطلاء ، قول السري الرفاء :

وَذِي أَرْبَعٍ لَا يَطِيقُ النَّهْرُضَ وَلَا يَأْلُفُ السَّيْرَ فِيمَنْ مَرَى

نُضْمَتُهُ مَبْجَا أَسْوَدَا فَيَمْلَهُ ذَهَبَا أَحْمَرَا ^(٢)

وقال الثالث ، فأنسى بإنشاده المثاني والمثالث ، وهو أحمد اللالائي الذي هو لكل فضيلة مترائي : أَتَصَعُّ مَا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْنِ ، وَأَصْنَعُ مَا وُلِجَ فِي

(١) ليس هذان البيتان في ديوان ابن المعتز المطبوع في القاهرة وبغروت واستانبول ، وتنسبها بعض كتب الأدب إلى غيره وقد تجل (تليها) بدل (تظليها) .

(٢) أثبت هذين البيتين للسري الرفاء التالي في ياقته (١/١٠٥) من طبعة القاهرة ١٩٣٤ ولكنه ذكر (تحلة) بدل (نضمة) .

أذنين ، قولُ أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدين (١) :
 ومُتَعَبِدٌ لَأَحْرَاكَ بِنَهْضِهِ وهو على أربعٍ قد انتصبا .
 مصفًورٍ مُحْرِقٍ تَنْتَفِشُهُ تخاله العينُ عاثقًا وَصَبًا .
 إِذَا تَنَظَّمْنَا فِي جِيدِهِ سِيمَا صَيَّرَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ ذَهَبًا .
 وقال الرابع ، وهو شابٌ بحسن صورته رائع ، يَشْتَغِلُ بِصِبَاحَتِهِ الرَّائِي وَيُذْهِلُ
 بِفَصَاحَتِهِ السَّامِعَ ، دِهَشْتُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ، بِمَا شَهِدْتُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ : أَطْرَفُ مَا أَتَشَدُّ
 فِي هَذَا الْمَعْنَى الْمُسْتَجَادَ ، وَالْطَفَ مَا رُدُّدٌ فِيهِ الْإِنْشَادُ ، مَا نَظَّمَهُ فِيهِ ظَافِرُ الْخَدَّادِ :
 كَأَنَّ سِوَادَ الْفَحْمِ مِنْ فَوْقِ جَمْرِهِ وَقَدْ جُمِعَا فَاسْتُخْسِنَ الضَّدُّ بِالضَّدِّ
 غَدَائِرُ بَخُورٍ فَرَّقَتْهَا وَقَدْ بَدَّتْ عَلَى خَفَرٍ مِنْ تَحْتِهَا 'حَمْرَةٌ' الْخَدِّ
 نَقَلْتُ لَهُمَ : ابْتَلَعُ مِنْ الْجَمِيعِ ، وَأَبْدِعْ مِنَ الْبَذِيعِ ، وَأَصْنَعْ مَا صُنِعَ فِي
 هَذَا الْمَعْنَى الصَّنِيعِ ، شَعَرُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ وَكِيعٍ (٢) :
 فَحَمُّ أَحْضَرَ الْغَلَامِ إِلَيْنَا فِي كَوَانِينِهِ حَيَاةُ النَّفُوسِ
 لَقِيْنَا النَّارَ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ فَكَسَتْهُ مُصَبَّغَاتُ عُرُوسِ
 كَانَ كَالْآبَنُوسِ غَيْرَ مُخَلَّتِي فَأَنْشَأَ وَهُوَ مُذَمَّبُ الْآبَنُوسِ
 فَاسْتَحْسَنَ الشَّيْبَ وَالشَّبَّانَ ، الْحَاضِرُونَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَقَالُوا : هَذَا وَاللَّهِ
 مِنَ الْأَشْعَارِ الْحَسَنِ ، الَّتِي تَلْجُ الْآذَانُ ، بَلَا امْتِثَانٍ . نَقَلْتُ : كَيْفَ لَوْ
 سَمِعْتُمْ شَعْرَ بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ ، الَّذِي أَلْحَقَ طَوَالِحَ كَوَاكِبِ الشُّعْرَاءِ بِالْمَغَارِبَةِ ؟
 فَقَالُوا : بِاللَّهِ إِلَّا أَسَمِعْتَنَا ، وَأَدَمْتَ مَا بِهِ أَمْتَعْتَنَا . فَأَنْشَدْتُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ :
 هَاتِ الَّتِي لِلْأَبْنِ أَصْلُ وَلَادِمَا وَلَهَا جِبِينَ الشَّمْسِ فِي الْأَشْمَاسِ

(١) يروي هذه الآيات صاحب النية (١٦٧/٢ من الطبعة المذكورة) لأبي بكر الخالدي ولا يشرك فيها أخاه أبا عثمان ، وهو يوردهما في قصيدة طويلة .
 (٢) يورد صاحب النية (٣١٧/١ و ٣٤٤ من الطبعة المذكورة) هذه الآيات مع اختلاف يسير في روايتها وينسبها لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع النسي .

أنسُ الوحيدُ وصبحُ ليلِ المُنْتَشِي ولباسُ مَنْ أَمْسَى بِغَيْرِ لِبَاسٍ :
 يضاءُ تَرْنُلٌ في السَّوَادِ كأنَّما ضَرَبَتْ بِمِرْقٍ في بَنِي العَبَّاسِ
 فقالوا : زِدْنَا مِنْ إِنْشَادِكَ ، لا حَدَثَ عَنْ سَنَنْ رِشَادِكَ . فأنشدتهم قول
 الصنوبري ^(١) ، الَّذِي هُوَ مِنْ الحَسَنِ مَبْرِي ، ومن العيبِ يري :
 أما ترى البردَ قد وافَت عساكره وعسكرُ الحرِّ كيف انصاع منطلقا
 والأرضُ تحتَ سَقِيطِ الثلجِ تحسبها قد ألبست قِنَكا أو غَشِيَتْ ورقا
 فانفضَّ بنارِ الی غَمٍّ كأنَّما في العينِ ظَلَمٌ وانصافٍ قد انفقوا
 كقلبِ الصبِّ حينَ سَلَا يرداً قَصِرْنَا كقلبِ الصبِّ إِذْ عَشَقَا ^(٢)
 فطربهم : طربا كَاد يُكْسِبُهُم الزَّمَاعَةُ ^(٣) ، وقالوا : زدنا من هذه
 الأناشيد ، التي أحْكِمَ بناءَ معانيها وشيد . فقلتُ : أمدُ إنشادي لا ينتهي ،
 وقوة مددي فيه لا تنهي ، وكلَّكم إذا نظَّم أُرَى بِمُوثِقَاتِ العقودِ ، وأنى بأَيَاتِ
 مُوثِقَاتِ العقودِ ، كأنَّها حلَاوةُ ذِوْبِ العسلِ المَعْقُودِ ، وتكاد إذا أنشِدْتَ
 مُلَحِّقَ القيامِ سَكْرًا بالعمودِ ، فانظَّموا من فرائدكم المتتقاة ، وأنفقوا بما
 آتاكم الله ، فابدر رب البيت ، وأنشد بيثنتين أعذبَ مذاقا من الكُمَيْتِ ،
 ولم يَقُلْ كَيْتٌ وَكَيْتٌ :

أَنْظُرْ لِكَانُونِنَا وَمَا فِيهِ وَقَدْ بَدَأَ بَيْنَنَا قَلْبُظِيهِ
 يَأْخُذُ قَحْما كأنَّهُ صَبَّحَ يَتْرُكُهُ عَسْجِدًا لِرَأْيِهِ

(١) أبو بكر أحمد بن محمد (يقول بروكان في الديان ١٤٥/١ : محمد بن أحمد)
 الصنوبري (ت ٣٣٤ / ٩٤٥) شاعر عمن وأكثر أشعاره في وصف الطبيعة
 والفصول والورد ، ممن تحدث عنه الطباخ في اعلام النبلاء ٢٣/٤ وابن شاعر في
 فوات الوفيات ٦٢/١ .

(٢) يورد صاحب القيمة (٣٠٩/٢ من الطبيعة المذكورة) هذه الأبيات مع اختلاف
 يسير في رواية البيت الثاني وفيها للقاضي التوحي أي القاسم علي بن محمد
 ابن دارد (من شعراء البصرة) . في البيت الثالث رواية الأصل : (بفهم الی
 فار) ، وفي الهامش ما أثبتناه .

(٣) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان ، وزمع منه : دمس . ولم نجد للزماعة
 التي ذكرها المؤلف معنى يناسب سياق الكلام .

وتلاه سالم فأشده عجزاً ولم يتردد ، يتبين أحسنَ نظاماً من عقود الزبرجد :
 وَحَبَبٌ ذَا مَنَقَلْنَا وَنَارُهُ ذَاتُ الْوَهَجِ
 صار عقيقاً فحمةً مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ سَبِجَ .
 ثم تلاه أحمد ، فحمد الجماعة ما أورد ، واسترشد كلُّ ما أنشد :

كأنما نارنا وقد علقت ^(١) في النعم منها أوائلُ الوهج-
 جامٌ عقيق عليه قد تَنَزَّرتُ فلأئدُ نظمتُ من السبج-
 ثم أتى ذلك الشاب ، بما شخط له مفرق سامعه وشاب :
 أنا بكانون بكانون تلنظي به جذوة في النعم ذات توهج-
 كروض زهور جاده الطلُّ أوبدا خلال شقيق فيه نورُ بنفسج
 وانتهت النبوة إليّ ، وقد نظمتُ ما وجب عليّ ^(٢) ، فأشددتُ لما فرغ من
 الإنشاد ، كأنما كنا على ميعاد :

أنا بكانون يشبُّ اضطرامه كقلب محبٍ أو كصدر حصور
 كأن أحرار النار من تحت فحمها خدودُ عذاري في معاجر سود ^(٣)
 فاستحسنه الحاضرون واستجادوه ، ولولا فرط الحسد عليه لاستعادوه . ثم استهوتنا
 شياطينُ الفكاهة المتمردة ، إلى أن ختمتْ تلك النارُ المتوقدة ، واستبدلتْ
 بعد سواد فحمها رماداً يقفاً ^(٤) ، واكتست قضبان عسجدها من الوريق ورَقاً ،
 وأرتِ الناظرين رُواءاً موقفاً ، إلا أنها بدت بعد الاقترار ، في بُرْقَع الاكفرار ،
 وأعادتْ إلى كئائن الرماد ما فوقته من سهام الشرار ، وليست لباس الأخيـار ،
 وخلعت لباس الأشرار ، وتواري ما كانت تُريه من الأوار ، وأصبحتْ
 بعد جراح انتقادها ، وارتدت ^(٥) برداء رمادها ، فلاحت كالشهبان تحت ظلال

(١) في الأصل : ظهرت ، يدل علقت ، وما أثبتناه مأخوذ عن الهامش .

(٢) في حلب النص : وقد برئت بما وجب علي . وفي الهامش ما ذكرناه .

(٣) نجاه في الهامش هنا : الماجر جمع معجر وهو ما تشده المرأة ، كما في الصحاح .

(٤) اليق : الأبيض أو شديد البياض .

(٥) في الأصل : وتلحفت ، وفي الهامش ما أثبتناه .

الغام الخفيف ، أو الخرصان ^(١) لمت خَلَّ القَتَامَ الكثيف ، وجعل كلَّ منهم يرميها بسهام ناظره ، ويميل فيها قِدَاحَ خاطره ، (ويقتدح زناد قريحته ، ويُعَمِّلُ بعمَلات فكرته ،) ^(٢) فقلت : ما أَشَبَّهَهَا في حالها الماضي والآتي ، بقول عليّ ابن الساعاتي : ^(٣) .

انظر الى الكانون في بدئه . وبعد ما يخذ منه . اللهب .
بيننا تراه سيجاً مذهباً حتى ترى الكافور فوق الذهب .
فراق عقول الحاضرين وأعجبهم ، وشاقَّ قلوبَ المحاضرين وأطربهم . فقلت :
وأين أنتم عن المُجَاب ، الذي إذا دَعَا إلى مثله الخاطرُ لا يُجِيب ، وهو قول
السريّ الرفاء ^(٤) ، القائم للمعاني بشروط الوفاء :

خَفَقَتْ رَايَةُ الصَّبَاحِ وَلَنَا (م) رَ لِمِبْ كَالرَايَةِ الصَّفَرَاءُ
لَمَتِ لِلْعِيُونِ بَعْدَ سَوَادِ فَأَضَاءَتْ حَنَادِسَ الظُّلُمَاءِ
وَامْتَقَرَّتْ تَحْتَ الرَّمَادِ فَخَيَّلَتْ ذَهَبًا تَحْتَ فِضَّةِ بَيْضَاءِ
فَقَالَ سَالِمٌ : اللَّهُ دَر كَشَاجِمُ ، الْمَنَعَمُ عَنْ مَعَانِيهِ شُعْرَاءُ الْأَعْرَابِ وَالْأَعَاجِمِ :
كَأَنَّمَا الْجَمْرُ وَالرَّمَادُ وَقَدْ كَادَ يُوَارِي مِنْ نَارِهِ النُّورَا
وَرَدُّ جَنِيِّ الْقَطَافِ أَحْمَرُ قَدْ ذَرَّتْ عَلَيْهِ الْأَكْفُ كَافُورَا ^(٥)
فَقَالَ فَارَسُ بْنُ سَنَانٍ : أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :
كَأَنَّمَا النَّارُ وَالرَّمَادُ يَهَا وَخَوَّوْهَا فِي ظِلَامِهِ يُحْتَجَبُ .

(١) الخرص واحد الخرصان وهو الرمح المطيف والقناة والسنان .

(٢) ما بين القوسين استدراك في الهامش ولم يرد في الأصل .

(٣) ورد هذان البيتان في ديوان ابن الساعاتي (ص ١١٦ ج ١ طبعة بيروت ١٩٣٨) باختلاف يسير . ولكن نشر الديوان الأستاذ أنيس المقدسي وم قطن أن في رواية الديوان خلافا في وزن البيتين فعور وبدل حتى أخرجها عن وزنها الى وزن آخر .

(٤) أبو الحسن السري بن أحمد الرفاء الكندي الموصلية ، انظر ترجمته في بروكلمان (٩٠/١ والتبيل ١٤٤/١) والبيمة (٤٥٠/١) وأنساب السعدي وابن خلكان

(٥) ورد هذان البيتان في ديوان كشاجم (ص ٤٢ من طبعة بيروت ١٣١٣) مع اختلاف يسير في روايتهما .

وجنة عذراء مَسَّهَا خَجَلٌ قَاسَتْ رَتْ قَحْبَ عَنبرٍ أَشْبَهَ (١)
وقال أحمد الللائي ، غير محاب ولا مرأى : قول المأموني أبي طالب ، من هذا
المعنى مقارب :

ما نرى النار حين أَسْقَمَهَا الْقُرُ (م) فَأَضَحَتْ شَجْوً وَحِينًا تَسْمُرُ
وعند الجمر والرماد عليه في قبضين : مَذْهَبٌ وَمُعْتَبَرٌ (٢)
وقال الشاب الغريب : قول ابن سارة من هذا قريب :
ما كانت الزند للمقروور فأكمة إذ يجمد البرد منه ضاعداً وبداء
جاءوا يياقوتة حمراء قد قطعوا من مسك دارين أثواباً لها جوداء
حتى إذا ما تفتت بالرماد حبكت ورداً عليه سقيط الطل قد جمداء

فقلت لهم : أحسنتم وما وتبيئتم ، ولا ورئيتهم فيما روئيتهم ، ولا ارتبتم
فيما أنبتهم ، فليله أنتم ، فأنتم أرعدتم وأنفدتهم ، وشأ أنتم نظرائكم وفنتم ، ولكن
على العمل الممول ، فافعلوا في الثاني فاعلمكم في الأول ، وشئوا الآذان بما
تنظمونه من اللآلي ، واثنوا وإن كنتم من الآخر بما لم تستطعوا الأوالي (٣) .
فنهض ابن سنان ماثلاً ، وأنشد لنفسه متابلاً :

أنظر إلى كأنوتنا لتري ما شئت من منظر أنق
ولفتحهم قُضِبَ يديهما بعد النواد بأبيض بقق
فكانها قُضِبَ النصار علا من فوقها ورق من الورق

(١) ورد هذان البيتان في البيعة (س ٢٦ ج ١ من الطبعة المذكورة) لسيف الدولة

مع اختلاف يسير في روايتهما .

(٢) يورد صاحب البيعة (س ٢٦ ج ١ من الطبعة المذكورة) هذين البيتين

لأبي طالب المأموني الرقي باختلاف يسير في الرواية . ثم يترجمه (س ٢٤٤ ج ١) .

(٣) ينظر في هذا إلى قول المروي في سقط الزند :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطع الأوائل

فقلنا : هذا والله هو السحر الحلال ، الذي يعجز أن يأتي بمثله أبناء الحلال (١) .

وقفاه ابن سعادة فافتنى رشدا ، وأطرب حين شدا :

والجر يحكي في الرماد الذي . يستتر عنه غير مستور .

كواكبا من ذهب أشرقت على سماء من طباشير .
وأظن هذين البيتين من شعر أبيه ، بلا تمويه ، لأن سائما كان عاجزا عن
البديهة . وسألته فيما بعد عنهما ، ولأنهما . (فقال : ليس الكذب من مذهبي ،
هما) (٢) من شعر أبي .

ثم قام غلام اللالا ، ومد صوته بالانشاد له وعالى :

قد شابت النار في الكوانين . مذ شيب برد أنى بكانون .

كانها والرماد يسترها . ورد بدا من خلال أترين .

ويبرز ذلك الشاب يروز البطل ، وحلى بانشاده ما كان من حاله ذا غطل :

واقى الغلام بمنقل متضمن . نارا فياطوبى لها من نار .

وتوقدت في نحره جمراته . كالخد يشرق في صواد عذار .

وخببت فخلت رمادها من فوقها . حيا تنظم فوق كأس عقار .

ثم وجب تكيل الدائرة علي ، وألقى القوم أسماءهم إلي ، فبقيت مفكرا

في معنى لم أسبق إليه ، ولا عرجت قريحة قبل قريحتي عليه ؛ لأنهم قد استعملوا :

أجل المعاني ، التي مثلي مثلها بعاني ؛ وعافت نفسي الموارد المطروقة ، وأنت

أن تأتي بمعنى تكون إليه مسبوقة ؛ فجعلت قريحتي تبني وتهدم ، وفيكرى

توجد وتعدم ، فكان القوم أطيعوا طامعي ، وعرفوا غزوف طبعي ، فجعلوا

يترقبون صنعي . وكنت شاهدت مرة فاختة صدحت ، فصرعت وذبحت ،

(١) الحلال بكسر الحاء جمع حلة وهي الحلة والمجاس والمجتمع والقوم التزول فيهم كثرة .

(٢) ما بين القوسين موجود في الهامش فقط .

فانشتر ريشها على الدم ، فأشبه كافوراً ذُرَّ على عَنَدَم ، أو رماداً علاناراً لم يُنَحَّدَم . فقلتُ : هذا معنى ما هتَجَّستُ به الضمائر ، ولا حاكنه فكرة شاعر ، فعارلته فأطاع ، من غير امتناع ، وأجاب من غير دفاع ، ثم أنشدته فسرَّت به الأسماع ، وطربت له الطبائع ، وهو :

كأنما نارنا وقد خمدت وجرها بالرماد مستور

دم جرى من فواختٍ ذُبجت من فوقه ريشته مشور

فما في الجماعة إلا من نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر^(١) ، ثم صاح وكبر ، وقال : ما هذا قول البشر ، إن هو إلا سحر يؤثر^(٢) ؛ ثم اعترفوا لي بالإبداع ، وأقروا بأنني لم أسبق إليه بالإجماع ، وقالوا : لو سمعناه قبل لبسنا من أطمارنا ما لبسنا ، لحبستنا أنسنا ، عن القول وما نبسنا ، ولكن فات ما ذُبح ، وخسر من خسر وربح من ربح ، وأجمعوا على أن هذا هو الكلام الحر ، المرئي حسناً على الدراري والدُّر ، وأنه لم يسبق شاعر إلى مثله ، ولا خطر خاطر من قبله في سبيله ، وأن الفضل أبي أن يكون إلا لأهله . ثم انصرفنا ، ولشعبنا في أشغالنا وتصرفنا .

وهذه رسالة رق معناها وراق لفظها ، ووَجِب على كل متأدب حفظها ، وقد وافيت بما وعدتك به من إملائها ، ووقيت بما عاهدتك عليه من تحرير ذيول مُملائها ، ومصرف الأحوال ، مسؤول في تجديد صلاح الأحوال^(٣) ، وتجويد إصلاح الأقوال والأفعال ، إنه هو الكبير المتعال ، ولكل ما يريد فقال ، والحمد لله الذي إليه المُنتَقَلِب والمآل ، وصلواته على نبيه محمد وعلى من له من صحابة وآل ، ان شاء الله .

(١) اقتباس من الآيات الكريمة : ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من سورة المذثر ٧٤ .

(٢) اقتباس من الآيتين الكريميتين : ٢٤ و ٢٥ من السورة نفسها .

(٣) الأحوال الثانية لها جمع حول معنى السنة .

سمع جميع هذه الرسالة ، من لفظ منشيها السيد الأجل الامام العالم العامل
الفاضل الكامل أمين الدين سيد الوزراء والفضلاء والأدباء أمين الدين جمال
الإسلام أبي الفضل عبد المحسن بن حمود بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب
أبده الله ، صاحبها سيدنا وشيخنا الامام الحافظ العالم الزاهد الأصيل تاج الدين
بقية السلف أبو الحسن محمد بن الامام أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي ، وابنه
أبو بكر محمد ونقه الله ، وشيخنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد
البرزالي ، وشرف الدين أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم بن الحسين ، وعنه الدين
أبو محمد عبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر الإريطيان ، وجمال الدين أبو حامد
محمد بن علي بن محمود بن الصابوني ، وابنه أبو المالبي أحمد وهو في آخر الخامسة ،
وشمس الدين أبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع الأبهري ،
وعبد الرحمن بن بونس التونسي ، ومجد الدين يوسف بن محمد بن عبد الله التاسع ،
ومحمد بن أبي بكر بن إبراهيم الشاغوري المؤذن ، وعثمان بن يحيى المؤذن
بالكلاسة ، وأحمد بن يحيى بن عبد الرزاق المقدسي ، وإبراهيم بن داود بن
ظافر الفاضلي ، ومحمد بن يوسف بن محمد الكنجي ، وعبد الله بن سالم
ابن ثمال العرضي ، ومحمد بن علي بن محمد بن منصور اليماني رحمه الله ، وهذا خطه ،
وصح ذلك في يوم الخميس ثالث عشر ذي حجة سنة أربع وثلثين وستائة ،
بزاوية الحديث الأشرفية الفاضلية بكلاسة جامع دمشق حرسها الله ، والحمد
لله ونحده .

التكية السلمانية في دمشق

- ١ -

ان التكية التي أمر بإنشائها عند مدخل دمشق الغربي السلطان سليمان بن سليم الأول العثماني على إتمام القصر الأبلق للملك الظاهر بيبرس هي من أروع الفن المعماري التركي ، والأبداع من بنائها هي الغابة السامية التي أمت من أجلها .

عُثرت بين سجلات مديرية أوقاف دمشق على نسخة عن وثيقة هذه التكية سجلت فيها أوقافها وعينت نواحي البر التي يجب اتفاق غلاتها عليها . ولو سلمت الى يومنا أوقافها لكفى ربعا لإنشاء عدة جامعات عصرية وعشرات المؤسسات الخيرية .

قدر عشر هذه الأوقاف بموجب حكم صادر عن محكمة التمييز السورية عام ١٩٣١ بنحو من ثلاثة ملايين قرش تركي ذهباً .

يكن وراء كل مؤسسة دينية اسلامية هدف خيري وثقافي ، ولو رجعنا الى نصوص وثقاتها لكشفت لنا عن صفحات مشرقة من الحضارة الاسلامية وثقافتها في أساليب نشر الثقافة الدينية والى جانبها الحذب على اليتيم والمسكين والمريض ، هذا ما حملني على نشر هذه الوثيقة التي تعطي فكرة واضحة عن الدافع الحقيقي الى تأسيس المعاهد الدينية واقبال المسلمين عليها وجعلها صدقة جارية اجناء ثواب الله ومَرْضاته .

حذفت من هذه الوثيقة مقدمتها المختصرة على إطراد ضرايا الواقف والبداء له لعلها وتشويه نصها ولأنها لا تفيد موضوعنا . وقد تعذر عليّ تحقيق هذه

الوقفية ومقابلتها على نسخة ثانية صحيحة^(١) ، ولهذا لم يتبين لي وجه الصحة في بعض المواضع فنقلتها على علاتها .

بيان القرى الموقوفة

- ١ - الزبداني (الكامل)
- ٢ - كفر عامر من نواحي الزبداني (الكامل)
- ٣ - الكرمة من نواحي الزبداني ($\frac{١٨}{٢٤}$ قيراطاً)
- ٤ - الأشرفية من توابع الزبداني (الكامل)
- ٥ - الحارة من نواحي الزبداني (الكامل)
- ٦ - العادلية من توابع وادي العجم ($\frac{٢١}{٢٤}$ قيراطاً)
- ٧ - زاكية من نواحي وادي العجم (الكامل)
- ٨ - سيدنايا من توابع ناحية العسال (الكامل)
- ٩ - معرة سيدنايا (الكامل)
- ١٠ - ماطي من توابع معرة سيدنايا (الكامل)
- ١١ - المرج من أعمال الشام ($\frac{١٥}{٢٤}$ قيراطاً)
- ١٢ - المزة من توابع غوطة دمشق (الكامل)
- ١٣ - سفيرة من أعمال الشام ($\frac{١٦}{٢٤}$ قيراطاً)
- ١٤ - قبر البت وتعرف أيضاً بالراوية من توابع غوطة دمشق (الكامل)

(١) لم أتمكن من الوقوف على النسخة الأصلية التي نقلت عنها نسخة مطبوعة أوقف دمشق المحفوظة لدى أحد وريثة الشيخ أسيد الصاحب متولي البكية المذكورة في العهد العثماني . وقد أفادني الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان أنه يوجد نسخة ثانية في الخزانة التيمورية في القاهرة في الرسالة (٢٣) من المجموع المخطوط رقم (٢٦٦) انشاء محمد جاني المنشئ لم أطلع عليها .

- ١٥ - عقربا من توابع غوطة دمشق (الكامل)
- ١٦ - القصبة داخلية في حدود عقربا (الكامل)
- ١٧ - قرحتا من أعمال الشام (الكامل)
- ١٨ - مزرعة الفويحته من توابع قرية قرحتا (الكامل)
- ١٩ - دوما تابع الغوطة (الكامل)
- ٢٠ - مسرابا تابع الغوطة (الكامل)
- ٢١ - دورس من أعمال بعلبك (الكامل)
- ٢٢ - مزرعة بلطي قرب دورس (الكامل)
- ٢٣ - ابعاث من توابع بعلبك (الكامل)
- ٢٤ - طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
- ٢٥ - كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
- ٢٦ - مزرعة كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
- ٢٧ - صرعين من أعمال بعلبك (الكامل)
- ٢٨ - حور تعلابا من أعمال بعلبك (الكامل)
- ٢٩ - مزرعة الرقاب من أعمال بعلبك (الكامل)
- ٣٠ - بيت شامان من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
- ٣١ - الفرزل من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
- ٣٢ - مزرعة كفرعنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
- ٣٣ - مزرعة البروفية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
- ٣٤ - مزرعة العونية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
- ٣٥ - مزرعة تليلا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
- ٣٦ - قصر بنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
- ٣٧ - ريان البصل من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)

- ٣٨ - ارعيت من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
 ٣٩ - مزرعة الكفيرات من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
 ٤٠ - القرية من أعمال الكرك نوح (الكامل)
 ٤١ - السعادة من أعمال الكرك نوح (الكامل)
 ٤٢ - الدلمية من أعمال الكرك نوح (الكامل)
 ٤٣ - الطيرة من جبل عامل (الكامل)
 ٤٤ - الطيبة من جبل عامل (الكامل)
 ٤٥ - كوكب الهواء قضاء طرطوز اللاذقية (الكامل)
 ٤٦ - الماعوث (الكامل)
 ٤٧ - ازرع من أعمال حوران (الكامل)
 ٤٨ - مزرعة مليحة (الكامل)
 ٤٩ - داريا الكبرى من أعمال اقليم الداراني تابع الشام (الكامل)

الوظائف المحددة في الوقية.

الوظيفة	المدد	الراتب اليومي
متول	١	٥٠ درهماً
كاتب شهيد	١	١٥ درهماً
جاب	١	٦ دراهم
جاب قضاء بعلبك والكرك	١	١٠ دراهم
امام	٢	١٥ درهماً لكل منهما
موقت	١	٥ دراهم
بواب	١	٥ دراهم
فراش	١	٥ دراهم

الشكبة السلجانية في دمشق

٢٢٦

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
كناس	١	٥ دراهم
شعال	١	٥ دراهم
مبخر	١	٢ درهمان
رئيس الحفاظ	١	٥ دراهم
قراء حفاظ	٦	٢ درهمان لكل منهم
مؤلف	١	٢ درهمان
شيخ الاجزاء	١	٤ دراهم
قراء	٢٩	٢ درهمان لكل منهم
مفرق الاجزاء	١	٢ درهمان
مراقب الدوام	١	٢ درهمان
قاري عشر بعد صلاة الظهر	١	٤ دراهم
قاري عشر بعد صلاة العصر	١	٤ دراهم
واعظ	١	١٠ دراهم
قاري مجود لسورة يس بعد صلاة الصبح	١	٣ دراهم
قاري مجود لسورة عم بعد صلاة العصر	١	٣ دراهم
حافظ المصاحف	١	٢ درهمان
كناس وفراش الحرم	١	٢ درهمان
بواب الباب الشرقي	١	٥ دراهم
بواب الباب الغربي	١	٥ دراهم
فراش الضيفان	١	٥ دراهم
ناظر الطعام	١	٦ دراهم

الوظيفة	المدد	الراتب اليومي
موزع الخبز	١	٦ دراهم
موزع اللحم	١	٦ دراهم
أستاذ الطبخ	٤	٧ دراهم لكل منهم
تليد خدمة الأمانة	٦	٤ دراهم لكل منهم
خباز	١	٧ دراهم
تليد خدمة خبز الخبز	٤	٥ دراهم لكل منهم
وكيل خرج للعمارة	١	٦ دراهم
حمال صحون الأطعمة لبيوت الضيافة	٢	٢ درهمان لكل منهما
حمال طامات الأطعمة الى الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
منظف أواني بيوت الضيافة	١	٢ درهمان
منظف طامات طعام الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
عمود ومبيض الاواني والطامات	١	٤ دراهم
دقاق حنطة	١	٥ دراهم
خازن	١	٦ دراهم
تليد خازن (معاون)	١	٢ درهمان
حمال اللحم	١	٤ دراهم
متقي الحنطة	٤	٢ درهمان لكل منهم
بواب العمارة والمآكل	٢	٤ دراهم لكل منهما
خازن الأنبار	١	٤ دراهم

نص الوقفية بعد حذف المقدمة

ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار

.
.

أراد الواقف السلطان المنوّه أعلى الكتاب بذكره الشريف المستطاب
لا زالت أعلام معالم عدله واحسانه منشورة ولا يرحت بلاد الأرض بما رحبت
بجمايته معمورة أن يرتب من الوقف الدار والبر البار النافع الممدار القابل للاستغلال
والاستثمار ما يقوم بأوده ويموله وما يحده حدوده ويصونه صيانته فقد وقف وأيد
وأرصد وخلد عن صميم طوية على الإخلاص مطوية وصفاء نية^(١) سنية جميع
مأهوله وماهوله ومملكه، ويبد سلطان تصرفه مأكده بمقتضى شراء شرعي صحيح .
وذلك جميع القرية المعروفة بالزبداني من أعمال دمشق الشام لما دمنة عامرة
تتصل على أراضي معتملة ومعطلة وبساتين بها أشجار منوعة الثمار مخرجة على
أربابها حدها قبلة أراضي كفر عامر وشرقاً أراضي مضايا وشمالاً أراضي قرية
الكبرمه^(٢) وغرباً أراضي الحارة .

وجميع قرية كفر عامر من نواحي الزبداني المشتملة على أراضي معتملة سهلة
ووعرة المحدودة قبلة قرية الزبداني وشمالاً أراضي قرية الدله ومن ثوابها سربه
والقصاص وحدهما قبلة أراضي الزبداني ومضايا وبينهما درب العجال وشرقاً كذلك
إلا أن بينهما طريقاً وشمالاً حقل الخلص وغرباً أرض قرية السفيرة .

وجميع الحصة من قرية الكرمه من نواحي الزبداني وقدرها ثمانية عشر قيراطاً

(١) في الأصل : وصفا دينه .

(٢) تأتي فيما بعد باسم قرية الكرمه ولم يتبين لي وجه الصواب .

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وبساتين
حدها قبة عين الحداد وشرقاً قلب ماء بئر الملاح وطريق مضايا وشمالاً وادي
بو الخير من أرض بلودان وغرباً حقل بيت الزيني .

وجميع قرية الأشرفية من توابع الزبداني المحتوية على وعور وسهول ومعتملات
المحدودة قبة بصحابا^(١) وشرقاً بقناة البيوفي^(٢) وشمالاً بأرض داريا وغرباً
بدرج معاصل^(٣) .

وجميع قرية الحارة المشتعلة على أراضي معتملة ومعطلة المحدودة قبة سحرابا^(٤)
وشرقاً أراضي الزبداني وشمالاً أراضي كفر عامر وغرباً أراضي كفر تقاح .
وجميع الحصنة من قرية العادلية من توابع وادي المعجم من أعمال الشام
الحادية على أراضي وحقول وقدرها أحد وعشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين
قيراطاً المحدودة قبة جملتها بزرعة الحجر والميصرة وشرقاً بزرعة تل الفبار
وشمالاً بالخليج وغرباً بأراضي حرجلة ولها الثلثان وسير حتى شرب من ماء الأعوج
المنقسم من مزار الكسوة .

وجميع قرية زاكية من نواحي وادي المعجم المحدودة قبة بأراضي قرية الرجم
وشرقاً بأرض مزرعة الدبير وتماه قبة الطريق إلى شقحب وشمالاً بأرض
العباسية ولها الثلثان حتى شرب مستند من نصف ماء الأعوج المقسوم من
مزار الحسينية .

(١) صوابها : صحنبا

(٢) صوابها : البريضة .

(٣) لا يتفق بتحديد هذه القرية مع حقيقة المروقة وإن التشويش ظاهر في هذه
الفترة لأن القرية المذكورة هي من أعمال الشام أو الأقليم الداراني لجاورته .
وأما التابعة للزبداني هي أشرفية الوادي لا هذه . وربما النسخ قد خرج بين الأشرفيتين
وأستقط من النص إحداها .

وجميع الحصص المعلوم قدرها شرقاً من القرية المعروفة بالصيدنايا من توابع ناحية جهة العسال من مضافات دمشق المحروسة المحدودة قبلة بكروم معرة الصيدنايا وشرقاً بين الرامين والجبل المحتد على الضير (?) وغرباً بأراضي قرية قلقاس وقرية تلنينا .

وجميع قرية معرة الصيدنايا المحدودة قبلة جبل الخالوص وشرقاً بمقلب ماطي المنتهي مجراه منحرفاً تارة ومستقيماً أخرى الى الطريق العام وشمالاً بكروم الصيدنايا وغرباً بمقلب ماطي وتماه كيمان أحجار .

وجميع الحصص من المزرعة المشتهرة بماطي من توابع القرية المذكورة وقدرها ثمانية قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً حدها القبلي جبل الخطا والشرقي مقبلاً ماطي والشمالي الطريق العام والغربي أراضي متين^(١) .

وجميع الحصص من قرية مرج من أعمال الشام وقدرها خمسة عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع معلومة الحدود عند أهاليها .

وجميع قرية المزة تابع غوطة دمشق المحروسة لها دمنة عامرة تشمل على أراضي معطلة ومعتملة وبساتين وحقوق^(٢) ولها شرب من ماء القناة المختصة بها المستمد من نهر بردا أحدها^(٣) قبلة أراضي مزرعة القصور وتماه أراضي داري^(٤) الكبرى وأراضي كفرسوسيه وشرقاً أراضي كفرسوسية وتماه أراضي مزرعة الحربة وشمالاً نهر القنوات الجاري الى طاحون الشربف ثم يأخذ مغرباً الى نهر بردا والريق^(٥) وغرباً الجبل .

وجميع الحصص من قرية سفيرة^(٦) من أعمال الشام وقدرها ستة عشر قيراطاً

- | | |
|-----------------------|------------------------|
| (١) صوابها : منين . | (٢) صوابها : وحقول . |
| (٣) صوابها : يحددها . | (٤) صوابها : داريا . |
| (٥) لعلها : الربوة . | (٦) غير معروفة اليوم . |

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على دمنة عامرة ومعتلات ومنافع وحقول معروفة الحدود عند الجيران .

[وجميع] قرية قبر الست وتعرف أيضاً الراوية وتشتمل على أراضي معتلة وأقاصي وأداني وأشجار ودمنة عامرة وحقول وشربها من ماء القناة المختص بها شرعاً ولها شرب أيضاً من ماء قناة حجيراً عدان بالتناوب حدها القبلي قناة مزرعة قوين^(١) والشرقي أرض قرية عقربا والشمالي أرض قرية بيللا والغربي الدرب السلطاني ومن توابعها الداخلة في حدودها قطعة أرض تعرف ببستان الديل .
وجميع قرية عقربا المشتملة على أراضي معتلة ومعتلة وسهل ووعر وبساتين ودمنة عامرة لها من نهر عقربا شرب معلوم حدها القبلي قناة مزرعة عين كبل والشرقي أرض قرية الشعبا^(٢) والساحلية والشمالي قرية تليثانا^(٣) والغربي قناة قرية الجدلية^(٤) .

وجميع مزرعة القصيبة^(٥) المختصة بها الداخلة في حدودها .

وجميع الحصاة من قرية قرحتا تابع القبلي وقدرها عشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتلات ومعتلات وأقاصي وأداني ودمنة عامرة لها من نهر الحازوم غربياً شرب ليلاً ونهاراً وشرب آخر من الماء المستمد من نهر الأعوج المحدودة قبلة بنهر الأعوج وشرقاً بنهر الفزلاية وشمالاً بأرض مزرعة الميدانية وغرباً بأرض مزرعة الأشرفية .

وجميع مزرعة الفويجة^(٦) تابع القرية المذكورة المشتملة على أراضي ومنافع وحقول حدها قبلة نهر قرية قرحتا المعروف بالكسواني وشرقاً نهر ...^(٧) وشمالاً

(١) غير معروفة اليوم . (٢) صوابها : الشي .

(٣) صوابها : تليثانا . (٤) صوابها : البحادية .

(٥) ليليا : قصيان اسم قناتها ما زال على الألسن وهي تخرج قرب بيوت بيللا .

(٦) صوابها : الفويجة . (٧) فراغ في الأصل .

وقف قطعة العرفان السامي بأبي يزيد البسطامي قدس سره وغرباً التل الرفيع .
وجميع قرية دوما تابع الغوطة المشتعلة على أراضي معتلة ومعطلة وكروم
ومنافع ولها من ماء نهر ثوره شرب معلوم ويحدها قبلة مزرعة حرستا وادبا^(١)
الصغرى وشرقاً قناة قرية الشفونية وشمالاً الجبل وغرباً أرض قرية حرستا .

وجميع قرية مسرابا المشتعلة على أراضي معتملات وبساتين ومنافع ولها شرب
معلوم من ماء نهر ثوره ومن قناتها المختصتين لها قبلها أرض قرية كفرمديرا
وشرقها أرض قرية بيت سوي وشمالها أرض قرية دوما وغربها أرض مزرعة
داريا الصغرى .

وجميع قرية دورس^(٢) من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتلة ومعطلة
ووهاد وتلال ودمنة عامرة ومنافع وحقول يحدها قبلة رجيات الأحجار وشرقاً
الطريق الى المقطع وشمالاً أرض مزرعة بلطي وأراضي بعلبك وغرباً الطريق .
وجميع مزرعة بلطي بقرب القرية المذكورة تشتمل على أراضي ومنافع قبلها
أراضي قرية دورس الى أراضي قرية دورس^(٣) الى أراضي مزرعة بردا
وشرقها أراضي قرية دورس وشمالها أراضي بعلبك وغربها أراضي مزرعة بردا^(٤) .
وجميع الحصاة من قرية ابعاث^(٥) من توابع بعلبك وقدرها أربعة عشر قيراطاً
وثلاث قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتلة ومعطلة
وسهل ووعر ومنافع ودمنة معمورة يحدها قبلة مرج عدوس وشرقاً حفلة بيت
الجبل وشمالاً الطريق العام وأراضي مزرعة الرزامة وغرباً حقل البركة وأراضي
مزرعة دير النبط .

(١) صوابها : داريا .

(٢) قاموس لبنان لوديع نقولا حنا ص : ١٠٥ .

(٣) لها مذكورة .

(٤) لها برقا انظر قاموس لبنان ص : ٢١ .

(٥) في قاموس لبنان (ليمات) .

وجميع قرية طبشار من نواحي بملك وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة وسهلة وخزنه ^(١) ومنافع ودمنة عامرة يحدها قبة حرق ^(٢) القرية والطريق وجميع الطرق وشرقاً الطريق والجبل وشمالاً قلة الماء منتهاه تجاه قلعة الحجارة ورجم أحجار تجاه حرنه ^(٣) المكبسه وغرباً أراضي مزرعة الرقايق .

وجميع مزرعة كنيسة طبشار ويشتمل على أراضي ومنافع وحقول يحدها قبة شراك بين أراضي طبشار ومنتهاه عين زبدان وشرقاً وادي أراضي حور تملأ ^(٤) وشمالاً وادي العميق الى الطريق السلطاني وغرباً الطريق العام .

وجميع قرية شرعين ^(٥) من أعمال بملك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع يحدها قبة الحجر المعروف بادريس ويدير الحاليات وشرقاً يجمع الطريق المنتهية الى ضريح نبي الله شيت عليه السلام وتبة سقفان واعتزاز وشمالاً حرق القرية ووادي المغارة وغرباً جسر الدم من المرفقين .

وجميع قرية حور تملأ ^(٦) وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة ودمنة مسكونة ومنافع يحدها قبة الشراك بين أراضيها وأراضي طبشار والبلاط الى الطريق وشرقاً قلعة الصهريج ووادي بلبود وقبر الشيخ صالح وشمالاً الطريق وبركة بجاما والرجمة الطويلة قرباً ^(٧) قرب قبر الكاشف وعين زبدان .

وجميع مزرعة الرقايق يقرب القرية المعروفة وتشتمل منافع وحقول يحدها قبة المسيل والطريق وشرقاً الرجمة المعروفة بقبر الكاشف وشمالاً الطريق النافذ وغرباً الطريق ووادي الذيب .

-
- | | |
|---------------------------------|-------------------------|
| (١) كذا في الأصل وصوابها خربة . | (٢) صوابها : حرق . |
| (٣) صوابها : خربة . | (٤) صوابها : حور تملأ . |
| (٥) صوابها : (شرعين) . | (٦) صوابها : حور تملأ . |
| (٧) كذا في الأصل ولها وغرباً . | |

وجميع قرية بيت شاما^(١) من نواحي كرك نبي الله نوح^(٢) عليه السلام من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وحرره^(٣) ومنافع وحقول يحدها قبة الطريق الى العمود المطحور في وادي التين وشرقاً الحجر المطحور قرب خندق بين أراضيها وأراضي مزرعة الشخبة وحقل القاضي وشمالاً النهر الشوي وغرباً الشراك انتهاء وادي التين .

وجميع قرية فوزل^(٤) من نواحي كرك وتشتمل على معتملات ومعطلات وسهول ووعور ومنافع يحدها قبة جبل رجبات والطريق ونهر ليطا^(٥) وشرقاً خندق الفلايح وجمع الخنادق وشمالاً الطريق والنهر وعين علوقيه وغرباً الماء الشوي وساقية يحوشيا .

وجميع مزرعة كفرعنا من أراضي القرية المذكورة وتشتمل على منافع وحقول يحدها قبة الطريق انتهاء مرج الحى وعين علوقيه وشرقاً مزرعة حالا وحقة ابن عجروش منها الحجر الأبيض وشمالاً آخر غيضة الصنصاف والمرج والخندق والطريق الى قرية ربات وغرباً مرج الحى وعجري نهر ليطا^(٥) .

وجميع مزرعة البروفيه ومزرعة العونيه ومزرعة قليله المتلاصقات يشتملن على أراضي ومروج وجد^(٦) وحقول يحدها قبة مثنى العرب وباب المخاضة والطريق من كرك الى طاحون يروفيه وشرقاً الطريق والخندق وماقي السواقى عند طريق الدلمية^(٧) وشمالاً الطريق وحقة الحاج علي بن مرارج وطريق تربل^(٨) وغرباً الحجر الأبيض على الخندق الى الطريق .

(١) شرقي حور تعلايا . (٢) شرقي زحلة .

(٣) كذا في الأصل وصوابها : خربة . (٤) صوابها : فوزل .

(٥) اي الليطاني . (٦) كذا ولعلها (ووعر) .

(٧) قرية معروفه شرقي مملكة زحلة . (٨) قرية معروفه شرقي الدلميه .

وجميع قرية تمنين الفوقا^(١) من أقطار كرك تشتمل على دمنة مكوثة وأراضي وبساتين وأشجار متنوعة ومنافع وحقول يحدها قبلة المقطع بين أراضيها وأراضي عرفنا وملك ابن حنصر وحقلة أولاد طبر وشرقاً أراضي بيد بيت جبريل وحقلة ابن جديد وحقول الرياضة وعين الناعمة بين أراضيها وأراضي تمنين التنا الى الكنيسة وشمالاً النهر الشوي وحقلة مقلد بن صاطي وحقلة ابن صلاح وطريق قصر بنا^(٢) وغرباً مقلب الماء وتماه أراضي عرفنا والمقطع .

وجميع قرية قصر بنا من توابع كرك تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وصهول وتلال ومنافع يحدها قبلة كسار السطور والطريق وكرم النبعي وشرقاً الحقل وقف جامع قصر بنا ويركته عين سليمان وأراضي بيت نائل وعواميد أحجار وشمالاً العمود بين مزرعة الكنيسة والشخجية وحقلة بيت الأعرج وواد مالك والمقطع وغرباً أراضي حمادة زريق وحقلة تمنين الفوقا .

وجميع الحصنة من قرية رباق البصل^(٣) من أعمال كرك وقدرها عشرون فيراطاً من أصل أربعة وعشرين فيراطاً تشتمل على معتملات ومعطلات ووهاد وتلال وصحارى وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة ساقية الماء بين أراضيها ومزرعة حالا وساقية النيل وطريق ارعيت وشرقاً الطريق حشمش^(٤) وطريق الشام وشمالاً كرم عسكر تجاه الأشرفية الى رأس الشكارة ونصحره^(٥) وغرباً صخرة القبيرات والطريق والشراك .

وجميع قرية ارعيت^(٦) من ضواحي كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي

(١) قرية معروفة غربي الفرال . (٢) انظر قاموس لبنان ص : ٢١٢ .

(٣) ملقى الخطوط الحديدية بين بيروت والشام وحلب .

(٤) قرية جنوبي رباق . (٥) كذا ولها (الصخرة) .

(٦) انظر قاموس لبنان ص : ١١٩ .

سهول ووعور ومنافع وحقول يحدها قبلة الحجر الموضوع في الطريق وذيل الجبل الشرقي وشقيف الزيات^(١) وأم غيلان وشرقاً بيادر راحاب وطريق بعلبك ومرج عين الكردي وشمالاً أسفل كرم ابن زقضة وقلاع القلاب وغرباً كرم ابن سعيد وصخر القطاطين وطريق حشش .

وجميع مزرعة الكفيرات تشتمل على أراضي ومنافع وحقول قبلها مجرى الماء بين أراضيها وأراضي حشش إلى طريق قوسيا^(٢) وشرقها قطع أرض وقف سيدنا نوح النبي عليه وعلى نبينا سلام السبوح والطريق وشمالها الطريق البراني بها إلى الطريق وغربها الطريق من كرك إلى قصابا .

وجميع القرية من أعمال كرك تشتمل على دمنة عامرة وتلال ووهاد وأراضي عمالة وبطالة وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة الجرن على مطل تربل ومضيق معذر وشرقاً شحلة وسلسلة حجازي في وادي الدير وشمالاً سلاسل وادي الدير وشمزيا وطريق عقبة حشش وغرباً الرأس على مطل سيدنا نوح على نبينا وعليه صلاة الله وسلام السبوح وشقيف الشكارة وسفل قرية عين .

وجميع قرية السعادة من نواحي كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي معتلة وسهل ووعر ومنافع وحقول حدها القبلي جسر المذموم ولقنة الساقية وحفلة الرمادة ولقنة خندق التفاح والشرقي بنهر الخصيب والمسيل والطريق بين أراضيها ومزرعة تل بين^(٣) حسين وتل مزرعة يروطيا والشمالى ساقية الحريقة ونهر الحويرق وقرية تربل والغربي تل السرجون إلى جسر المزموم .

وجميع قرية الدلمية [من] أقطار كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي وحقول ومنافع قبلها سهم بن مكى والعقبة ومدرعة القعقية إلى غربتها وشرقها

(١) لها : الزيات .

(٢) في قاموس لبنان : قوسايا .

(٣) كذا في الأصل ولها بيت أوير .

الطريق الى سهم البدوي وشمالها ساقية المشار وحقل الزورة المعروفة بالقرب والطريق الى جسر بروقيا وغربها الطريق تحت حقل النقرة والطريق الى جسر الدلمية الراكب على نهر ليطاني والشارك بين أراضيها ومزرعة حدوثا .
وجميع قرية الطيرة ^(١) المستغنية عن التحديد لكونها معلومة الحدود عند القريب والبعيد وما في قرنها جميع قرية فانه ^(١) .
وجميع قرية طيه ^(١) .

وجميع قرية الكواكب الموا ^(٢) .

وجميع قرية الماعون المستغني كل واحدة منها عن التحديد عند وضع [د] شريف وقريب وبعيد .

ومزرعة قبوس . ومزرعة عين العاطف المستغنية كل واحدة منها عن التحديد لكونها معلومات الحدود لدى وضع [و] شريف وقريب وبعيد .
وجميع قرية ازرع ^(٣) الواقف ^(٤) بناحية بني مالك الأشراف من أعمال حوران تابع الشام تشتمل على أراضي معتملة وممثلة وبساتين ومناره ^(٥) وحدها القبلي قناة القرية المنشأة بنامر ^(٣) والشرقي قرية البصر ^(٣) والشمال قرية الشقرا ^(٣) والغربي الطريق السلطاني من جانب الدرب لنامر ومن توابع تلك القرية المغورة .
وجميع مزرعة مليحة ^(٦) وقطعة أرض تسمى بالديورا وقطعة أرض تسمى ببقية تشتمل كلها على النوايد والعوايد ومنافع وحقول .

(يتبع)

جغفر الحسني

(١) قرية معروفة في جبل عاملة . (٢) في قضاء طرطوز في محافظة اللاذقية .
(٣) قرية معروفة الى يومنا هذا . (٤) صوابها : الواقعة .
(٥) كذا ولها : ومنارة .
(٦) لها مليحة الشرقية أو مليحة المطش في قضاء ازرع .

رثاء الجندي والبزم

لَمَنْ خَلَفْتَا المِيدَانُ	فَقِيدِي لُغَةَ الْقِرَآنِ
لَمَنْ خَلَفْتَا المِيدَانُ	نَ، وَالمِيدَانُ لِلْفَرَسَانِ ..
يُحَوِّمُ بَعْدَ يَوْمِكَمَا	حَيَّ الْأَنْفُ فِي الْأَقْرَانِ
وَيَذْعُو النَّدَى مِنْ قَيْسٍ	يَبَارِيهِ وَمِنْ غَسَانِ
وَتَفْتَقِدُ النِّهْيَ مِنْ كَا	نَ لِلْحِجَّةِ وَالْبَرْهَانِ
لَوْ أَذْكَأَ عَلَى الْفَصْحَى	وَحَكَمَكَمَا هُوَ الْمِيزَانِ

* * *

تَوَارَتْ أُبُكَّةُ الْوَادِي	وَوَارَتْ نُبُعَةُ الْبَيْتَانِ
وَضَلَّ سَبِيلَهُ الْحَادِي	وَأَسْلَمَ لِلدَّجَى الرِّكْبَانِ
وَنَاحَ وَأَعْوَلَ الشَّادِي	وَحَطَمَ كَأْسَهُ النِّشْوَانِ
وَدَالَتْ دَوْلَةُ النَّادِي	فَلَا عَرْشَ وَلَا سُلْطَانِ

هل «الجندي» و«البزم» انطوى عليهما الصنوان؟

أبالسهمين ترمى مهـجـة ، ويصيبها السهمان ؟
 وهل يلتئم الجرحا ن والجرحان قتالان !
 صريما حومة الأقدار شبا لاسى نيران
 رثيت « سليمها » و « محمدا » وانهلّت العينان
 مضى « أدب » المبرد ، وانقضى « نحو » أي حيان
 بكيت أبا الملا بأور لـ ، والشغرى في الثان
 وأخلاقا صفت ، كالتبـرر واللؤلؤ والمرجان
 وورداً كان عذب الور د للمرشف الظعان

* * *

ذكرت دمشق ، والأيا م ضاف ظلها فينان
 وأردية الصبا جدد وأحلام الهوى ألوان
 ليالي الأنس بالأخدا ن قبل تفرق الأخدان
 على بردى وربوته وحول تلاطم الغدران
 وبين خمائل النسيـر—ن والزنبق والريحان
 وأندية البياض الحر قائمة على أركان
 منابرهما مزاجرها لمن يطغى ، عن الطغيان

* * *

هوى	بمَلَمِي	جيل	هوى	الأرزاء	والجِدْثَانِ
وطاح	بتَاجِي	الْإِبْدَا	ع في	الْإِفْصَاح	والتَّبْيَانِ
نعي	قِيَصْرًا	النَّاعِي	وثَنِي	يَأْتُو	شِرْوَانِ
عمادا	أَدَبِ	ضَخَمِ	رَفِيعِ	رَاسِخِ	الْبَنِيَانِ
شهايا	فلك	غَابَا	مَعَا،	في	حَلَكِ الْإِزْمَانِ

* * *

صراعٌ	مَنْذ	كان	النا	سُ،	يُنِ الْفَقْدَ	وَالْوَجْدَانِ
يعمله	بَنُو	الْإِنْسَا	نِ،	مَا أَغْبَى	بَنِي	الْإِنْسَانِ !

فهرس الدين الزركلي

ايوانية البحري

- ٢ -

(فاذا مارأيت صورة أنطا كية ارمت بين روم وفرس)
يظهر أن هذه الصورة مرقومة على جدران الجرماز ، وهي تمثل للناظر صورة
مدينة انطاكية وكسرى يحاصرها بجنوده . وتحت أسوارها قيصر ملك الروم
يدافع عنها بجنوده أيضاً ، كذا قال في حجم البلدان عند الكلام على الايوان
ان صورة قيصر كانت أمام كسرى . ولعلها صورة القائد الذي ناب عن
قيصر في صد كسرى . أو أن المصور الذي صور المعركة صور قيصر نفسه
تهكماً أو استهانة به . وقد قال الشاعر انه منظر يحدث الروح والخوف في
نفسك إذا نظرت اليه .

أما هذه الواقعة التي تمثلها لنا الصورة المذكورة فهي الوقعة الثانية من
الوقتتين اللتين حدثتا بين الأكسرة والقيصرة على أسوار أنطاكية . فالأولى
كانت في أواسط القرن الثالث للميلاد بين شاپور وثارياثوس ، انتهت بفتح شاپور
لأنطاكية وإحراقها ونهبها وسي أهلها . والوقعة الثانية هي التي حكها لنا
الصورة على جدران الجرماز فوصفها لنا البحري . وقد حدثت في أواسط القرن
السادس للمسيح في عهد كسرى أنوشروان الذي ولد النبي (ﷺ) في زمنه .
وقد فتح كسرى أنطاكية بعد أن حاصرها ، فسلبت جنوده ما في كنائسها
الكبرى من أداني فضية وذهبية وحلي . وأخذوا يلاطها النخس واضرموا
في المدينة النار فاحترقت ما عدا الكنيسة المذكورة والحلي المدعو (سترانيوم)

وكان ذلك في عهد القيصر (يوسيتانيوس) ، فأرسل الى كسرى صغيرين
تقابله وعقد معه معاهدة صلح. كان من مقتضاه أن يؤدى قيصر الى كسرى
مبلغاً سنوياً بشرط أن لا يُسمى هذا المبلغ (جزية) بل (تعييناً) وهذه هي
الواقعة التي خلد الفرس صورتها على جدران إبوانهم العظيم ووصفها لنا البحرى .

(والمنايا موائل وأنوشتر وان يزجي الصفوف تحت الدرقس)
(المنايا) جمع منية : الموت و(موائل) جمع مائلة أي بارزة منتصبة أمام
عيون المتحاربين و (أنوشروات) صوابه كسر الشين و ('يزجي) ينوق
ويُدفع . و (الدرقس) تفسره معاجنا العربية بالعلم الكبير كأنه لفظ عربي
مع أنه لفظ فارسي وفارسيته درقش بالشين المعجمة فعُرب بالسين كما عرب
شاه شاهان بساسان وشابور بسابور . وقد اشتهر إطلاق (درفس) على علم خاص
للفرس له في تاريخهم قصة يتداولونها ، وردة نخر يتغنون بها . وملخص القصة
تقلاً عن شاهنامه الفردوسي أنه قام في تاريخ الفرس القديم رجل تغلب على
العرش الفارسي واستبد به ويسميه مؤرخو العرب الضحّاك . وقد اختلفوا في
جنسيته وزمنه : فظلمَ الفرس ظلماً عظيماً . حتى اشتهر بلقب الظالم وكان في
كفيه ميلتان تشبهان الحيتين ولذا لُقّب بذي الحيتين . وكان هو يقول —
انها حيتان حقيقتان تهويلان على الناس . فكانا تؤلمان ولا تسكنان حتى
يطليهما كل يوم يداغني إنسانين فكان يذبحهما ويطلي حيتيه . وبهذه الصورة
اشدّ الأبر على الفرس . ثم اتفق أن الضحّاك قتل ابن رجل حداد اسمه
(كابي) أو (كاد) فعظم على أيه الحداد الأبر ونهض للثورة واتخذ من
الجلد الذي يضمه الحدادون عادةً في أوساطهم عند الشغل علماً للحرب . والتف
الشعب حوله . وزحفوا على الضحّاك متفائلين بدرفسه أي بعلمه الذي اتخذه
من جلد مهنته . ثم ان (كابي) والفارسيين بطشوا بالضحّاك وقهروه وأرادوا

أن يملكوا (كابي) فأبى لأنه ليس من سلالة الملوك . وأمرهم أن يولوا
أفريدون وكان من سلالتهم فولوه ، واحتفظ الفرس من يومئذ بذلك الدرفش
في خزائهم . وعظموه وتبركوا به . وصار العلم الأكبر ملوكهم . وصمونه
(درفش كايان أو كاويان) وكانوا لا يخرجونه إلا في أخرج الخطوب ،
وأكبر الحروب . فكانوا ينتصرون . وكانوا يرضونه بالجواهر واليوافيت
حتى أصبح بدعة من البدع وبقي لديهم إلى أن تغلب الإسكندر على ملكهم
دارا (داريوس) فأخذه أي أخذ الدرفش . وقيل بقي إلى زمن (يزدجرد) فأخذه
المسلمون في وقعة القادسية وحمل إلى عمر قسّم جواهره في الناس .
يقول البحري إن صورة أنطاكية تمثل للناظر إليها اشتداد هول المعركة
حتى أن المحاربين كان يرون شبح الموت مائلاً متصباً أمام أعينهم . ومثل
الموت بصورة شبح مرئي كثير الوقوع في كلام الشعراء ، وأبلغه ما قاله بعضهم
في وصف بطل أنلي حتى قيل :

مَثَلَ الموتُ بينَ عينيه . والنَّظَرُ كُلُّهُ رَأَى خَطْباً جَسِماً
ثُمَّ سَارَتْ بِهِ الحَيَّةُ قُدَّماً فَأَمَاتَ العِدَى وَمَاتَ كَرِيماً

* * *

(في أخضرار من الإلباس على أصفر يختال في صبيغة ورّس)
الظاهر من هذا الوصف أنه يرجع إلى (أنوشروان) لأنه نسب إليه لباساً
أخضر مسدولاً عليه . واعتلاؤه على الأصفر يُعَيِّنُ أن يكون المراد بالأصفر
جواداً ملوناً بصفرة . وهذا الجواد يختال ويتبختر في غشاء من جلد أو خرق
(صبيغة ورّس) أي مصبوغة بورس . والورس نبت كالسحيم أصفر اللون
يزرع باليمن ويصنع به وتتخذ منه الفُخرة وهي طلاء تُطلى به المرأةُ وجهها
ليصفو لونها . وصبيغة الورس هذه إما أن يكون المراد بها (التيجفاف) وهو

جُلُّ "يَلْبَسُهُ" الفَرَسُ في الحرب لبقية الجراحات فيكون يتجفاف فرس كسرى ملوناً في هذه الصورة باللون الأصفر الورمي . ويحتمل أن يكون المراد بصيغة الورد الميثة . وفي الحديث الشريف (نهي رسول الله عن ميثرة الأرجوان) قال في النهاية : هي مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج وتحمى بقطن أو صوف . وتكون كالفرش الصغير يحملها الراكب تحته فوق مَرَج الفرس أو فوق رَحْل البعير نهي عنها النبي لأنها من مراكب الأعاجم . ولأن لونها الأحمر فيه شهرة تبعث على العجب والخيلاء . وإنما رجعت أن يكون المراد بصيغة الورد هنا التجفاف لا الميثة لأن فرس كسرى في معركة ضرب وطعان لا في موكب عرس أو حفلة مهرجان . (وعراك الرجال بين يديه في حقوت منهم وإغماض جرس) وما تمثله الصورة لعين الزائي حقوت المتحاربين أي انخفاض أصواتهم . وهذا معنى (إغماض جرس) أيضاً فإن الجرس الصوت الخفي يقال (ما سمعت له حساً ولا جرساً) والإغماض من غمض الكلام خفي مأخذه . لهؤلاء الرجال كان لهم في الحرب بين يدي كسرى أصوات خفية غمضت على سامعها وخفي مأخذها بحيث لا يفهم لها معنى . إذن كانت (الفئان) الذي رسم الصورة حاذق في صنعه حتى إنه لينيل إليك أن رجال المعركة لهم جلبة وضوضاء . وتشبهت مع هذا أن أصواتهم خافتة منخفضة .

(من مشيح بهوي بعامل رمح . ومليح من السينان بئرس) (من مشيح) بيان للرجال المتحاربين أي أنهم كانوا على أوضاع في القتال مختلفة : كانوا ما بين مشيح وما بين مليح . فالإشاحة أن تحذر من الهلاك فتجهد في دفعه عنك . قال عمرو بن الأخطابة .:

واقداي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح .

والمليح من ألاح- بمعنى أشاح أيضا فيكون المعنى أن التجاربيين كانوا ما بين بطل أمامه قرنه فهو يخافه ويحذره فيجد في مقارنته ودفعه عنه فيهوي بصدر رعه اليه ، وما بين بطل آخر أمامه قرنه قد سدّ سنان رعه اليه وقد خافه وحذر منه فجذّ دارثا بترسه عن نفسه وواقيا لما من سنان عدوه المشرع عليه . والمثليح معنى آخر غير معنى (المشيح) استحسن أن يكون هو المراد هنا يقال ألاح بسيفه إذا ألمح به وحرّكه . كالأح بسيفه . فالمعنى على هذا أن بعضهم يشيح ويجد في دفع عدوه فيهوي بالرمح اليه . وبعضهم يحرك ويلمع بترسه الذي يده ليقى نفسه من السنان الذي يسدّده اليه عدوه . . . وعلى كلا التقديرين فإن في قوله (ومليح من السنان بترس) شيئا من إدماج وإيجاز تفصيله وبسطة ما ذكرناه .

(تصف العين إنهم جدّ أحياء لهم بينهم إشارة مخرس-)
قوله (إنهم) يحتمل فتح الهزمة على كونه واقعا موقع المفرد مفعول تصف ويحتمل الكسر على تضمين (تصف) معنى القول فيكون واقعا موقع الجملة وتكون جملة مفعولا لفعل (تصف العين) أي ان عين المشاهد لهذه الماركة لا يمكنها إلا أن تصف لغيرها ما رآته . : فما تصف العين لنا من حالات التجاربيين أن الناظر اليهم يظنهم جدّ أحياء . أي تتأمن اليهم تمام الحياة ، يقال فلان عالم جدّ عالم أي مشاء في العلم وتقول اليوم فلان عالم جدّا وبارع جدّا وقولنا هذا حسن . لكن البقاء أكثر ما يقولون جدّ عالم ووجدّ بارع . والمعنى أن المصور أبدع في تصوير هؤلاء الأبطال حتى إنك لتظنهم أحياء مما تنخيله من الحقيقة في حرّكاتهم وسكفاتهم وأصواتهم الخافقة التي يحاكون بها أناسا مخرسا يديرون فيما بينهم إشارات يتفاهمون بها بدل الكلام . (بقتلي فيهم ارتياحي حتى تتفرّاهم بدائي بلهس)

الارتباب الشك والتردد في صحة أمر ما . وتنتقراهم تنبهم يقال قروت
 البلاد واستقربتها وتقربتها بمعنى تنبها أرضاً أرضاً ، وسرت فيها بقعة بقعة .
 ونحن نستعمل من هذه المادة فعل استقراً . ومنه (دليل الاستقراء) في علم
 المنطق فهو من القرو لا من القراءة . و (يغتلي) بالغين المعجمة إما من غلا
 في الأمر جاوز فيه الحد ، أو من غلا بالسهم إذا رمى به أبعد ما يقدر عليه .
 واغتلى البعير أسرع إمراعاً جاوز به حين السير . فالبحتري يقول : ان ارتبابه
 في كون هؤلاء الرجال أمواتاً لا أحياء تعظم في نفسه وبلغ به أقصى الغاية
 حتى جعله يعتقد أنهم أحياء لا أموات وحتى كاد يمد يديه إليهم ويتقراهم أي
 يتبع أعضاءهم عضواً عضواً وجارحة جارحة لينبئ إن كانوا أحياء أو لا .
 وهذا غاية في وصف الخدق الذي أبداه المصور في تصوير هؤلاء الرجال .

* * *

(قد سقاني ولم يصرد أبو القو ث على المسكرين شربة خلس)
 أبو القو ث ابن البحتري وكان البحتري لما شاهد هذه الصور والتأثيل البديعة
 في شكلها ، ومختلف أوضاعها ، حاج هذا المشهد شهوة الشرب والتعاطي في
 نفسه . ولذلك التفت الى ابنه (أبي القو ث) وقال هاتها فسقاء منها ولم يصرد ،
 أي لم يقل . و (التصريد) أن تسي آخر ثم تمتع الشراب أو الماء عنه قبل
 أن يروى منه . . . وقريب منه (التغمير) وهو أن تسقيه بالضمير : وهو قدح
 صغير تسقيه به لقلة الماء فلا يروى . فأبو القو ث على العكس كان يروى
 أباه أي يسقيه بالصغير وبالكبير . والشرب كان نجاً على صحة أو سلامة
 أو شرف المسكرين : عسكر الفرس وعسكر الروم . لكن تلك الشربة لم
 تكن شربة قوم متمكثين متمكثين في مجلس الشرب وإنما كانا في غالب الغان
 على ظهر جواديهما ، فكان ابنه يباطيه الشربة (خلساً) أي في اختلاس وخفة

ونجدة . و (الشربة) بضم الشين بمعنى المقدار المشروب من الماء أو غيره وهو معمول به لسقائي في أول البيت و (أبو الفوث) مرفوع على التنازع ، تنازعه كل من الفعلين قبله فيرفعه أحدهما ويقدر للآخر فاعل .

(من مدام تقولها هي نجم ضوئاً الليل أو بجاجة شمس)

(تقول) هنا بمعنى الظن ومثله قوله :

متى تقول القلص الرواما يحملن أم قائمه وقاسما
و (ضوئاً) بمعنى نور وأضاء . والمجّاج والمجاجة الربق تميجه من فمك .
ويستعمل مجازاً في مثل قولنا (أرض خصبة يبع ثراها الندى مجاً) . وفي مثل (مجاج المزن) وهو المطر ؛ فان المزن أي السحاب كأنه يبع المطر كما يبع الإنسان الربق من فمه . ومثل هذا ما قاله البحري هنا : فانه سمى السائل الذهبي الذي ينتشر عن الشمس 'مجاجة' كأن الشمس تمجه من فمها مجاً .
والتجوز عن ذلك بالمجاجة يشبه تجوزم بالألعاب (وهو الربق الذي يسيل من القم) عن الشراب الذي يترقرق في الصحارى وقت الظهيرة فانهم يسمونه لعاب الشمس .
ومعنى البيت أن أبا الفوث متى أباه مداماً فظنها لفرط لآلتها نجماً ينير الظلام أو شعاعاً شمس . تنتشر حرارتها في الفضاء فتحيي الأنام .

(وتراها - إذا أجذت مروراً وارتياحاً للشارب المتحسّي)

(أفرغت في الزجاج من كل قلب فهي محبوبه الى كل نفس)

ضمير (تراها) يرجع للمدام و (أجذت) بمعنى جذبت وأحدثت و (الارتياح) النشاط و (المتحسّي) اسم فاعل من تحسّى الشراب واحتساء وحسّاء : شربه في مهلة وتأنر . وهذا كما يشرب الشاي والقهوة والمارق ونحوها . فالحسوّ خاص بالمائعات أو الأطفنة المرفقة كالخسّاء فانه عند العرب طعام مرقق يتخذ من دقيق ودهن وماء ونحن اليوم وضعنا أرزاً مكان الدقيق وسميناه (شوربا) ثم

عدلنا أخيراً عن كلمة (شوربا) التركية الى كلمة حساء العربية ، وكلمة (شوربا) معرفة عن كلمة (شربة) العربية . كما أن كلمة (Sirop) الفرنسية معرفة عن كلمة (شراب) العربية وان كان لاروس يقول إن (Sirop) مأخوذة من اللاتينية . وما يحسن إيرادنا هنا أن الفرنسيين اشتقوا من (Sirop) فعل (Siroter) أي شرب لكن لا بمعنى مطلق شرب بل هو شرب في مهلة وتأن كما يشرب الشاي مثلاً وهذا المعنى لفعل (Siroter) هو نفس معنى حساء وتجس في العربية كما مر بيانه .

وقوله في البيت الثاني (أفرغت في الزجاج من كل قلب) جملة حالية من مفعول (تراها) في البيت الأول ، لأن الرؤية فيه بصريّة أي ترى المدام - حينما تحدث في نفس شاربها السرور والنشاط - مُفرَّغَةً في زجاج الكؤوس (من كل قلب) ، أي كأنها تسيل وتمصر من القلوب لا من عنائيد العنب . والدليل على أنها معتصرة من القلوب هو أنك تراها مُحبَّبة الى القلوب . فلو لم تكن معتصرة من القلوب لما كانت محببة اليها لأنها جزء منها . كما أن الولد جزء من أبيه ولذا يحبه . وهذا على حد قول الآخر :

إذا كنت من كل القلوب مريباً فأنت الى كل الأنام حبيب

وما قاله البحتري في وصف الخمرة على بلاغته من جهة الصنعة الشعرية والجمال التي فإن الأبلغ منه من جهة الصنعة الطيبة والأخلاقية والاجتماعية قول بعض الحكماء (ليست الخمر سوى مصائب مجمعة في الكؤوس) وجاء في بعض الأسفار القديمة : (إذا أراد الشيطان أن يدخل مكاناً عشر عليه الوصول اليه أرسل أمامه الخمرة) .

(وتوهمت أن كسرى أتودى — مَاطِيًّ والبتلتهبُتْ إنسي)
كلمة (كسرى) يطلقها العرب على كل ملك للفرس كما أطلقوا (النجاشي)

على كل ملك للجبش . و (كسرى) محرقة عن اسم علم لأحد ملوكهم
الأقدمين وهو (كيخسرو) . وبُنيهم من كسرى عند الإطلاق كسرى
أنوشروان المشهور بالعاذل . وقد وُلد في زمنه النبي (ﷺ) ، أما كسرى
أبرويز المذكور في البيت فهو من متأخري ملوكهم الذين أدرَكهم الإسلام .
والمعاطاة في اللغة المناولة ثم غلبت في مناولة كؤوس الخمر و (البَلَهَبُذ) اشتبه
عليّ تفسيرها وضبطها ولا سيما أنها في معجم البلدان (البلهيدى) بالدال المهملة
وَألف مقصورة في آخرها . ولم أجدها في المعاجم العربية . وليس لدينا معاجم
فارسية يعتمد عليها . ثم هُديت إلى تفسيرها بطريق ينبغي ذكره لطف انتفانه
وحسن مساقه : ذلك أنه زار مجعنا العلمي الدمشقي (سنة ١٩٢٩ م) لمشاهدة
الآثار قر من حجاج الإيرانيين . وفيهم رجل يتزياً بزِيّ علمائهم ومجتهدتهم
فاستأنست به وطأت معه على الآثار . وسأله عن اسمه فقال : إنه من علماء
رشت في خراسان العجم واسمه (ميرزا أبو الفضل) وأنه مدرس في إحدى
مدارس رشت يعلم طلابها النقه . فذاكرته في معنى كلمة (البلهيد) وأشدته
بيت المجتري المذكور ، فقال : البلهيد بفهم الباء الثانية لا بفتحها وآخرها ذال
معجمة ومعناها النديم^(١) ويراد منها نديم كسرى المشهور ، فقلت له : هل تأذن لي

(١) ثم ظفرتنا بفوائد تتعلق بالبلهيد في شهامة الفردوسي المترجمة العربية جزء (٢ ص ٢٥٤)
وخلاصة ما قرأته فيها أن البلهيد هو أكبر الخسنيين في بلاط كسرى (أبرويز)
وأصل اسمه بالفارسية (بَلَهَبَت) وقد تحرف في العربية إلى نحو عشرة تخاريف منها :
(بربد) و (برباد) وبهلبد وبهلبد وباهيدى الخ . وهو الذي غشى لكسرى
فأعطاه بموت حصانه (شبديز) بعد أن أحجم ووزاؤه عن نفيه إليه . وقد رأيت
الأستاذ عبد الوهاب عزام في مجلة الرسالة في كلامه على زحلته إلى إيران يضبط
(البَلَهَبُذ) بفتح ثم فتح ثم مكون ثم فتح ثم ذال مرة معجمة ومرة مهملة وقال :
دروا أن لكسرى أبرويز ثلاث خصائص : حصانه شبديز وجاريتة شيرين ومفتيه
بَلَهَبُذ ولم يبق في العالم أحذق من بلهيد بالعود .

أن أروى شرح هذه الكلمة عنك ؟ قال : قد أذنت لك . فشكرت له
تلطفه وودعته بمفاودة وإكرام .

وكلمة (أنسى) بضم الهززة وهو ضد الوحشة أي ذو أنس ، وأستحسن أن
تكون بكسر الهززة صفة بمعنى الأنيس الذي يؤانسك ، يقال فلان (إنسك
واين إنسك) بكسر الميم أي صفيك وأليفك ، وقال أبو زيد (تقول
العرب للرجل : كيف ترى ابن إنسك ؟ إذا خاطبت رجلاً تسأله عن نفسك) .
ومعنى البيت أن البحرى لما سقاه (أبو الفوت) نخب السكرين وهو ينظر
اليهم وإلى ملوكهم خيل إليه أنه في مجلس شراب وأن كسرى ابرويز نفسه
يماطيه ، والبلبلة نديته يؤانسه ويناجيه .

(حلمٌ مطبقٌ على الشك عيني أم أمانٌ غيرنَ ظنِّي وحدَني)
(الحلم) رؤيا المنام و (أمان) جمع أمنية والحدس الظن والتخمين ، يقول
البحرئى : إن ما توهمه من معاطاة كسرى ومنادمة البلبل بأهوايا ترى أضغاث
أحلام انطبقت أجفانه على الشك والتردد في صحتها أو هو من قيل الأمانى
التي تشتد أحياناً في النفس فيتبدل معها الظن والتخمين إلى القطع واليقين ؟
(وكان الإيوان من عجب المنـمة جوبٌ في جنب أرعن جلّس)

بعد أن وصف الشاعر صورة معركة انطاكية التي شاهدها في (الجرماز) ،
وشرب عليها المدام اختلاصاً من دون ثقل ولا ماز ، عاد في الوصف إلى مشهد
آخر من مشاهد إيوان كسرى وطاقه المشهور . والطاق كما ص القوس الأعظم
المبنى بالآجر وكل آجرة طولها ذراع وعرضها نحو شبر . عريت تلك القنطرة
من جصّها وزينتها . ولم يبق منها إلا تلك الآجرات المقوسة كأضلاع الميكل
المعظمي بحيث يظنها من يراها عالقة في الفضاء . وقد انطادت صدأ حتى كأن
لها حاجة في السماء . هذا الطاق إذا استقبله الزائر رأى فضاء مطبقاً بقوس

من آجر على ارتفاع ثمانين ذراعاً وقد أحاطت به من ورائه بعيدة عنه بقايا
 القصور والأبنية الشاهقة - إذا رأى هذا المشهد مشاهد لم يحسبه إلا أجوباً
 في جنب أرعن جلّس . والجوب الخرق والتقيب الواسع . وكل فجوة
 تحيط بها البيوت من جوانبها فهي جوب . وأصل معنى الجوب القطع وجابوا
 الصخر بالواد (وهم ثمود) : قطعوه وفتحوا فيه فجوات ومغاور يسكنون فيها .
 والأرعن الجبل ذو الرعن . والرعن أنف عظيم يتقدم الجبل أي نتوء وبرز
 في الجبل . و (الجلّس) بفتح الجيم الجبل العالي الطويل .
 يقول البحري في صفة الأيوان وطاقه : إن صانعه أتى في صنعه بالعجب
 العجاب : إذ هو يشبه فجوة واسعة في جنب جبل شامخ عظيم .
 هذه الفجوة أو الجوب الواسع في الجبل الذي رآه شاعرنا يذكر بفجوة
 أخرى أو جوب آخر يراه الناظر تحت قدمه إذا أشرف من أرض لبنان على
 وادي نهر قاديشا المشهور بالجبيّة . تلك الفجوة أو الموة الواسعة العميقة جد
 العمق والتي تحيط بها الجبال الشاهقة جد الشموخ وكلها من صنع الطبيعة
 تذكر بفجوة الطاق المائلة وحولها الأبنية ، وكلها من صنع البشر .
 (يُتَظَنَّى مِنَ الْكَآبَةِ إِنْ يَنْسُدْ لِمَعِينِي مُصْبِحٌ أَوْ مُمْتِي)
 (مزعجاً بالفراق عن أنس ألف عزاء أو مرمقاً بتطليق عرس)
 يصف الكآبة الحزينة التي تغشى الأيوان عندما يراه الناظر وقت الصباح
 أو وقت المساء . و (يُتَظَنَّى) بمعنى الظن أصله يتظن ثلاث تونات أبدلت
 الأخيرة ألفاً ومنه قول الحريري في مقاماته :
 يا من كَظَنَّى السَّراب ماءً لما رويت الذي رويت
 (مصبح وممتي) اسما فاعل من صبّحه ومبّاه جاء صباحاً ومساءً . و (مزعجاً)
 بفتح العين اسم مفعول من أزعجه عن وطنه ثم اضطّره إلى مغادرته وهو كاره
 ومنه قول ابن دريد :

وسألي بمزيجي عن وطني ما خاق بي جنابه ولا تبا
 و (إلف عن) أي أليف وأنبس عن عليه و (المُرْهَق) اسم مفعول أيضا
 من أرهقه إذا أعتته وكلفه ما لا طاقة له بحمله . والميرس بكسر العين : الزوجة .
 والمعنى أن من زار الإيوان صباحا أو مساء حفظه مما عليه من الكآبة والعُيُوس
 وسوء الحال رجلا طرده ظالم من وطنه وفرق بينه وبين أليفه الموائس له
 العزيز عليه . أو يظنه زوجا يرحباً لزوجته في رَغَد من الحياة معها أرهقه ظالم
 غاشم وأكرمه على تطليقها ، فأبران كسرى يشبه أحد تهذين الرجلين الحزينين
 المهاجرين من وطنه أو المطلق لسكنته .

(عكست حفظه الليالي وبات السـُـمُتري فيه وهو كوكب نحس)
 هذا البيت وارد على رأي الأقدمين في الطالع وأن للنجوم تأثيراً في أحوال
 البشر ، وشؤون حياتهم . وهو العلم الذي أبطله الإسلام . ولكن مع الأسف
 بقي جماعة من المسلمين يؤمنون به إلى هذه الساعة .

وكوكب (المشترى) هو الذي يتجلى على الناس بحسن الطالع في زعم
 المنجمين . وعلى العكس كوكب (زُحَل) فإن طاعه شؤم وشقاء عليهم .
 فأبران كسرى بعد أن كان كوكب سعدة كوكب المشترى عكست
 الليالي هذا الحظ وحولت المشترى إلى كوكب نحس وشؤم على الإيوان .

المقري

(يتبع)

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

- ٢ -

(م) فان قيل (أي إن قال الشيعة) : فأنتم - في هذا المقام - نسبون الرا . . . وتذمونهم وتذكرون عيوبهم .

(ت) قيل (أي يقول السنيون) : ذكرنا الأنواع المذمومة غير ذكر الأشخاص المعنية وهم يستعينون بالكفار على المسلمين ، كما جرى لجنكو خان ملك الترك الكفار ، فانهم أعانوه على المسلمين . وإما إعاتهم لهولاكو ابن ابنه لما جاء الى خراسان والعراق والشام ، فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد ولم ير في الاسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسلمين بالتر ، وقتلوا الهاشميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين ، فهل يكون مواليا لآل الرسول (ﷺ) من يسلط الكفار على قتلهم وسبهم وعلى سائر المسلمين ؟؟

[وصف مؤرخ الشيعة الميرزا محمد باقر الخونساري في ص ٥٧٨ من كتابه (روضات الجنات) الطبعة الثانية هذا الموقف الخزي ، فقال في ترجمة شيخهم النصير الطوسي ما نصه : « ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره (أي النصير الطوسي) للسلطان الخنشم في محروسة ايزان ، هولاكو خان ابن تولى خان ابن جنكو خان ، من عطاء صلاطين التاتارية ، وأترك المغول ، وبجيشه في نوكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد الى دار السلام بغداد ، لإرشاد الضياد وإصلاح البلاد ، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد ، وإخماد

ناثرة الجور والالباس ، بآبادة دائرة ملك بني العباس !! وإيقاع (القتل العام) من أتباع أولئك الطغام . إلى أن أسال من دماهم الأقدار كأمثال الأنهار ، فانهار بها في ماء دجلة ، ومنها إلى نار جهنم دار اليوار ، وحمل الأشقياء الأشرار !! .. وهذا مصداق ما قرره شيخ الإسلام (ابن تيمية) منقولاً بحرفه من اعتراف الخونساري . . الذي بعد (القتل العام) في المسلمين من أمانيتهم وورغائهم ، عالمهم الله بما يستحقون [.

(ت) وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له ابن العلقمي منهم (توفي

سنة ٦٥٦) .

[ووثق به المنتصم آخر الخلفاء العباسيين ، فألقى إليه زمام أموره . ولما دخلت جيوش هولاكو الوثني بلاد إيران أرسل إليه ابن العلقمي يجرسه على قصد بغداد . . . فزحف هولاكو على بغداد في مائتي ألف من التتار والكرج وسائر بأجوج ومأجوج ، ومثل ابن العلقمي دوره في مخادعة الخليفة المنتصم ، وهوّن عليه الأمر ، فلما تزلت جيوش هولاكو في شرقي بغداد وغربها ، استأذن ابن العلقمي خليفته بالخروج إليهم للتوسط في الصلح ، وبعد أن توثق الخليفة لنفسه وكاشف المغيرين بانحيازهم إليهم وخيائته لدولته ، عاد فزعم للخليفة أن هولاكو يرغب في تزويج ابنته بالأمير أبي بكر ابن الخليفة !! . . ودعا الخليفة وابنه وأعيان الدولة إلى الخروج لزيارة هولاكو ، كما دعا العلماء والرؤساء ليحضروا عقد الزواج بزعمه ، فلما صاروا بمسكر هلاكو أمر بضرب أعناقهم ، وبقيت الرعية بلا راع ، ثم دخلت بأجوج ومأجوج بغداد ، فوضعت السيوف في الرقاب ، واستمر القتل والسبي والنهب أربعين يوماً ، ويقال إن هلاكو أمر بعد ذلك بإحصاء ضحايا الأمة الإسلامية هناك ، فزاد عدد من أحصوه من القتل على ألف ألف ، وثمانمائة ألف ، والذي لم يحصوه أضاف

ذلك : وقد وصف تقي الدين ابن أبي اليسر هذه المجزرة الحمجية بقصيدة منها :
 يا زائرين إلى الزوراء لا تَقْدُوا فما بذاك الحمى والدار ديارُ
 أما عدو الله ابن العلقمي فتخابت آماله كلها في إقامة الملك أو الإمامة لهم ،
 واحتقره هلاكو ورجاله كما يحتقر كل خائن ، وصار فيهم كملوك من المماليك ،
 حتى أثر عنه أنه كان ينشد : « وجرى القضاء بعكس ما أمثله » ثم مات
 كذا ، لارحمه الله . وهذا البلاء الأعظم الذي وقع في دولة الإسلام وأمة
 المسلمين علي بد كفار التار الوثنيين ، هو الذي وصفه مؤرخ الشيعة الخونساري
 بلسان الشناعة والابتهاج ، معلناً أنه ومن على شاكلته من طائفة منخازون إلى
 صفوف الكفار ، ومعادون لجماعة المسلمين . قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية
 رحمه الله [.

(م) وقال عمر : كانت يعة أبي بكر فلة وفي الله شرها ، (فن عاد
 إلى مثلها فأتلوه) .

(ت) قلنا : هذا القول الأخير اقترأ ، وإنما قال : وليس فيكم من تقطع
 إليه الأعناق مثل أبي بكر . ومعناه أن يعة الصديق بؤدر إليها من غير
 انتظار وتريث لكونه كان متعينا .

(م) ولم يول النبي أبابكر عملاً قط ؛ بل ولّى عليه عمرو بن العاص
 مرة ، وأمامة أخرى . ولما أنقذه بسورة براءة رده بوحي من الله : .

(ت) قلنا من المعلوم قطعاً أن النبي (ﷺ) استعمل أبابكر على الحج
 عام تسع ، فكان هذا من خصائصه ، كما أن استخلافه على الصلاة من خصائصه ،
 وكان علي من رعيته في الحج المذكور ، فإنه لحقه فقال (أي أبو بكر
 لعلي (رض) : أمير أو مأمور ؟ قال علي : بل مأمور . وكان علي يعلي خلف
 أبي بكر مع سائر المسلمين في هذه الحجة ، بل خصّ بتبليغ سورة براءة .

[سبين : (أحدهما) أن في السورة فتحاً ليهود سابقة مع المشركين ، ومن عادة العرب أن يتولى إعلان ذلك الرجل المطاع في جماعته ، أو رجل من ذوي قرابته . (والسبب الثاني) أن في السورة ثناء من الله عز وجل على الصديق الأعظم رضوان الله عليه ، وهو قول الله جل جلاله : «إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ، إن الله معنا» . فكان من مناقب الخليفة الأول لرسول الله ﷺ أن يعلن هذا الثناء الإلهي عليه أخوه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما] .

(م) وأمل أبو بكر حدود الله ، فلم يقتص من خالد بن الوليد حيث قتل مالك بن نويرة ، وأشار عمر بقتله فلم يقبل .

(ت) إن كان ترك قتل قاتل المعصوم (أي معصوم الدم) مما ينكر على الأئمة كان هذا من أكبر حجج شيعة عثمان على علي ، فان عثمان خير من أمثال مالك بن نويرة ، وقد قتل مظلوماً شهيداً ، وعلي لم يقتص من قتله ، ولذا امتنع الشاميون من مبايعته ، فان عذرهم غاخذوا أبا بكر ، فانا نعذرهما . وكذلك إنكاركم على عثمان حيث لم يقتص من عبيد الله بن عمر بالهرمزان . ثم إن عمر أشار عليه باجتهاد منه :

(م) وخالف أمر النبي في توريث بنته ومنعها فدك .

(ت) قلنا : جميع المسلمين مع أبي بكر فيما فعل ، (خلا الجبهة) وذلك لزواية جماعة من الصحابة عن النبي (ﷺ) أنه قال «لا نورث» (وقد تقدم ذلك) .

[روايات هذا الحديث وما دار حوله في ص ٤٨ - ٥١ من (العواصم من القواصم)] .

(م) وعن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال في مرضه : ائتوني بدواة ويضاء ، لأكتب لكم كتاباً لا تضلون من بعدي . فقال عمر : إن الرجل ليهجر ، حسبنا كتاب الله ، فكثر اللفظ ، فقال رسول الله (ﷺ) : اخرجوا عني ، لا ينبغي التنازع لدي ، قال ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب النبي (ﷺ) .

(ت) أما قصة الكتاب فقد جاء ميّناً في الصحيحين من حديث عائشة ، قالت : قال رسول الله (ﷺ) في مرضه : ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فاني أخاف أن يمتني وتمن ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر والنبي (ﷺ) كان عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة ، فلما رأى أن الشك قد وقع ، علم أن الكتاب لا يرفع الشك فلم يبق فيه فائدة ، وعلم أن الله يجمعهم على ما أراد ، كما قال : « ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » . ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضالّ باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة ، أما أهل السنة فتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديسه ، وأما الشيعة القائلون بأن علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون انه قد نصّ على إمامته قبل ذلك نصّاً جلياً ظاهراً معروفاً ، وحينئذ فلم يكن يحتاج الى كتاب .

(م) فكان (أي عمر) يعطي أزواج النبي (ﷺ) من بيت المال أكثر مما ينبغي ، ويعطي عائشة وحفصة في السنة عشرة آلاف .

(ت) قلنا : كان مذهبه التفضيل في العطاء ، كما كانت يعطي بقي هاشم أكثر من غيرهم ، ويبدأ بهم ، ويقول : ليس أحد أحق بهذا المال من أحد ، وإنما هو الرجل وغناؤه ، والرجل وبلاؤه ، والرجل وسابقته ، والرجل وحاجته ، وكان يعطي ابنه عبد الله أقص مما يعطي أمامة بن زيد ، فوالله ما كان عمر يتهم في تفضيله للحباة ولا صداقة .

(م) وقال بالرأي والحدس والظن .

(ت) قلنا هذا لم يختص به ، وقد كان عليّ من أقولهم بالرأي ، فمن ذلك سيره الى صفين ، فقال : لم يعمد إليّ فيه نبيّ الله بشيء ، ولكنه رأي رأيته . وأما قتاله الخوارج فكان معه فيه حديث . وأما قتال الجمل وصفين فلم يرو أحد منهم فيه نصّاً إلا القاعدون فانهم رووا الأحاديث في ترك القتال في الفتنة [ومنهم سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو موسى الأشعري ، وأسامة بن زيد وغيرهم] .

ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذموماً فلا لوم على من قال به ، وإن كان مذموماً فلا رأي أعظم ذماً من رأي أربق به دم ألف مؤلفة من المسلمين ، ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لافي دينهم ولا في دنياهم ، بل نقص الخير عما كان ، وزاد الشرّ على ما كان ، فاذا كان مثل هذا الرأي لا يعاب به فرأي عمر وغيره في مسائل القرائض والطلاق أولى أن لا يعاب ، مع أن عليّاً شركهم في هذا الرأي ، وامتناز برأيه في الدماء ، وقد كان ابنه الحسن وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة ، وكان هذا الرأي أصلح من رأي القتال بالدلائل الكثيرة . ومن المعلوم أن قول عليّ في الجدة وغيره من المسائل كان بالرأي ، وقد قال : اجتمع رأيي ورأي عمر على المنع من بيع أمهات الأولاد .

(م) إن زعم أن الإمام يكون منصوباً عليه وهو معصوم .

(ت) فليس هو أعظم من الرسول ، ونوابه وعمّاله ليسوا معصومين ، ولا يمكن أن ينصّ الشارع على كل معينة ، ولا يمكن النبيّ ولا الإمام أن يعلم الباطن في كل معينة . وأما علي رضي الله عنه فظهور الأمر في الجزئيات بخلاف ما ظنه كثير جداً ، فلم أنه لا بدّ من الاجتهاد في الجزئيات من المعصومين

وغير المعصومين . وفي الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال : « أنكم تختصمون إليّ ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أفضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار » فحكمه في القضية المعينة إنما هو باجتهاده ، ولهذا نعى المحكوم له أن يأخذ ما حكم له به إذا كان الباطن بخلاف ما ظهر .

(م) وقولك : جمع (أي عمر) بين الفاضل والمفضول ، (أي في الثوري) .
(ت) فهذا عندك ، وأما عندهم فكانوا متقاربين ، ولهذا كانوا في الثوري مترددين ، فإن قلت : علي هو الفاضل وعثمان المفضول ، قيل لك : فكيف أجمع المهاجرون والأنصار على تقديم مفضول ؟ وقال بعض العلماء : من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، وفي الصحيحين عن ابن عمر ، قال : كنا تفاضل على عهد النبي (ﷺ) فنقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان . وفي لفظ : ثم ندع أصحاب النبي (ﷺ) فلا تفاضل بينهم ، فهذا ينقل ما كان عليه الصحابة على عهد نبيهم ، وظهر أثر ذلك فانهم بايعوا عثمان من غير رغبة ولا رهبة وانفقوا عليها . . . فدلّ على أنهم إنما قدموه باستحقاق . وهذا شيء إذا تدبره الخبير ازداد به بصيرة وعلماً .

(م) وأما عثمان فإنه ولّى من لا يصلح حتى ظهر من بعضهم النفاق والخيانة ، وقسم الولايات بين أقاربه ، وعوتب فلم يرجع .

[كل ما عزاه أعداء الصحابة إلى ذي النورين رضوان الله عليه ، أورده القاضي أبو بكر بن العربي وسماه (قواصم) وأجاب على كل قاصمة بعاصمة من الحق عن أصدق المصادر وأصحها بعد كتاب الله . ومن ذلك تألف كتاب : (القواصم من القواصم) الذي علقنا عليه بما لا يترك مقالاً لقائل . فارجع إليه لتطهر قلبك من الغل للذين آمنوا من تلاميذ محمد (ﷺ) ، وخاصة أحبابه ،

فان أعداءهم شنعوا الكتب بالأكاذيب التي انتشرت ، وأفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول ، إلى أن أظهر الله الحق بكتاب العواصم من القواصم ، فانتفع به الكثيرون والله الحمد والمنة .

(تنبيه) ذكر ابن المطهر أمثلة على انحراف الخليفة عثمان ، فأجاب عنها ابن تيمية ، وصاحب التعليقات واحدة واحدة .

(م) وأبو بكر وعمر وعثمان ما كانوا معصومين اتفاقاً ، وعلي معصوم فيكون هو الإمام .

(ت) الرسول هو المعصوم ، وطاعته هي الواجبة في كل وقت على الخلق ، وعلم الأمة بأوامره أتم من علم البعض بأوامر المنتظر . فهذا رسول الله (ﷺ) هو المعصوم ، وأوامره معلومة ، فاستفتت الأمة به وبأوامره وبعلمه عن كل أحد ، وأولو الأمر منفذون لدينه ليس إلا . ومعلوم قطعاً أنه كان نوابه في اليمن وغيرها يتصرفون في الرعية باجتهادهم وليسوا بمعصومين ، ولم يتول على الأمة من ادّعى له سوى علي ، وكان من نوابه على رعيته بالبلاد النائية من لا يدري بما أمر ولا بما نهى ، بل كانوا يتصرفون بما لا يعرفه هو (أي باجتهادهم) .

ثم الإمام الذي وصفته ، لا يوجد في زماننا ، مفقود غائب عنكم ، ومعدوم لا حقيقة له عند سواكم ، ومثله لا يحصل له شيء من مقاصد الإمامة ، بل الإمام الذي يقوم وفيه جهل وظلم (كما تدعون) أتفع لمصالح الأمة بمن لا ينفعهم بوجه ، والإمام يحتاج إليه للعلم ليلغنه ، وللعلم ليطاع في سلطانه .

[إن جميع الدلائل الشرعية والعقلية والتاريخية التي في أيدينا - عن آخر من يدعون عصمته - تدل على أنه لم يخلق ، ويوم وقعت وفاة أبيه وحُورت تركته ، لم تقل زوجة من أزواج التوفى ولا أمة من إماءه إن له ولداً منها . وحجرت أزواجه وإماؤه في منزل مدة المدة على احتمال أن تكون حاملاً فتلد ،

فمضت مدة العدة ولم يولد له أحد . والمنزل الذي يزعمون ان فيه سر دابا كان من يوم وفاة الحسن العسكري تحت تصرف أخيه جعفر ، وكان جعفر على يقين بأنه ما كان ولم يكن لأخيه ولد ، وللعلميين نقابة وتقيب وسجل للمواليد ، وليس فيه أي ذكر لمولود ينسب الى الحسن العسكري] .

(م) والإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، وعليه فاضل أهل زمانه فهو الإمام لقبج تقدم المنفول على الفاضل عقلاً وقلاً » .

(ت) قلنا لانسأ أنه أفضل أهل زمانه ، فانه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر . ثم كثير من العلماء لا يوجبون تولية الأفضل ، ومنهم من يقول بولاية المنفول إذا كان فيها مصلحة راجحة كما تقول الزيدية .

(م) قوله تعالى : يا أيها الرسول بليغ ما أنزل اليك من ربك » اتفقوا على نزولها في علي ، روى أبو نعيم بإسناده الخ ومن تفسير الثعلبي الخ وقد روى هذا النقاش في تفسيره » .

(ت) قولك اتفقوا على نزولها في علي كـ... بل ولا قاله عالم ، وفي كتاب أبي نعيم والثعلبي والنقاش من الكذب ما لا يعد ، والمرجع في النقل الى أمناه حديث رسول الله ، كما أن المرجع في النجوى الى أربابه ، وفي القراءات الى حذاقها ، وفي اللغة الى أئمتها ، وفي الطب الى علمائه ، فلكل فن رجال ، وعلماء الحديث أجل وأعظم تجرباً للصدق من كل أحد ، علم ذلك من علمه ، فما اتفقوا على صحته فهو الحق ، وما أجمعوا على تزييفه وتوهينه فهو سافط ، وما اختلفوا فيه نُظر فيه بانصاف وعدل ، فهم العدة كالك وشعبة والأوزاعي واللبث والسياتين والحماديين وابن المبارك ويحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، ووكيع وابن علية ، والشافعي وعبد الرزاق والفريابي وأبي نعيم والقعنبي والحليدي

وأبي عبيد وابن المديني وأحمد وإسحاق وابن معين وأبي بكر بن أبي شيبة
والذهلي والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي داود ومسلم وموسى بن هارون
وصالح جزرة والنسائي وابن خزيمة وأبي أحمد بن عدي وابن حبان والدارقطني
وأمثالهم من أهل العلم بالنقل والرجال والجرح والتعديل .

وقد صنف في معرفة الرجال كتب جمّة : كالطبقات لابن سعد ، وتاريخي
البخاري ، وكلام ابن معين من رواية أصحابه عنه ، وكلام أحمد من رواية
أصحابه عنه ، وكتاب يحيى بن سعيد القطان ، وكتاب علي بن المدايني ، وتاريخ
يعقوب الفسوي ، وابن أبي خيثمة ، وابن أبي حاتم ، والعقبلي ، وابن عدي
وابن حبان والدارقطني .

والمصنفات في الحديث على المسانيد : كسند أحمد ، وإسحاق ، وأبي داود ،
وابن أبي شيبة ، والعتني ، وابن منيع ، وأبي يعلى ، والبزار ، والطبراني وخلائق .
وعلى الأبواب : كاللوطا ، وسنن سعيد بن منصور ، وصحيح البخاري ومسلم ،
والسنن الأربعة ، وما يطول الكتاب بتعدادها .

ثم تقول : ما يرويه مثل النقاش والزملي وأبي نعيم ونحوهم : أتقبلونه مطلقاً
لكم وعليكم ، أم تردونه مطلقاً ، أو تأخذون بما وافق أهواءكم وتردون ما خالف ؟
فإن قبلوه مطلقاً ، ففي ذلك من فضائل الشيخين جملة من الصحيح والضعيف ،
وإن ردّوه مطلقاً بطل اعتداده بما ينقل عنهم ، وإن قبلوا ما يوافق مذهبهم أمكن
المخالف ردّ ما قبلوه والاحتجاج بما ردّوه ، والناس قد كذبوا في المنافب والمثالب
أكثر من كل شيء .

ثم هذا الحديث كذب باتفاق أهل الحديث ، ولهذا لم يرو في شيء من
كتب الحديث المرجوع إليها ، وإنما يجوز صدقه من يقول : إن النبي (ﷺ)
كان على مذهب أحد الأربعة ! ! ! . أو إن قبر علي رضي الله عنه ياطن

التجف ، وأهل العلم يعلمون أن علياً ومعاوية وعمرو بن العاص دفن كل واحد منهم بقصر الإمارة ، خوفاً عليه من نبش الخوارج .

[أما قصر الإمارة في الكوفة الذي دفن فيه عليّ كرم الله وجهه ، فإنه يقع قبلي الجامع ويطلّ على الرحبة . ويقول مؤرخ الشيعة لوط بن يحيى إنه دفن في إحدى زوايا الجامع على رحبة القصر ، بالقرب من أبواب كندة . وما زعمته الشيعة بعد ذلك من أن قبره في التجف ، فهو زعم متأخر دهنياً طويلاً عن زمن عليّ وابنيه ، لأنه يرجع إلى أواخر القرن الثالث ، وقصر الإمارة في دمشق الذي يعلم أهل العلم أن معاوية دفن فيه هو (الخضر) التي كانت تتصل بجدار القبلة من مسجد دمشق ، وتمتدّ شرقاً إلى بركة جيرون ، وغرباً إلى باب البريد ، وجنوباً إلى قصر أحمد باشا العظم وما حوله] .

[وأما عمرو بن العاص فإنه لما توفي في عيد الفطر من عام ٤٣ صلى عليه ابنه عبد الله (رض) ولم أعر عند كتابة هذا التعليق على نص لمن قالوا أنه دفن في دار الإمارة ، والمشهور أنه دفن في صفيح جبل المقطم بقرب مدخل الشعب . وكان الصحابة يرون أن العظام تخلد أعمالهم لا قبورهم . ولذلك لم يكونوا - كالفراعنة والجيبارين - يبالون بأن تقام المباني والصروح على قبور العظام منهم والفاطحين والصالحين] .

(م) روى الجمهور قوله عليه الصلاة والسلام : إني تارك فيكم ما إن تمسكن به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الخوض . وقال : أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . وسيد أهل بيته علي ، فيكون واجب الطاعة على الكل فيكون الإمام .

(ت) قلنا : إنما لفظ الحديث في مسلم ، عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ﷺ) خطيباً بنحم ، فقال : إني تارك فيكم ما إن تمسكن به

لن تضلوا : كتاب الله » وأما قوله : « وعترتي » فهذا رواه الترمذي ، وتقرئ به زيد بن الحسن الانطاقي عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر ، والانطاقي قال فيه أبو حاتم منكر الحديث [ويمدّه الشيعة منهم ، وله ترجمة عند المامقاني (٤٦٢ : ١) . ولكنه غير محمود عندهم ولا عندنا] . وأما حديث سفينة نوح فغير صحيح ، ولا هو في شيء من الكتب المعتمدة ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لن يتفرقا ، يدل على أن إجماع العترة حجة ، وهو قول طائفة من أصحابنا وذكر القاضي في المعتمد : والعترة هم بنو هاشم كلهم : ولد علي وولد العباس وولد الحارث ابن عبد المطلب . وسيد العترة هو رسول الله (ﷺ) وكان ابن عباس أقره العترة ، وكان يخالف عليا في مسائل ، وعلي ما كان يوجب على أحد طاعته فيما يفتي به .

(الخاتمة) كل عاقل يعلم أن أهل الدين والجمهور ليس لهم غرض - والله - لا مع علي ولا مع غيره ، ولا غرضهم تكذيب نبيهم ، ولا رد ما أمر به ، ولو علموا أن الرسول نصّ لهم على علي لكانوا أسبق شيء إلى أمره وإلى التصديق به ، غاية ما يقدر أنه خفي عليهم هذا الحكم فكيف يكون من خفي عليه جزء من الدين مثل ... بل يكفي من وضع ... قول المصطفى (ﷺ) : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، نعم ، ومن كتم ما نصّ عليه الرسول مراغمة لله ورسوله فهو من أصحاب النار .

(م) المنهج الرابع في الأدلة الدالة على إمامته من أحواله ، فذكر أنه كان أزهد الناس وأعبدهم ، وأعلمهم وأشجعهم . وذكر أنواعا من غوارق العادات له . (ت) بل كان أزهد الناس بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر ، فإنه كان له مال يتجر به ، فأنتقه كله في سبيل الله [أخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح عن هشام بن عمرو : أخبرني أبي قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألف

درهم ، قال عمرو : وأخبرتني عائشة ، أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهما .
ومن طريق أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه : كان أبوبكر معروفاً بالتجارة ،
ولقد بعث النبي (ﷺ) وعنده أربعون ألفاً ، فكان يمتق منها ويعول المسلمين
حتى قدم المدينة بخمسة آلاف ، وكان يفعل فيها كذلك .

قال ابن زنجويه [هو حميد بن مخلد الثقة الثبت الحجة الحافظ . توفي سنة ٢٤٧] :
كان علي فقيراً في أول الإسلام ، ثم استفاد الرباع والمزارع والتخيل ، واستشهد
رضي الله عنه وعنده تسع عشرة مربية وأربع نسوة . وقال شريك بن عاصم :
لقد رأيتني على عهد رسول الله (ﷺ) أربط الحجر على بطني من شدة الجوع ،
وان صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين ألفاً .

ثم قد كان لأبي بكر من الولد مثل عبد الرحمن ، ومن القرابة مثل طلحة
أحد العشرة ، فما استعمل هذا ولا هذا في جهاته ، وهي مكة والمدينة واليمن
وخير والبحرين وحضرموت وعمان والطائف واليامة ، ثم جرى عمر على مجراه ،
ولم يستعمل من بني عدي أحداً على سعة عمله ، وقد فتح الشام ومصر والعراق
إلى خراسان ، إلا النعمان بن عدي المدوي وحده - على ميسان - ثم أمرع
عزله ، فكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد العشرة ، وأبي جهم بن حذيفة
وخارجة بن حذافة ومعر بن عبد الله وولده عبد الله بن عمر . ثم كل منها
لم يستعمل ابنه من بعده على الأمانة . . . وجدنا علياً استعمل أقاربه : ابن عباس
على البصرة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقُتَيْباً ومجيداً ابني عباس على
الحرمين ، وابن أخيه جمدة بن هبيرة على خراسان ، وابن امرأته وأخا ولده
محمد بن أبي بكر على مصر ، ورضي يعة المسلمين لابنه بعده . ولنا فنكر
أهليته وزهده وعظمت ، ولا أعلية عبد الله بن عباس للخلافة ، ولكننا نقول :
إن أبا بكر وعمر أتم زهداً وأعزف عن الدنيا من زاهد يفعل المباحات .

(م) وبالجملة ، زهدٌ لم يلحقه أحدٌ فيه ولا سبق إليه ، وإذا كان كذلك كان هو الإمام .

(ت) قلنا : كلا المقدمتين باطلة : لم يكن أزهد من أبي بكر (كما تقدم) ولا كلٌّ من كان أزهد كان أحقَّ بالإمامة ، وقال علي : لا يبلغني أن أحداً فضلي على أبي بكر وعمر إلا جللته حدّ المفترى ، وقد روي عن علي من نحو ثمانين وجهاً أنه قال علي منبره : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر . وقال البخاري : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، حدثنا جامع بن شداد ، حدثنا منذر الثوري ، عن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي : يا أبا من خير الناس بعد رسول الله (ﷺ) ؟ قال : يا بني " أو ما تعرف ؟ قلت : لا ، فقال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر .

ثم عقد ابن المطهر فصلاً في الكلام على إمامة أبي بكر ، واليك مثلاً منه وجوابه :

(م) قال : واحتجوا بالاجماع ، والجواب منه ، فإن جماعة من بني هاشم لم يوافقوا على ذلك ، وجماعة كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وسعد بن عباد وزيد بن أرقم وأسامة وخالد بن سعيد بن العاص وبنو حنيفة كافة ولم يحملوا الزكاة إليه ، حتى مئام أهل الردّة وقتلهم وسبهم ، فأنكر عليه عمر ، وردّ السبايا أيام خلافته .

(ت) أفسح قطُّ بمثل هذا ؟ : فقد علِمَ كلُّ عالم كفر بني حنيفة أتباع مسيلمة وارتدادهم ، وهذا يعدّهم من أهل الاجماع ، وإنما قتلهم وسبهم لامتناعهم عن بيعته ، ولأنهم لم يحملوا الزكاة إليه !! فتعوذ بالله من البهتان : إذا محاسني اللاتي أدلُّ بها كانت ذنوباً فقل لي كيف أعذرُ

ومن أعظم مناقب الصديق قتل أولئك الأرجاس وسبيهم ، وما قاتلهم على

منع زكاة. بل على إيمانهم بمسيلة ، وكانوا نحو مائة ألف . والحنفية مرتبة عليّ - أم محمد بن الحنفية - من صبيهم .

[وتسري عليّ بها اعتراف منه بشرعية حكم أبي بكر وحروبه ونتائجها]
(انظر رسالة مؤتمر النجف ص ٣١) .

فأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فطوائف من العرب غير بني حنيفة استباحوا ترك الزكاة بالكلية فقاتلهم فامر بني حنيفة قد خلص الى العذارى في الخلدور ، وكتاب الردة لسيف بن عمر مشهور ، والردّة للواقدي . ثم قولك إن عمر أنكر قتال أهل الردة وردّ عليهم « من البهتان » وإنما توقف مع الصديق في قتال مانعي الزكاة فناظره ، فرجع عمر الى قوله . وأما الذين سميتهم وأنهم تخلفوا عن بيعة الصديق . . . ما تخلف إلا سعد بن عباد ، ومباينة هؤلاء لأبي بكر ثم عمر أشهر من أن تنكر .

والكلام في إمامة الصديق إما أن يكون في وجودها ، وإما أن يكون في استحقاقه لها . (أما الأول) فهو معلوم بالتواتر واتفاق الناس بأنه تولى الأمر ، وقام مقام رسول الله (ﷺ) وخلفه في أمته ، وأقام الحدود ، واستوفى الحقوق ، وقاتل الكفار المرتدين ، وولي الأعمال ، وقسم الأموال ، وفعل جميع ما يفعل الإمام ، بل هو أول من باشر الإمامة في الأمة .

وأما إن أريد بإمامته كونه مستحقاً لذلك ، فهذا عليه أدلة كثيرة غير الاجماع : فلا طريق يثبت بها كون عليّ مستحقاً للإمامة إلاّ وتلك الطريق يثبت بها أن أبا بكر مستحق للإمامة ، وأنه أحق بالإمامة من عليّ وغيره
فلا إجماع لا يحتاج اليه لا في الأولى ولا في الثانية ، وإن كان الاجماع حاصلًا

فمن تأمل وجد فضائل الصديق كثيرة ، وهي خصائص له ، مثل : « إن »

الله معنا» وحديث الخالة ، وحديث انه أحب الرجال إلى رسول الله (ﷺ) وحديث الاثنيان إليه بعده [أي حديث المرأة التي قال لها النبي (ﷺ) : إن لم تجدني فاتي أبا بكر ، وهو في الصحيحين] . وحديث كتابة العهد له ، وحديث تخصيصه بالصدیق ابتداء والصحة ، وتركه له ، وهو قوله : «فهل أنتم تاركو لي صاحبي» وحديث رفعه عنه عقبة بن أبي معيط إذ وضع الرداء في عنقه ، وحديث استخلافه في الصلاة والحج ، وشأن ثباته بعد وفاة الرسول (ﷺ) وانتقاد الأمة له ، وحديث خصال الخير التي اتفقت له في يوم .

ثم له مناقب يشركه فيها عمر ، كحديث شهادته بالإيمان له ولعمر ، وحديث عليّ يقول : كثيراً ما كنت أسمع النبي (ﷺ) يقول : «خرجت أنا وأبو بكر وعمر» وحديث نزعه من القلب ، وحديث : «إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وللاصديق في الصحاح نحو عشرين حديثاً ، أكثرها خصائص ، فنائبه حجة ، وفضائله عِدَّة ، استوجب بها أن يكون خليل رسول الله (ﷺ) دون الخلق لو كانت الخالة ممكنة . فلو كان مبغضاً له كما يقول . . . لما حزن ، بل كان يظهر الفرح والسرور ، فأخبر الرسول (ﷺ) أن الله معها ، وهذا إخبار بأن الله معها بنصره وحفظه . ومعلوم أن أضعف الناس عقلاً لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي قد عاداه فيه أولئك الملائكة ، فكيف يصحب واحداً ممن يظهر له موالاته دون غيره ، وهو عدو له في الباطن . هذا لا يفعله إلا أغبي الناس وأجهلهم ، فقبَّح الله من جاوز هذا على أكمل الخلق عقلاً وعلماً .

(م) وأما إنفاقه على الرسول فكذب ، لأنه لم يكن له مال .

(ب) من أعظم البلايا إنكار التواتر المستفيض القطعي . فمن ذا الذي

تقل من الثقات أو الضعفاء ما زعمت . . أينكر جود حاتم وشجاعة علي وحلم معاوية وغنى أبي بكر وفضله ؟ بل هؤلاء لا ذكر لهم في القرآن ، وهو ، ففيه نص صريح بفضله وغناه ، ففي الصحيحين أن مسطحاً كان أبو بكر ينفق عليه ، وكان أحد من تكلم في الإفك ، فعلف أبو بكر أن لا ينفق عليه ، فأنزل الله قوله : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعنفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ؟ فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي . فأعاد عليه النفقة . وقد اشترى بماله سبعة من المعتدين في الله ، وقال النبي (ﷺ) : « ما تنفي مال ، ما تنفي مال أبي بكر » . ولما هاجر استصحب ما بقي من ماله ، قيل : كانت ستة آلاف ، وكان يتجر . وفي الصحيحين أن أبا بكر لما ابتلي المسلمون بمكة ، خرج مهاجراً ، حتى إذا بلغ برك الغداد ، لقيه ابن الدغنة سيد القارة ، وقال : مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، إنك تكسب المعدم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وإني لك لجار ، ارجع ، واعبد ربك بيلدك ، فرجع به ابن الدغنة ، وطاف في قريش فأجاره ، فقالوا له : « مر يا بكر فليعبد ربك في داره ، ولا يؤذنا ولا يستعلن بعبادته ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا . . . الحديث بطوله .

وقد قال النبي في مرضه ذلك على ما في الصحيحين عن عائشة أنه قال : « ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لهم كتاباً ، فإني أخاف أن يثني ثمن ويقول قائل أنا أولى ، وبأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

فهذا من إخباره بالكوائن بعده ، ولهذا أعرض عن الكتابة لأبي بكر لما علم أن الله يجمعهم عليه ، وأن المؤمنين يبايعونه ولا يختلفون عليه : لا في

الأول ولا في الآخر عندما استخلف عليهم بعده خیرهم . أماتنا الله وإياكم
على حب الأربعة ، فان المرء مع من أحب .
آخره والله أعلم

هذه شذرات اخترناها وخلصناها من ذلك الجلد الضخم (المنتقى) بلا تعليق
منا عليها ، وهي تنوّه بجزايا الخلفاء الثلاثة ومحاسنهم ، وتنبئ النقائص التي ألحقت
بهم ، وتطري مآلهم بالصحابة الكرام من فضل الصبغة ، ونشر الدعوة ، وإقامة
الحجة ، وإثبات الأخوة الصادقة بين الأئمة أبي بكر وعمر وعلي ، وتفضيله
لها على نفسه ، وإرسال ولديه الحسن والحسين إلى عثمان شهيد الدار ، محافظة
عليه ودفاعاً عنه (رضوان الله عليهم) وتقيه الكفر والنفاق عن محاربه ، كما تراء
في نهج البلاغة وغيره .

وبعد هذا كله ، إن لم يعمل محبوه وموالوه بنصحه وتذكيره ، يتبين أنهم
لا يقسمون لرأيه وزناً ، ولا يرفعون به رأساً ، وانك لتجد في هذا (المنتقى)
من (منهاج السنة النبوية) جواباً لكل سؤال ، وحلاً لكل إشكال ، وبياناً
للحق في كل ما يخوض به الخائفون ، مثل : الميراث من (فدك) التي جرى فيها
الإمام علي على خطة الخلفاء من قبل ، ومثل حكمه العادل في وقائع الجمل
والنهروان وصفين ، ونقي سمة الكفر عنهم ، على خلاف حكم من ادعى التشيع له ،
في هذه الكتب المنشورة التي تبدي وتعيد . وتطبع وتوزع وليس فيها من جديد .
ألا وانت جواب إمام السنة ابن تيمية الحراني الدمشقي ، لإمام الشيعة
الإمامية ابن المطهر الحلي البغدادي هو كافٍ واف بالموضوع . وإني أنصح لمن
يقدر وقته حق قدره ، ويعرف قيمة عمره ، أن لا يضيعه بقراءة الكتب
الطاعنة اللاعنة ، فهي ظلمة آئمة ، وما أثرقاه عن «المنتقى» فهو الجواب الصحيح
الذي نرجو أن يجتمع عليه كبة الأمة ، إن شاء الله ، وبه المستعان .

محمد بهجت البطار

الدراسات العربية

في الولايات المتحدة

مقدمة

أولاً أريد أن أعتذر الى القراء الكرام عن لغتي وعن عدم إلمامي الواسع باللغة العربية الكريمة .

أما بعد ، فموضوعنا هو الدراسات العربية وامتدادها الى الدراسات الاسلامية في الولايات المتحدة . ولكنني قبل أن أطرق الموضوع نفسه يجب عليّ أن أحدث بصورة عامة عن التربة في أمريكا - وربما في الغرب اجمالاً - عندنا في الغرب مجريان مهمان مشبكان في تراثنا .

أولهما الثقافة اليونانية المسيحية ، وثانيهما روح التنقيش العلمي الطبيعي . وهنا لا أنسى قطعاً الدور العظيم الشأن الذي لعبه العرب وسائر المسلمين في تطور هذين المجريين . إني موقن كل الايقان بأهمية تأثير الغزالي مثلاً على أنكار طوماس اكوينس (Thomas Aquinas) ومن المعلوم انه أم المتكلمين الكاثوليكين في القرون الوسطى وخاتمهم في علم اللاهوت حتى الآن ؛ أو من جهة أخرى بتأثير رجال العلم كابن النفيس - وهو ابن الفحصاء تقريباً - على تطور علم الطب . لقد جاهد هذان الرجلان وأمثالهما العديدون في سبيل العلم ووسّعوا آفاقه في العالم كله . ومع ذلك أظن أن مياه دور العرب خلال تطور المدنية الغربية الطويل هي مياه نهر فرعي نصب في نهر كبير ، وليست هي

جزءاً من هذا النهر الكبير في البداية . وكذلك دور المدينة العربية في المدينة الإسلامية هو دور نهر فرعي ^(١) .

فأرجع الى الموضوع ذاته . فلو فرضنا ان هذين المحربين حقيقتاً - وأعني بذلك الثقافة اليونانية المسيحية وروح التنقيش العلمي الطبيعي - ، فلا نرى مجالاً مبنياً للدراسات العربية والإسلامية ، أو نقول الدراسات الآسيوية ، أو في النهاية ، الدراسات في أية مدينة خارج الغرب . ومن هنا نسأل من أين جاءت هذه الدراسات اللاغربية . ويبدو لي أن لها مصدرين : أولهما ديني والثاني صيامي .

إننا ولا شك نذكر ان الجامعات في الغرب - وفي الشرق أيضاً - انبثقت عن حضارة مركزها الدين ، وفي أوروبا نشأت الدراسات الشرقية ، من وجه عام ، عن الاهتمام بالكتاب المقدس ، فبدأت هذه الدراسات مع لغة العهد القديم وتشتعت في القرنين الماضيين الى الاهتمام بأقدم المدينيات في الشرق كالآشورية والفرعونية ، وفي ذلك الحين كان علماء الغرب لا يقدرون أهمية الجزيرة العربية كمهد العائلة السامية حق قدرها وأهمية البدوي كأنقى مثل لهذه العائلة من حيث اللغة وعلم الاثروبولوجيا . ولقد درست اللغة العربية كمساعد لغوي لدراسة لغة العهد القديم ، وأيضاً في بعض الأحيان كمساعد لعمل المبشرين . ومن الواضح بناءً على هذا الميل ان نتائج دراسات المدينة العربية والإسلامية هذه لم تُعتبر مجرد ذاتها بل تميزت ضدّها قبل البحث فيها ، وبما زاد هذا الميل أفكار خاطئة عن الحروب الصليبية وخوف شديد من قوة الدولة العثمانية .

ونلاحظ اختلاطاً عجيباً كل العجب بسبب الجهل والخرافة خاصة عن حياة

(١) بالرغم من هذا القول فإني أعتقد انه في أعرق الأسس يجتمع الإسلام والمسيحية في قيمها الأساسية باختلافها عن مناطق الهندوكية أو البوذية مثلاً .

النبي العربي وشخصيته . في أول الأمر فكر هؤلاء الاوروبيون أن محمداً إله معبود ! وبتطور الزمان تغيرت هذه الفكرة الى انه نبي غير مخلص ! وسيطرت وجهة النظر هذه على الرأي العام والمثقفين حتى منتصف القرن الماضي (آتخذ كان العلماء ولا شك يفهمون على أفضل طريقة ولكنهم قصروا في إذاعة ما يعلمون في هذا الصدد) عندما كتب طوماس كارلايل (Thomas Carlyle) المؤلف الانكليزي المعروف رسالته المشهورة عن حياة النبي وهي رسالة أعطته قيمته الحقيقية الشريفة . هذا مصدر واحد - الميل الديني .

أما المصدر الثاني فهو ، في نظري ، ما يتعلق بالدافع السيامي أو اذا أردنا القول صراحة بالاستعمار . عندما وجد الأوربيون أنفسهم - في القرنين الماضيين - في الأقطار الآسيوية ومن وجهة نظرنا هنا في الأقطار الاسلامية كالهند وأفريقيا الشمالية ، اكتشفوا أنهم بحاجة الى أشخاص يعرفون اللغات والأديان والتاريخ والثقافة في الأقطار هذه . فأسسوا المدارس والمعاهد المهتمة بهذه الميادين .

الولايات المتحدة

أما الولايات المتحدة فبدأت في هذه الأمور متأخرة جداً بالنسبة الى أوروبا فنجد مثلاً في سنة ألف وثمان مائة وسبعين لم يكن في جامعات أمريكا إلا أستاذ واحد قديم دروساً في اللغة العربية - وهو حقيقة أستاذ في اللغة السكسكريتية - ولقد كانت كل الدراسات العربية القليلة في أمريكا تابعة للدراسات الدينية وعلم اللغات السامية . أما اللغة التركية واللغة الفارسية فلا تُدرّسان مطلقاً . وخلاصة القول هي ان المنظمات التربوية في أمريكا لم تعط دروساً في العربية حياً بها أو لأنها مفتاح لكنوز الآداب والثقافات العربية والاسلامية ذات الأهمية العظيمة في كل وجه من الوجوه ولكنها أعطت شيئاً

من هذه الدروس على نطاق ضيق جداً بدافع الميل الديني فقط دون أي دافع سياسي إذ لم يكن لأمریکا علاقات سياسية بالشرق الاسلامي .

ونرى انه ، قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يكن غير عشر من جامعات أمريكا قدمت دروساً في العربية ما عدا معاهد اللاهوت . وهنا جدير بالذكر ان عدد الجامعات والكليات العليا في أمريكا يزيد عن الألف تقريباً . وفوق ذلك يلزمنا أن نقول إن هذه الدراسات على قلتها كانت مقصورة على طالب الدكتوراه دون أن يتاح للطلاب الجامعي الوقوف على هذه الدراسات ، حتى ولو اتفق لأحدهم أن رغب في ذلك . والمغزى من كل ذلك هو إظهار قلة التقدم في هذه الدراسات قبل الحرب العالمية الثانية .

فاذا جاءت الحرب ووجدت الولايات المتحدة نفسها مسؤولة عن قيادة حرب وقعت في كل أقطار العالم ومنها ولا أقلها أهمية الأقطار الاسلامية والعربية ، ووجد المسؤولين من العسكريين والاساسة نقصاً فادحاً في الولايات المتحدة لتفهم شعوب هذه المناطق وللعمل معهم ولتغطية هذا النقص أنشئت خلال الحرب عدة برامج دراسية في العربية وحتى في التركية والفارسية . من ذلك الحين استيقظت عقلية رؤساء الجامعات والحكومة ومدراء الشركات الكبيرة التي تشتغل في الشرق الأوسط الى الحاجة الماسة الى الدراسات الاسلامية .

فهذه الأمور كلها كانت تشكل تحدياً فلننظر الى الجواب . كانت أول الجامعات التي استجابت لهذا التحدي جامعة برنستون التي بدأت في هذا الميدان ، كما يعرف الكثير من القراء ، بفضل جهود الدكتور فيليب حتي الذي كان يبحث دائماً على التدريس في هذا الميدان المجيد .

وقد بدأت جامعة برنستون ببرنامجها الجديد المنظم هذا والمفتوح للجامعيين في قسم اللغات والآداب الشرقية في سنة ١٩٤٧ . وجدير بالذكر ان هذا القسم

كان في ماضى قسماً مختصاً بالدروس السامية واللغوية فقط . أما الجامعة الثانية التي فتحت أبوابها على نطاق واسع للدراسات الإسلامية ، فهي جامعة ميشيغن (Michigan) وفي السنة الماضية أسست جامعة هارفرد (Harvard) مركزاً للدراسات عن الشرق الأوسط . وقدمت جامعة كولومبيا (Columbia) منذ عدة سنوات دروساً وجهت جل اهتمامها الى العلاقات الدولية في الشرق الأوسط . وأخيراً نذكر معهد الدراسات الدولية العليا التابع لجامعة جنتز هيكينز (Johns Hopkins) ويقوم هذا المعهد في العاصمة أي مدينة واشنطن مع ان مركز الجامعة هو في مدينة بولتيمور (Baltimore) . هناك برامج أخرى على نطاق أضيق ولكن البرامج المذكورة هذه هي البرامج الرئيسية . وفي المجموع يبلغ عدد الجامعات والكليات العليا التي قدمت دروساً في اللغة العربية بحسب تقرير مؤرخ في سنة ١٩٦٢ هو خمسة عشر وبموجب نفس التقرير توجد ست جامعات تقدم اللغة الفارسية وخمس جامعات تُدرّس التركية وأربع اللغة الأندونيسية وجامعة واحدة تقدم الأوردية . وهنا علينا أن نقول إن أقل من ثلث الأساتذة الذين يدرسون هذه الدروس هم أميركان أصليون ، وهذه الحالة منهومة بسهولة فإن سببها عدم وجود دراسات في هذه الميادين في ماضى .

مثال لمنهاج الدراسة

أما تفاصيل منهاج الطالب في الجامعات التي تقدم الدراسات العربية والإسلامية بشكل منظم شامل فلن أنعرض لكل الجامعات ولكنني سأحاول إعطاءكم على كل حال فكرة سريعة عما يجابه الطالب الجامعي في جامعة يرنستون - وأختار جامعة يرنستون لأنني أعرف برنامجها بصورة أفضل ولأنها الأقدم - أعني طبعاً الطالب الذي اختار التخصص في شؤون الشرق الأوسط وتاريخه . فهذا الطالب يجب عليه أن يدرس على الأقل سنتين لغة إسلامية (وأكثر من ثلاثة أرباع

الطلاب يختارون - وهم على صواب - العربية كلغتهم) . وبالإضافة الى اللغة يجب على الطالب أن يأخذ في كل نصف سنة مدرسية درسين في ثقافة الاسلام وتأريخه - إما قديماً أو حديثاً - أو في ما يتعلق بالشرق ولو بطريقة غير مباشرة . ومن الدروس المنتشرة امامه نذكر ما يلي : مقدمة للثقافة الاسلامية ، عيون الأدب الاسلامي ، الشرق الأدنى قبل الاسكندر ، الشرق الأدنى من الاسكندر حتى الرسول العربي ، نشوء الاسلام ، عالم الاسلام من عهد العباسيين حتى عهد العثمانيين ، الشرق الأدنى في العصور الحديثة ، العلاقات الاجتماعية المعاصرة في الشرق الأدنى ، العلاقات الاقتصادية في الشرق الأدنى ، السياسة في الشرق الأدنى ، الشريعة الاسلامية . وطبعاً يجد الطالب عدة صفوف أخرى . تتجه الى الشرق العربي والاسلامي في طريقة غير مباشرة كصفوف قيسمي الفلسفة والعلاقات الدولية وما الى ذلك ^(١) .

أما طالب الدكتوراه فستطلب منه لغتان اسلاميتان ، إحداهما كلفة أولى والأخرى كلفة ثانية ويدرس الطالب فوق اللغة نفس المواد تقريباً ولكن على مستوى أعلى . وتستمر الدراسة الاختصاصية في أكثر الأوقات حوالي أربع سنوات قبل نيله شهادة الدكتوراه . وعلى وجه العموم لا يأذن أساتذة القسم لطالب الدكتوراه أن يفلت من بين أيديهم قبل أن يقضي سنة على الأقل في ربوع الشرق لأنهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن الاختبار العملي في الأقطار الاسلامية يوفر له تقديراً للثقافة والأخلاق الاسلامية لا يجدها في المحاضرات ويطون الكتب .

(١) لا نعتقد ان يستد القارئ ان الأساتذة في برنتون يظنون ان منهاج جامعتهم أصبح كاملاً . فهو ما زال يحتاج الى دروس وأسائذة في مواضيع الفن الإسلامي ، والفلسفة الإسلامية ، والإسلام كدين بذاته . وتجاوب الجامعة صعبة في إيجاد مؤلاء الأساتذة .

وقد يكون هنا مجال للإشارة الى بعض التسهيلات التي تملكها جامعة كجامعة برنستون - بالإضافة الى الأساتذة - . من هذه التسهيلات أذكر أولاً مطبعة جامعة برنستون التي لديها لينوتيب عربي والتي نشرت عدة كتب في العربية بما فيها مذكرات أسامة بن منقذ الفارس المنوار والأديب الضليع الذي كان يقيم بقلمة شيزر بالقرب من حماة في عهد الصليبيين . وثانياً مجموعة نفيسة جداً للمخطوطات العربية وعددها يزيد على عشرة آلاف مخطوط . وثالثاً فان مكتبة الجامعة قد رصدت بعض المال لشراء الكتب المطبوعة في اللغات الإسلامية والعربية لا أعرف عددها ، ولو على سبيل التقريب ، ولكن أعرف أن المكتبة تنفق خمسة آلاف دولار سنوياً على الكتب المتعلقة بالإسلام والعالم الإسلامي . يحق لكم أيها القراء الكرام أن تسألوني عن أغراض هذا التعليم وأهدافه . سأقول ان الغرض من تدريس الطالب الجامعي هو توسيع ثقافته العامة وتغذية روحه فقط . ويختار الطالب التخصص في هذا الميدان الشريف كما يختار التخصص - مثلاً - في الأدب الانكليزي أو الموسيقى ، أو أقول في كلمة أخرى بجائز قسم من ال liberal education كما نسميها أي التربية الرحبة أو الحرة ، لا غاية منها في التعليم الحرفي .

وأما هدف التعليم بالنسبة لطالب الدكتوراه فيقسم الى قسمين . نصف الطلاب - في الغالب - يريدون هذه الدروس لأنهم يريدون أن يصبحوا أساتذة في الجامعات ليدرسوا تاريخ العرب ويبحثوا في تخصصهم الدقيق ، والنصف الثاني يريدون الحياة العملية في الشرق إما كوظني الحكومة في وزارة الخارجية أو في دائرة حكومية وإما في الصناعة والتجارة مع شركات تشتغل في الشرق كشركات الزيت أو شركات الطيران .

أما عدد التلامذة في جامعة برنستون من الجامعيين وطلاب الدكتوراه فهو

يقارب خمسة عشر طالباً جديداً سنوياً ولقد بلغ مجموع الطلاب في صفوف
برنستون المختلفة السالفة الذكر ما يزيد عن المائتين ، وكثيرون من هذا العدد
هم طلاب في أقسام أخرى يحبون توسيع ثقافتهم العامة . فهذه صورة موجزة
عن إحدى الجامعات المتخصصة في الشرق الإسلامي .

الأبحاث

لا أحاول أن أعدد جميع الأبحاث التي قدمها الأمريكيون في الميادين
الإسلامية وبكثرتي أن أقول بأنه على رغم تأخرهم في دخول الميدان فالمستشرقون
الأمريكيون قد تقدموا في عملهم تقدماً لا بأس به وساهموا مساهمةً غير قابلة
في ميدانهم المختار . ولكني أذكر هنا أسماء أم المستشرقين واختصاصاتهم^(١) :
وقد كتب وليم پوپر William Popper من جامعة كاليفورنيا California
أبحاثاً مهمة جداً في درس عماليك مصر وفي نشره كتب ابن تفردي بردي .
وسيطل كتاب جورج سارتن George Sarton من جامعة هارفرد واسم كتابه
Introduction to the History of Science في ثلاثة أجزاء كبيرة . مصدراً
أساسياً في العلم الطبيعي الإسلامي (وغير الإسلامي) في الأجيال القادمة وأفاد
أرثر جيفريز Arthur Jeffreys من جامعة كليفا كل طالب بدراساته عن
نصوص القرآن القديمة وقراءته . ونعتبر كل من أبحاث ا . ر . نكل
A. R. Nykl في الأدب الأندلسي ، والترجمة الجديدة لمقدمة ابن خلدون بقلم
فرتس روزنثال Franz Rosenthal من جامعة يابل Yale وأبحاث نفس العلامة
في تاريخ علم التاريخ الإسلامي ، ودروس ريتشارد آتينكهوزن Richard

(١) هنا أستني العلماء الكبار كالأساتذة فيليب حتي ونبية عبود ومجيد خضوري وشارل
عيسوي ونبية فارس فليس هؤلاء بمستشرقين بالمعنى المروق .

Ettinghausen من متحف الفن فريير Freer في الفن الاسلامي ، ودروس
 غوستاف فون كرونتشوم Gustave von Grunebaum من جامعة شيكاغو
 Chicago في العلاقات الثقافية وفي الشعر العربي ، ودروس والتر فيشل
 Walter Fischel من جامعة كاليفورنيا عن ابن خلدون ، ونشر (منبهج السالك)
 لأبي جيان بقلم سيدني غلازر Sidney Glazer - أقول كلها تعتبر أبحاثاً
 قيمة ومن الدرجة الأولى . ويمكننا الاستمرار طويلاً في التعداد ولكن القائمة
 المختصرة أعلاه تعطي فكرة سريعة عن مدى الأبحاث الاسلامية في الولايات المتحدة .

منظمات أخرى

لا أستطيع ترك مسألة المنظمات المهتمة بالشعوب الاسلامية وثقافتها بدون
 إشارة قصيرة لبعض المنظمات غير الجامعية وبعض أوجه النشاط غير الدرامي . فمن
 أمثال عديدة أختار أربعة : أولاً علي - أن أذكر مجلس الجمعيات العلمية الأمريكية ،
 وهذا المجلس - كما يظهر من اسمه - أعضاء هم كل الجمعيات العلمية في الانسانيات .
 فيقدم هذا المجلس عدة خدمات لبلدان العالم في أمريكا ومنها أنه أسس سلسلة
 ترجمات لأهم الكتب العربية الحديثة من أنواع مختلفة وقد صدر من هذه السلسلة
 حتى الآن عشرة كتب منها : (مستقبل الثقافة في مصر) لطلح حسين و (العدالة
 الاجتماعية في الإسلام) للسيد قطب و (من هنا نبدأ) لخالد محمد خالد و (الحركات
 الاستقلالية في المغرب العربي) لعلال الفاسي و (عبقرية العرب في العلم والفلسفة)
 لعمر فروخ ، ومختارات من (مذكرات) المقفور له الأستاذ محمد كرد علي وغيرها
 من الكتب . فلا طريقة أفضل من الترجمة لتفهم الفئات المتقنة في أمريكا
 حالة الأدب العربي ، وأحلام العرب وأفكارهم .

ثانياً يلزمي أن أذكر المؤسسات الانسانية كمؤسسة فورد Ford ومؤسسة

رؤس كنفلر Rockefeller ومؤسسة كرنيج Carnegie . ومن المعروف أن كل واحدة من هذه المؤسسات وغيرها مما هو أقل شهرة قد بنيت على وقف خيرى لرجل كبير في الصناعة الأمريكية . ولا تقوم هذه المؤسسات مباشرة بأية دراسات ، ولكنها تساعد المنظمات والأفراد الذين يقومون بمشروعات مختلفة ، منها الدراسات الإسلامية . وأظن أنه لا يوجد أية جامعة تقوم بمثل هذه الدراسات بدون مساعدة هذه المؤسسات . وأنا مثلاً مدين لمؤسسة فورد لأنها أتاحها الفرصة لي في هذا العام للدراسة هنا في دمشق .

ثالثاً ازداد على نطاق واسع عقد المؤتمرات حول القضايا الحديثة والقديمة في الشرق . ويشترك ببعضها طلاب وبالبعض الآخر رجال السياسة من عرب وأميركان ورجال التجارة والصناعة والعلم الذين يهتمون بالشرق الإسلامي ، ولهذا المؤتمرات - حيث تلتقي الآراء والأفكار المختلفة - أهمية غير قليلة في توسيع آفاق الرأي العام عن حقائق شعوب الشرق . وربما كان أهم هذه المؤتمرات مؤتمر الثقافة الإسلامية المنظم تحت إشراف جامعة برنستون ومكتبة المجلس النيابي أي ال Congress عام ١٩٥٣ . اشترك فيه علماء من جميع الأقطار الإسلامية - ما عدا أفريقيا الشمالية - وكان بينهم الشيخ مصطفى الزرقا ، والأستاذ شفيق جبري من سورية ، وعلماء من أمريكا . ولقد دام هذا المؤتمر مدة عشرة أيام ، وهو من أفضل المناسبات في سبيل التعاون الفكري بين أمريكا والعالم الإسلامي .

رابعاً وأخيراً لا أنسى المتاحف العديدة التي تحفظ مجموعات عظيمة الشأن من الإنتاج الفني الإسلامي . وليس من الضروري أن أعدد أسماء هذه المتاحف وبكفني أن أذكر متحف فريير Freer في مدينة واشنطن الذي يحفظ عدداً كبيراً من الصور المصغرة لروائع الفن الفارسي وغيرها من روائع الفن الإسلامي .

المستقبل

الى هنا حاولت أن أقدم وصفاً مختصراً عن الدراسات المفتوحة للطلاب الامريكي ولكتنا لا بد لنا أن نلقي نظرة على المستقبل . رأينا بداية لا بأس بها للدراسات الاسلامية ، أساسها العربية ومادتها الثانوية الفارسية والتركية . وهنا بالمناسبة نستطيع أن نلاحظ عدم وجود دراسات في اللغة الأوردية وهي من أهم اللغات الاسلامية من حيث عدد الناطقين بها ولكن تحقيق ذلك يحتاج الى مال كثير . ومن ناحية ثانية يجابه توسيع الدراسات الاسلامية في أمريكا مشكلة ثانية ، وهي مشكلة ازدياد سكان أمريكا بشكل لا يمكن تصديقه وينجم عن ذلك ازدياد مقابل في عدد طلاب المدارس والجامعات . ويقدر أن يرتفع عدد الطلاب في جامعات أمريكا البالغ المليونين والنصف حالياً الى خمسة ملايين بعد عشرين سنة وتؤثر هذه المشكلة طبعاً في كل قسم من أقسام التربية وخاصة في جميع أقسام الدراسات الشرقية . ولماذا ؟ لأنه في الغالب لا يريد المستشرقون عدداً كبيراً من الطلاب . فليس هذا الميدان بهين ، وعدد المناصب المفتوحة للاختصاصيين فيه غير كبير ، ولذلك فالنوع أفضل بكثير عند المستشرقين من الكمية . أعني أن الدراسات الشرقية غالبة وفي نفس الوقت تأخذ قليلاً من الطلاب - أي لن تساعد على حل مشكلة ازدياد هائل بعدد الطلاب . فإذا على المستشرقين أن يجاهدوا كي يفهموا ادارات الجامعات - وهي أمام إقبال شديد من الطلبة - أهمية الدراسات العربية والاسلامية وقيمتها حتى تصرف المصاريف اللازمة لها .

ومع ذلك كله فاني متفائل بمستقبل الدراسات العربية في أمريكا . فقد صغر العالم خلال السنين الأخيرة الى درجة اضطر معها الناس في جميع أنحاء هذا

العالم الصغير لتحقيق التفاهم المتبادل . ولذلك أتنبأ أن يكون الجيل الجديد خمسة أو ستة مراكز مهمة للدراسات الإسلامية بالإضافة الى جامعات كثيرة فيها بضعة صفوف تمهيدية تقدم صورة عامة دقيقة عن الشرق . وأرى شخصياً توسيع الدروس في الجامعات غير المتخصصة أهم الواجبات أمام الاستشراف الأمريكي في المستقبل القريب . واذا صحّ قلّي هذا فيكون لهذه الجامعات تأثير عظيم الشأن في تنوير الرأي العام الأمريكي عن حقائق ثقافة أصبحت ثقافة مجاورة .

*
**

استفدت استفادة خاصة في تحضير هذه المقالة من المؤلفات التالية :

١ - ابوشادي ، احمد زكي « فلسفة النحو » ، (كتاب العام) . واشنطن :

صوت امريكا ، ١٩٥٥

٢ - Dodds, Harold W. خطاب الافتتاح السنوي لجامعة برنتون

١٨ ايلول ، ١٩٥٥

٣ - Fessler, Doris. « Asian Studies in the United States »

International Press Service (mimeographed), 1952

٤ - Hitti, Philip K. « Arabic and Islamic Studies in the United

States, » Pakistan Quarterly, Vol. IV, No, 3, pp. 11-12

Smith, Wilfred Cantwell. « The Place of Oriental Studies

in a University »

في مدينة تورنتو في كندا ، ٢٠ آذار ، ١٩٥٥ .

الكتور بابلي وايندر

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٦ -

الحالة العلمية في الموصل :

كانت ديار الموصل (حدياب) من ديار العلم العربية في العراق من قبل الميلاد ، فقد كان سكانها القدماء من الارميين العرب المحتازين بثقافتهم وعلمهم ، وكانت لغتهم الارمية من أرقى اللغات وأدقها نحواً وصرفاً وبياناً وأدباً ، ولما ظهرت المسيحية اعتنق أهلها هذه الديانة ، وعرفوا منذ ذلك الحين بالسريان تمييزاً لهم عن الارميين الوثنيين^(١) ، فقد ازدهرت الحضارة وارتقى العلم في الديار الموصلية بعد ظهور المسيح منذ القرن الثاني للميلاد الى ظهور الاسلام بل وبعده بقرنين ، وقد تغلغلت الآداب اليونانية فيها وامتزجت بالثقافة الارمية فتكونت ثقافة شرقية غربية مختارة ، وقد ترجم العلماء الارميون كثيراً من الكتب اليونانية الى لغتهم وبخاصة كتب الفلسفة وعلوم الأوائل ، وقد امتد نفوذ اللغة الارمية بثقافتها الواسعة الى العراق كله ، والى سورية ، وفلسطين ، ومصر وإيران . وقد كانت مدن (حران) و (الرها) و (نصيبين) و (اربل) وسائر ديار الموصل الكبرى من المدن التي ازدهرت فيها اللغة الارمية والآداب الارمية ، كما ابرقت فيها الفلسفة والعلوم وكثرت فيها المدارس والمعاهد والمكتبات ،

(١) راجع تاريخ الموصل للقس سليمان الصائغ ١٣ / ٢ .

واخذ الناس من بلاد فارس والشام ومصر بقصدون هذه المعاهد للتحقق والاطلاع على علوم الأوائل^(١) .

وبما هو جدير بالذكر انه قد قام في ذي بار الموصل وإلى جوانبها عدة أديرة ومدارس نبغ فيها جمهرة كثيرة من الفلاسفة والحكام والعلماء والمصنفين كمدرسة (بلد) ومدرسة (الرستاق) في مرگما [مرج الموصل] ومدرسة (بيت بغاش) ومدرسة (بيت عبناتا) وغيرها . سيقول القس الصائغ مؤرخ الموصل : « ان باباي الجبيلي الذي عاش في أوائل القرن الثامن للميلاد أسس في حدياب - أي بلاد الموصل - أربعاً وعشرين مدرسة بنوّه توما المرجي بذكرها واحدة فواحدة ، وينقل ان باباي أسس فيها ستين مدرسة في المدن والقرى الكبيرة ، وأقام لادارتها ستين نابغة من المبرزين في العلوم وجعل لها أوقافاً راقية وسنّها لها القوانين والنظمات العجيبة فسمى المؤرخون الارمنيون ذلك العصر عصر الأستاذ باباي الجبيلي ، ومن هذا يتضح أن بلاد الموصل كانت قبل الفتح الاسلامي راقية علمياً وعمراً^(٢) » . ومن مشاهير العلماء والفلاسفة والمؤرخين الذين حفظ الدهر لنا اسماءهم من أهل حدياب :

الشاعر الفيلسوف الكبير نرمني (٥٠٢ م) وقد أسس عدة مدارس وقضى عمره في التدريس والتصنيف ونظم الشعر وقد بقي من آثاره نحو ٤٠٠ قصيدة مطولة في تفسير كتب الدين وفي علم الأهلآيات والعقائد الدينية . والكاتب الأديب النحوي ابوهم التنفري الذي كان في أواسط المئة السادسة للميلاد والذي خلف آثاراً ورسائل في الأدب واللغة . والفقيه المفسر حنانا الحديابي (٦١٠ -) وقد خلف آثاراً كثيرة في علوم

(١) راجع كتاب مدرسة نصيبين لأدي شيروبيروت ١٩٠٥ .

(٢) راجع تاريخ الموصل لقس الصائغ ١٠٦ / ٩٠ .

الدين والتشريع وتفسير الكتب السماوية ، والعقائد الإلهية ، وقد خاضت أكثر آثاره هذه ولم يبق إلا عدد قليل من قصائده وتفسيره .

والفيلسوف النحوي يشوع ياب الجدلي البطريك الذي عاش في أوائل المئة السابعة للميلاد والذي يروي عنه المؤرخون الارمنيون انه نشرف بمواجهة النبي العربي الكريم (ﷺ) فأنعم عليه بكتاب توصية بنصاري بلاده ، كما أنه حظي برؤية عمر بن الخطاب فأحسن اليه وأكرمه وقد خلف مصنفات معتبرة منها (شرح الزبور) وكتب عديدة في التاريخ والآداب وقد ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا نصف محفوظ في المتحف البريطانية .

والشاعر اسحق النينوي الشهير الذي عاش في أواخر المئة السابعة للميلاد وقد خلف مؤلفات كثيرة في النحو والأدب والتفسير والشعر ، 'نقل كثير منها الى العربية والحشية واليونانية واللاتينية والاطالية والانكليزية وقد طبع ديوانه . والكاتب الأديب يشوع ياب الحديابي (- ٦٦٠) وله آثار جليلة في اللغة والأدب ومن أجلها رسائله الأدبية البليغة التي طبعت قبل سنوات .

وقد كان لمؤلاء العلماء والكتاب والشعراء والفلاسفة أثر كبير في تثقيف سكان هانيك الديار ، وفي رفع المستوى الثقافي في القطر الموصل وجعله مركزاً من مراكز الاشعاع الثقافي في المشرق قبل الإسلام وبعده .

أما مدينة الموصل نفسها فقد كانت مدينة صغيرة قبل الإسلام تدعى بالارمية (حصن عبرايا) ، وقد كان فيها بعض الأديار بأوي إليها رهبان من أهل العلم والفضيلة والدين مثل سائر الأديرة التي كانت منتشرة في هانيك الديار ، ولما فتحها العرب في سنة ١٠ للهجرة سكنها بعض القبائل العربية فانتشرت فيها اللغة العربية وتزوج العرب من سكانها الأصليين الذين أخذوا يعتنقون الدين الإسلامي فقويت الروابط الأخوية بين الارميين وبين العرب الفاتحين ، وكان من أبرز القبائل العربية التي سكنتها بنو تغلب وكثير من بني طي وغيرهم من عرب اليمن ،

وعرب ربيعة ، ونبغ منهم في صدر الإسلام والعصر الأموي جمهرة من الأفاضل والشعراء وفي طلبعتهم الأعشى التغلبي ، والنعمان بن معاوية الربيعي النصراني ، وغيرهما من شعراء الدولة الأموية . ولما استخلف بنو العباس واتخذوا العراق مقراً لهم ازدهرت الحركة العلمية في العراق عامة وفي الموصل والبصرة وبغداد والكوفة خاصة .

وغدت الموصل في العصر العباسي من مدن العلم الكبرى التي ازدهرت فيها الحركة الدينية والأدبية واللغوية وتخرج من جامعتها الأعظم وحلقاتها العلمية التي كانت في قصر الإمارة (وفي قصور الوجوه وكبار القادة والأمراء) جمهرة من كبار رجال الدين والعربية والأدب والشعر نذكر منهم :

الإمام الجليل بكار بن مفرج (- ١٦٣) وهو الفقيه البارع الذي تولى قضاء الموصل فترة طويلة وكان مشهوداً له بالفضل والنبيل ، وله آثار جليلة ^(١) .

ومنهم المعافي بن عمران الأزدي (- ١٨٥) أبو مسعود الموصلية الإمام الجليل المجتهد الذي كان يلقب بشيخ الجزيرة والديار الموصلية في عصره . وكان أحد الثقات وكبار حفاظ الحديث النبوي ومصنفيه وقد خلف للمكتبة العربية آثاراً جليلة تعتبر من أقدم ما صنف في الخزانة العربية من كتب السنن والزهد والأدب والتاريخ ^(٢) . وقد خلف المعافي ولداً نبغ في الموصل وخلف أباه وكان من جلة شيوخ هذه المدينة وهو الشيخ عبد الكبير بن المعافي ومات سنة ٢٢١ هـ ^(٣) . ومنهم الإمام الزاهد سابق بن عبد الله الموصلية المتوفى في القرن الثاني للهجرة ، وكان من كبار الأئمة زهداً وعلم وإصلاحاً ، وكانت له على الموصل وأهلها

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٢٥/٦ .

(٢) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٦/١ وتاريخ ابن الأثير ٦٧/٦ .

(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦٥٥/٦ .

أيادٍ في تهذيبهم وتوجيههم الى سبل الحق ودعوته إيام بالحسكة والموعظة الحسنة^(١) .
ومنهم الإمام الفقيه صفوان بن عيسى الموصلّي (- ٢٠٠) وكان من كبار
الفقهاء وأهل العلم بالحديث والسنن والأخبار وكانت له بجامع الموصل الأعظم
حلقة كبرى يدرس فيها الفقه وبعض الناس ويقروهم الآدب والعريّة والدين
وهو من أقدم من عرف في الموصل من المؤدبين^(٢) .

ومنهم الإمام الماعاني بن داود الموصلّي (- ٢٠٠) وكان من رجال الفقه
والحديث وسائر علوم الدين ، كما كان من الزهاد الصالحين ، وكانت له حلقة
في جامع الموصل وقد تخرج به جمهرة من أهل الموصل وحلب^(٣) .

ومنهم المحدث المؤرخ الفقيه أبو يحيى ابراهيم بن موسى الزيات (- ٢٠٥)
خرج من بلاده في سبيل العلم فجلس طويلاً الى المحدث المؤرخ التابعي الجليل
هشام بن عمرو عالم المدينة وكبير محدثيها ، وأفاد منه ثم رجع الى الموصل
ينشر فيها العلم والدين^(٤) .

ومنهم المحدث الإمام الفضل بن عبد الحميد الموصلّي (- ٢٠٩) وكان من
كبار حفاظ الحديث ورواته الثقات ، كما كان من أصحاب الأخلاق النبيلة ،
وكان يعلم ولا يأخذ على العلم أجراً وقد أفادت الموصل منه فوائد جليلة^(٥) .
ومنهم الخليل بن أبي رافع جعفر بن محمد بن أبي يزيد المزني الموصلّي
(- ٢١٢) وكان من كبار علماء الموصل وعبادها وأفاضلها ، وكذلك كان
أبوه أبو رافع من العلماء الذين كان يشار اليهم بالبنان ، وبنو المزني هؤلاء من
العلاء الأجلاء الذين أثروا آثاراً علمية واضحة في الموصل وأهلها في القرنين
الثالث والرابع^(٥) .

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ٧٧ .

(٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٣١ .

(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٩ .

(٤) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٥٩ .

(٥) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٢ .

ومنهم الامام الجليل أبو هاشم محمد بن علي بن أبي خدّاش الموصلّي (٢٢٢ -)
 وكان من العلماء الفحول الذين تخرجوا بالمعاني بن عمران وكان يقربه ويعتمد
 على فهمه وقد أفاد الناس فوائد كثيرة من أبي هاشم^(١) .

ومنهم الامام المحدث الحافظ عبد الله بن يعقوب بن اسحق العطار النجفي
 (٢٢٥ -) وكان من أهل الحديث الكثيرين ، وكان عند الحكماء من المعدّلين^(٢) .

وغير هؤلاء كثير من أئمة الدين الذين لو رحنا نعددهم لطال بنا التعداد .

أما أئمة البيان والشعر فنذكر في طلبتهم الأديبين الموسيقيين المشهورين
 إبراهيم بن ماهان المعروف بالنديم الموصلّي ، وابنه اسحق بن إبراهيم الموصلّي ،
 وكان إبراهيم من أهل الكوفة إلا أنه سكن الموصل طويلاً وأفاد من رجالها
 علماً وفضلاً ، ونبغ في الأدب والموسيقى حتى صار أوجد زمانه في هذين الفنون .
 وبخاصة في الموسيقى والغناء ، فإنه اخترع فيها ألحاناً وأصواتاً ، ولما تسامع أهل
 بغداد بصيته دعوه الى مدينتهم فقدمها ورحب به أهلها ، وأذن له الخلفاء أن
 يغني بحضرتهم ، وأول من سمعه منهم المهديّ العباسي وكان الرشيد كثير العطف
 عليه الى أن مات في سنة ١٨٨ هـ فلما مات خلفه ابنه أبو محمد اسحق وكان من
 عجائب الدنيا أدباً وفضلاً ورواية ، عارفاً باللغة والتاريخ وعلوم الدين والكلام
 والفقه ، تفرد بمثل أبيه في صناعة الغناء وقد أحبه الرشيد وقربه ، ثم منبت مكانه
 عند الأمين والمأمون والواثق ، وكانت له مؤلفات أجملها كتاب أغانيه وأخبارها ،
 وكتاب أخبار غزاة الميلاد المغنية ، وكتاب أغاني معبد ، وكتاب أخبار حماد
 عمرد ، وكتاب أخبار ذي الرمة ، وكتاب مواريث الحكماء ، وكتاب
 جواهر الحكماء وكتاب الرقص والزفن ، وكتاب الندماء ، وكتاب النغم

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٦١ .
 (٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٧ / ١٤٥ .

، وكتاب قيان الحجاز ، وكتاب النوادر المختيرة وغيرها من الكتب التي عدّها ابن النديم وابن خلكان وياقوت في ترجمته^(١) .
ومن أئمة الأدب والفن الموصليين ، الذين كان لهم أثر كبير في هذه المدينة الشاعر الأكبر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الذي استوطنها وقضى شطراً من عمره فيها ، الى جانب الأمير محمد بن حميد الطوسي - وقد طبقت شهرة أبي تمام الآفاق وأفاد العلماء والباحثون في درس أدبه وعلمه وشعره بما لا مجال له هنا .
وقد كان حميد الطوسي الطاهري القائد الأمير الفاضل حلفاء أدبية في الموصل وكذلك كان ابنه أبو نهشل الذي اعتنى بأبي تمام حين مات وبني على قبره قبة عالية خارج باب الميدان على حافة الخندق . وما يزال قبره معروفاً ومزوراً الى أيامنا هذه^(٢) .

وأما في علوم الأوائل من طب وفلسفة وهندسة وفلك ورياضيات فقد ظلت الموصل بعد الاسلام محافظة على المستوى الذي كانت عليه قبل الاسلام ، وظل كثير من مدارسها القديمة الملحقة بكنائسها وأديارها يحفل بالعلماء والأطباء والفلاسفة والمناطقة ، وفي طليعة هؤلاء :

الفيلسوف يشوع بن نون (- ٨٢٧ م ، ٥٢١١ هـ) وكان من رجال دير مار ايليا الحيري المعروف بدير صعيد ، تلقى العلم فيه ونبع في علوم الدين المسيحي ، وفي الفلسفة وفي الرياضيات وفي الموسيقى ، وأخذ قدره يسمو حتى بلغ رتبة البطركية . وقد خلف عدة آثار في الدين وأحوال الكنائس وتواريخها ، وكتباً في الموسيقى والألحان والشعر^(٣) .

(١) راجع فهرست لابن النديم ١ / ١٤١ ، وفهرست كتاب الأغاني ، ووفيات ابن خلكان .

(٢) حدثني الكاتب الموصلي البارع السيد ووفائيل بطي ان الحكومة العراقية كانت قد نقلت رفات أبي تمام عقيب احتلال البريطانيين للموصل الى حديقة البلدية حيث بنت له بناء فخماً تكريماً للشاعر وعبقريته .

(٣) تاريخ الموصل للفن الصائغ ٢ / ٤٦ .

والطبيب الحكيم سابور بن سهل الخوزي (٢٥٥ -) وكان من كبار
بلغ في الطب مكانة سامية حتى سمي رئيساً لمستشفى جنديسابور في خوزستان
ونسب إليه . وقد خلف للخزانة العربية عدة كتب في الطب والصيالة أجراها كتاب
الأقرباذين الخوزي ، وهو الكتاب المعول عليه في البيمارستانات ودكاكين
الصيدالة والعقارين^(١) وكتاب الرد على حنين بن اسحق وكتاب القول في النوم
واليقظة ، وكتاب موقى الأطعمة ومضارها وغير ذلك^(٢) .

والطبيب العالم بوحنا (يحيى) بن ماسويه الخوزي (٢٤٣ -) وكان طبيباً
حاذقاً بارعاً في فنه عالماً باللغات اليونانية والسكندانية والفارسية والعربية . وكان له
فضل كبير على أهل الموصل ولما ذاع صيته استدعاه الرشيد إلى بغداد وعهد إليه
بالقيام على ترجمة ما أراد ترجمته من كتب القدماء في الطب والفلسفة مما استحصله
من كتب اليونان والروم في أنقرة وعمورية وقد رتب له الرشيد كتاباً وأمناء
حاذقين بالصناعة يقومون بخدمته . ولما مات الرشيد واستخلف المأمون زادت
مكانته وجعله الرئيس على دار الحكمة والترجمة . وكان مجلسه في بغداد من أعمر
مجالسها العلمية والفلسفية ، وكان الخلفاء منذ عهد الرشيد إلى أن مات لا يتناولون
شيئاً من الأدوية والعلاجات إلا بمشورته وبحضرته وقد خلف للخزانة العربية
آثاراً جد قيمة من أجراها (كتاب الحمى) و (كتاب الجراحة) وقد طبعا ،
وله بعض المخطوطات العربية والعبرية والآرامية في الطب مثل (كتاب نوادر
الطب) و (الأدوية المسهلة) و (كتاب الكمال والتام) وغيرها من النفائس^(٣) .
والشاعر الحكيم عمانوئيل برشهادي (٨٣٢٠ - ٩٨٠ م) وكان من رجال

(١) مختصر الدول لابن العبري ص ٢٥٥ .

(٢) طبقات الحكماء ١ / ١٦١ .

(٣) راجع بروكلمان G. A. L. التذييل ١ / ١٤٤ ومختصر الدول لابن العبري ٢٤٦

وطبقات الحكماء لابن أبي أصيبعة ، والفهرست لابن التديم .

ديرمار جبرائيل بظاهر الموصل وكان شاعراً مجيداً بالارمية وديوانه (الاكساميرون) أي الأيام الستة من أجل دواوين الشعر الارمي وقد بقيت بعض أجزاء من هذا الديوان في خزائن الفاتيكان ولندن وبرلين وبعض خزائن كتب أديرة الموصل . وقد نشر العلامة القرداحي في كتابه الكنز الثمين بعض آثار عمانوئيل هذا ^(١) . والأديب الكاتب يوحنا (يحيى) بن خلدون الصياري (— في أواسط القرن الرابع للهجرة والقرن العاشر للميلاد) وكان من رجال ديرة بيت صياري ، بارعاً بالأدب والعلم ونحو اللغة الأرمية ، وله نظم جيد وآثار جليلة في الآداب والتاريخ واللغات وله ديوان شعر ملوه بالحكم والأقوال الرائعة وقد نشر العلامة القرداحي بعض آثاره ^(٢) .

هؤلاء هم بعض العلماء والحكماء والفلاسفة الموصليين الذين نبغوا في الديار الموصلية ونشروا فيها العلم والحكمة والفلسفة قبل العصر الذي نبغ فيه مؤلفنا العبقري أبو الفتح بن جني الرومي الموصلي ، وهم كما ترى أئمة أعلام لم يتركوا ناحية من نواحي العلم والفلسفة والآداب والمنطق والطب والنحو والصرف وغيرها من علوم الأوائل إلا درسوها وبحثوا وصنفوا فيها ، فليس عجباً أن يكون العصر الذي نبغ فيه ابن جني عصرًا مزدهراً بحركته العلمية بارزاً بنشاطه الثقافي مجلياً في حلبة التأليف والتصنيف ، والبحث والتدريس ، فلنقف وقفة طويلة أمام ذلك العصر ، ولنعرض إلى دراسته والنهوض في جنباته لنرى الأئمة والشيوخ الذين نبغوا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ممن قد أفاد ابن جني من أديهم أو درس عليهم مشافهةً أو إجازةً أو وساطةً :

*
**

(١) راجع الكنز الثمين طبع رومة سنة ١٨٧٥ . ص ٦٨ - ٧١ .

(٢) راجع تاريخ الموصل للشيخ الصائغ ٢ / ٦٨ .

نبغ في الموصل في القرنين الثالث والرابع جبهة من كبار العلماء والشعراء والمصنفين أشرنا الى بعضهم في مقدمة هذا البحث ، وقد غدت الموصل محجة طلاب العلم في العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس بعد بغداد والبصرة والكوفة وبخاصة في عصر بني حمدان الذين كانوا يجودون على العلماء بالمعطاء الواسع ويحسنون الى كل من تصدم من الشعراء والكتاب والفلاسفة والمصنفين . وكان على رأس بني حمدان في هذا المضمار سيف الدولة ، الذي شاد الأدب والعلم دولة رفيعة الأركان في الموصل ثم في حلب ، وأبو الهيثم الأعمى العالم الذي كان لا يقل عن سيف الدولة عناية بالعلم وأهله . يقول الثعالبى : « ورزقوا - أي أدباء هذا العصر وعلماءه - ملوكاً وأمرأه من آل حمدان وبني ورفاء هم بقية العرب والمثقفون بالأدب ، والمعروفون بالجد والكرم والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل وينضل فانبعثت القرائح في الإبداع وقادروا محاسن الكلام بأبن زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا ، وأكثرهم شهرة في ذلك سيف الدولة فكان قصره بؤرة الأدباء ، ومنتهى العلماء والشعراء كالتنبي شاعر عصره الفريد ، والفارابي الفيلسوف الكبير ، والموسيقى البارع وكان ملازماً لخدمته حتى مات وهو مسافر معه الى دمشق ، ثم الاصفهاني الذي قدم له كتابه الشهير في الأدب والموسيقى والتاريخ فأعطاه سيف الدولة جائزة عليه ألف دينار واعتذر اليه . . . »^(١)

وقد جمعت الموصل في عهد هؤلاء الملوك الأكارم نخبة صالحة من كبار الأئمة أمثال السريجة الرفاء أبي الحسن بن احمد (٣٦٦ -) الشاعر العالم الموصلى الذي عاش في كنف بني حمدان في الموصل وحلب ، وكان مبدعاً في شعره وحكمته ، متفتكاً في نظمه وشره ، عطف عليه سيف الدولة وقرّبه حتى

جعله من خواص خواصه فأقام عنده ، وكان عذب الألفاظ متقناً للنشيجات بارعاً في التصوير ، وقد خلف آثاراً أدبية منها (ديوان شعره) ومنها (كتاب الحب والمحبوب والمشموم والمثروب)^(١) وكان الشاعران الأخوان الموصليان خازنا كتب سيف الدولة المعروفان بالخالدين بنابذانه ومخاصماته ويتافسانه فادعى عليها سرقة شعره وأوغر عليها صدر سيف الدولة ثم انها تمكنا من إقناع سيف الدولة بأنه هو الذي يسرق شعرهما ، فتغير عليه سيف الدولة وقطع رسمه من ديوان مجلسه ، واضطر السري أن يترك الموصل وحلب ويقصد بغداد لاجئاً ، إلى أن أدركه أجله .

ويظهر أن الخصومة بين السري الرفاء والخالدين قد تطورت فتناقل أخبارها أدباء الموصل ومؤرخوها وتفتنوا في توسيع شقة الخلاف بين الطرفين لترويج سوق الأدب واحتدام الملاحم الشعرية . والمؤرخون يزعمون أن السري الرفاء كان ينسخ ديوان شعر كشاجم الشاعر المؤلف الموصل الأديب الكبير ، ويدس فيه أشعار الخالدين ليزيد في حجمه فينفق سوقه ، ويشنع بذلك عليها فأكيداً لما يدعيه عليها من السرقات الشعرية ، وقد عقد الثعالي فصلاً في اليتيمة لسرقات الخالدين وغاراتها على شعره وشعر السري . والسري في ذلك أقوال كثيرة منها ما يقوله في قصيدة يمدح بها الأمير أبا البركات بن ناصر الدولة الحمداني ، ويتنظم إليه من الخالدين ومن سرقتها شعره :

يا أكرم الناس إلا أن يمدّ أبا	فات الكرام بآباء وآثار
... أشكو إليك خلقي غارة شهرا	سيف الشقاق على ديباج أفكاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم	لمزّاه بأنياب وأظفار
سلاّ عليه سيوف البغي مصلنة	في جحفل من صنيع الظلم جرار

(١) راجع ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان .

... وكل مسفرة الألفاظ تحسبها صفيحة بين إشراق وإسفار
 أرقت ماء شبابي في محاسنها حتى تترقق فيها مأوها الجاري
 إن قلداك بدرٍ فهو من لججي أو ختمالك يياقوت فأججاري
 وما رأي الناس صبياً قبل صبيها بيعت نقبته ظلاً بدينار
 والله مامدا حياً ولا رثياً ميتاً ولا افتخراً إلا بأشعاري
 لم يبق لي من قريض كان لي وزراً على الشدائد إلا ثقل أوزاري
 أراه قد هتكت أشعار حرمة وخائر الشعر مستور بأستار
 عار من النسب الوضاح منسب في الخالدين بين العرب والعار^(١)

والخالديان هما أبو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عزام بن يزيد ، وأخوه
 أبو عثمان سعيد بن هاشم الموصليان الخالديان من بني عبد القيس ، وهما من
 سكان الخالدية وهي قرية من أعمال الموصل^(٢) .

ولم يذكر المترجمون من تاريخ ولادتهما إلا أن أكبرهما وهو أبو بكر مات
 سنة ٣٨٠ هـ وأصغرهما وهو أبو عثمان مات حوالي سنة ٤٠٠ هـ وكانا عالين جليين
 وشاعرين فخلين ، يشتركان في التحصيل والدراسة ، والتأليف ، فلما نبغا نبغا معاً
 وكانا لا يتفارقان كالتوأمين ، وكانا يشتركان في نظم الشعر فينسب إليهما معاً ،
 قال الثعالي وكان يجمعهما « من أخوة الأدب مثل ما ينظمهما من أخوة النسب
 نهما في الموافقة والمساعدة يجيبان بروح واحدة » ويشتركان في قرض الشعر
 ويتفردان ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان^(٣) .

(١) راجع يتيمة الدهر ١ / ٥٣ ؛ ووفيات ابن خلكان ١ / ٢٠١ وفهرست ابن النديم

ص ١٦٩ وخامس الخاص للثعالي ص ١٢٠ .

(٢) راجع معجم البلدان (الخالدية) ومعجم الادباء ٤ / ٢٣٧ والوفائي بالوفيات نسخة

دار الكتب المصرية / تاريخ رقم ١٢١٩ ج ٤ / ٣١٤ ، ويتيمة الدهر ١ / ٧٤ ؛

وكشف الظنون ٧ / ٥٧٣ ونوات الوفيات ١ / ١٧٢ ، ٢٠ / ٢٧١ .

(٣) يتيمة الدهر ١ / ٥٠٧ .

قصدا بلاط سيف الدولة في الموصل ثم في حلب فقرَّبهما ، وجعلهما من خواصه وولَّاهما خزانة كتبه . ولا نعلم بالضبط الوقت الذي انضمَّاه إلى بلاط سيف الدولة ، غير أننا نعلم أنهما حضرا مجاله أيام اتصال المتنبي به ما بين سنتي ٣٢١ و ٣٤٦ هـ^(١) . ويقول أبو العلاء الماعري في رسالة القفران أنهما تركا بلاط سيف الدولة (على حدِّ مفاضته)^(٢) إلى بغداد لاجئين إلى الوزير المهملبي الذي ناصرهما وساعدهما هو وأبو اسحق الصابي على خصمهما السري الرفاء . وقد خلفا للخزانة العربية ديوان شعر ضخما ومؤلفات في الأدب أجَّلها (كتاب التحف والهدايا) الذي يعني الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بنشره . و (كتاب حماسة المحدثين أو حماسة الخالدين) ولا نعرف له وجوداً وكتاب (أخبار الموصل) و (أخبار أبي تمام) وكتاب (أخبار أبي تمام ومحاسن شعره) وكتاب (اختيار شعر أبي عبادة البحتري) وكتاب (اختيار شعر ابن الرومي) وكتاب (اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره) وكتاب (الديارات) وكتاب (اختيار شعر ابن المعتز والتنبيه على معانيه) و (ديوان الخباز البلدي) . وذكر ذلك مما قد^(٣) .

وقد كان هذان الأخوان عجبين في النظم وحسن التأليف ، مدحهما أبو اسحق السَّابِي وقال فيهما قصيدة طويلة منها :

أرى الشاعرين الخالدين سيرا قصائد ينفى الدهر وهي تُمَلَّد
جواهر من أبكار لفظ وعونه يقصر عنها راجز ومقصد^(٤)

(١) الصبح المنى عن حنية المتنبي (المطبوع على هامش شرح المكبري) مصر سنة ١٣٠٨ ج ١ / ١٧٣ .

(٢) رسالة القفران - طبع أمين هندية ص ١٣٦ ، وطبع الكيلاني ص ٢٩ .

(٣) راجع الفهرست لابن التديم ص ١٦٩ ، والوافي بالوفيات طبع استانبول ١ / ٤٧ . وكشف الظنون ١ / ١٩١ وخزانه الأدب ٢ / ٣٩٦ ومعجم الأدياء لياقوت ٢ / ٢٠ .

ووفيات ابن خلكان ١ / ٤٦ .

(٤) راجع البيهقي ١ / ٨٠ - ٥٠ .

وكان أبو عثمان أحفظ من أخيه لعيون الشعر روى عنه ابن خلكان في ترجمته أنه كان يحفظ ألف سفر من الشعر وكل سفر مئة ورقة فمخطوطاته إذن كانت مئة ألف ورقة أو مئتي ألف صفحة ولو فرضنا أن في كل صفحة ثلاثين بيتاً من الشعر كان مجموع محفوظه ثلاثة ملايين بيت من الشعر^(١) وقال عنها ابن خلكان أيضاً (إنهما) كانا بنصبان الشعر صاحبه حياً كان أم ميتاً لا عجزاً منها عن قول الشعر ولكن كذا كان طبعهما) ، وقد ظلا بنظائري الشعر ويؤلغان في الأدب إلى أن توفيا . وقد جمع أبو عثمان شعره وشعر أخيه في ديوان ضخيم ولكنه نُفد ولم نثر على ذكر له في إحدى خزائن العالم حتى أن العالم المستشرق المحقق منس لم يشر إليه . وقد ضاعت أكثر آثارهما كما أشرنا إليه ما خلا كتاب التمثيل والهدايا وكتاب الحماسة ويعرف أيضاً بكتاب الأشباه والنظائر وهو مجموعة مختارة من عيون الشعر الجاهلي والإسلامي على نمط حماسة أبي تمام وأبي عباد ومنها نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة في مدرسة حسين باشا الجليلي في الموصل^(٢) .

والأديب الشاعر العالم المصنف الطبيب أبو الفتح كشاجم محمود بن الحسين ابن السندي بن شامك الرمي الموحي وكان من كبار أئمة الأدب والشعر والفلك والتصنيف وقد شاع شعره في حياته في العالم الإسلامي حتى بلغ الأندلس والغرب وحاكاه شعراء عصره واقتبسوا منه وقد خلف ديواناً ضخماً وآثاراً عديدة منها كتاب (المصايد والمطارد) وهو أول ما صنف في فن الفروسية والصيد وأتى فيه بالبدع الفائق ، وكل من كتب بعده في هذا الفن أو البيزرة أو في علم الحيوان فهو عيال عليه أو مقتبس منه . وقد ظل هذا الكتاب

(١) راجع تاريخ الموصل للصايغ ٦١/٢ .

(٢) راجع فهرس مخطوطات الموصل لدادور الجيلي .

التفيس مجهولاً يتناقل المؤلفون والأدباء أخباره الى أن عثرت عليه في بعض خزائن إيران ونشرته في بغداد مؤخراً^(١). وقد كان كشاجم من أعاجيب الدنيا في سعة اطلاعه وكثرة فضله وتعداد نواحي علمه ومعرفة حتى انه لقب نفسه بكشاجم وهو لقب انتزعه من الحروف الخمسة الأولى من كلمات (كاتب ، شاعر ، اديب ، جواد ، مصنف) وربما أضيفت اليها كلمة (طيب)^(٢). وقد خلف كشاجم في الخزانة العربية عدا كتابي المصايد والمطارد والديوان ، كتاب أدب النديم أو لطائف الظرفاء وهو من أمتع كتب الأدب وهو مطبوع مشهور^(٣).

والشاعر أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد الخزومي النصيبي المشهور بالبيضاء (٣٩٨ -) وكان شاعراً مكثراً مجوداً و كاتباً مترصلاً مليح الألفاظ جيد المعاني حسن القول في المديح والغزل والتشبيه والأوصاف . وقد ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه وروى عنه بعض شعره عن طريق شيخه القاضي أبي القاسم علي بن الحسن التتوخي عن أبي الفرج^(٤) ، وكان البيضاء من أئمة الأدب وعيون رجال الشعر والنثر وقد روى التتوخي عنه كثيراً من أخباره وأشعاره في كتابيه (نوار المحاضرة) و (الفرج بعد الشدة) وكان من المعجبين به وبأدبه ويخلقه . وقد أطنب المرحوم الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع بأدب البيضاء وعدّه من بين الكتاب الذين غلب عليهم النثر « وكان لهم مع ذلك شعر جيد مثل الجرجاني علي بن عبد العزيز وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي اسحق الصابي ، وبديع الزمان الحمداني وأبي اسحق الحصري

(١) طبع في مطبعة دار اليقظة ببغداد بنائياً وتحقيقاً في سنة ١٩٥٤ .

(٢) راجع مقدمة لكتاب المصايد والمطارد ، ومجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثاني فقد ذكرناه في مقال مفصل .

(٣) رجم أيضاً شذرات الذهب لابن العماد ٣ / ٨٣ وزهر الآداب للحصري وروكلمان G. A. L. الدليل ١ / ١٣٧ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى طبع القاهرة ١١ / ١١ - ١٢ .

صاحب زهر الآداب فقد قال عنهم انهم ممن كانوا يجيدون الشعر إجادة تامة مع إجادتهم في النثر وان شعرهم كان رائعاً مثل شعرهم^(١) .

ومما قال عنه أيضاً « إنه نشأ في نصيبين ، واتصل بسيف الدولة فلما مات صاحبه تنقلت به الأحوال بين بغداد والمارسل فنادم الملوك والرؤساء وقضى حياته بين النجاح والإخفاق بنعم تارة وبشقى أخرى ، وكان البيهات من أركان الحياة الأدبية في زمانه ولكن المؤلفين لم يتحدثوا عنه إلا قليلاً فكان من نتائج ذلك أن قلت المصادر التي تكفي لتعيين اتجاهاته الأدبية . . . ومجموعة ما وصل إلينا من شعره ورسائله وقصصه تدلنا على أنه لم يتصل بملوك زمانه على نحو ما كان يتصل' صاحب بن عباد أو أبو الفضل بن العميد وإنما كانت صلاته بهم عند الحدود الضيقة حدود السر والأنس حول بساط السلاف وأنا لتراه بدور حول شهراته وأغراضه النفسية في أكثر ما أثر عنه من المقطوعات والرسائل والأقاصيص ، أما شعره فتغلب عليه النزعة الوصفية وذلك يتصل بمذهبه في النثر أشد اتصال وهو وان لم يستطع مصادلة فنون القرن الرابع كالرضي والمثنوي وأبي فراس يبدع أحياناً ويروع حتى لنعده في طليعة الشعراء^(٢) » .

وأما نثره فيمتاز بعدة جزايا أظهرها أنه يمثل عصره من الوجهة الفنية ويمثل الكاتب في مبادئه الدوقية والوجدانية فهو من جهة الصورة نثر مسجوع تغلب عليه الفطرة حيناً ويسوده التكلف أحياناً وهو من جهة الموضوع يتصل في أكثر نواحيه بما يحس الكاتب من حيث هو رجل مودات ومجاملات . وقل أن يمثل صاحبه رجل فكرة اجتماعية أو فلسفية على نحو ما نجد عند بعض كتاب القرن الرابع . . . هذا ولا ننسى أن نذكر فضل البيهات في رسائله الأخوانية الكثيرة التي خلفها لنا ، وهي لا تقاس إلى براعته في نثره المارسل الذي دمج به قصصه الغرامية وقد حفظ

(١) راجع النثر الفني ١ / ٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) راجع النثر الفني ٢ / ٢٢٦ - ٢٣٢ .

لنا الدهر منها شاهداً يعز على من رآه من أندى الكتاب قلماً وأسماهم بياناً^(١) .
والإمام الفقيه المحدث العالم أبو بلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصل
(٣١٧ -) وكان من أئمة المحدثين وكبار حفاظ الحديث وهو صاحب المسند
المعروف به والذي ظل يدرس في الموصل فترة طويلة وكان أهل الموصل
يتباركون به وبقرائه كما يحدثنا ابن خلكان^(٢) .

وقد ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام وأثنى عليه وبين محاذيره وآثاره وغذد
شيوخه ومن أفادته من كبار الأئمة وقال عنه : انه حافظ متقن وثقة مشهور
واقبه الذهبي بمحدث الموصل وقد عمر طويلاً حتى تاهت المئة ورحل الناس إليه
من أبعد أصقاع الإسلام وله (مسندان) في الحديث أحدهما كبير والثاني صغير^(٣) .

والجغرافي البلداني الأشهر أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل الموصل البغدادي
(٣٨٠ -) وكان من العلماء الرحالين البارعين في علم تخطيط البلدان وأصول
التجارة طاف العالم القديم ودخل بلاد المغرب والأندلس وصقلية وغيرها من ديار
الإسلام في أوروبا وآسية وإفريقية منذ سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢ م) ودامت رحلته
هذه ثمانين سنة وقد أحصى ذكر ما رآه في العالم من أخبار وعجائب ،
وأطنب في ذكر البلاد التي زارها وصفاتها وأحوالها غير انه لم يضبط الأسماء
وذكر الأطوال والأعراض ، ولم تخل رحلته هذه التي دونها في كتابه «المسالك
والممالك» من الأغلط لأنه أول رحالة مسلم عربي دون أخبار رحلاته هذه .
وقد طبع كتابه في لندن سنة ١٨٧١ م . وترجم الى اللغات الفارسية والانكليزية
والفرنسية ، والايطالية واللاتينية . ويعد ابن حوقل الموصل من كبار الجغرافيين
الذين كتبوا ما كتبوا بعد الفحص والتدقيق . وقد كان الجغرافيون قبله

(١) راجع النثر الفني ٢ / ٢٣٣ - ٢٤٢ و بروكلمان G. A. L. ١ / ٩٠ والتذيل ١ / ١٤٤

(٢) راجع وفيات الاعيان ٢ / ٣٥٤ .

(٣) راجع تاريخ دول الإسلام للذهبي ١ / ١٤٦ والرسالة المستطرفة ص ٤٣ .

يكتسبون معلوماتهم تقللاً عن أفواه التجار أو يجمعون الأقاصيص والخرافات
جمعاً دون تمحيص^(١) .

والطبيب الفيلسوف الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الأشعث
(٣٦٥ -) وكان أصله من فارس إلا أنه سمع بمناوبة بني حمدان بأهل العلم
فقدم على الأمير ناصر الدين الحمداني فأكرمه وقرّبه واتخذ طيبه فقال عنده
مكانة سامية وأغدق عليه عطايا وأقام بالموصل يعلم الطب والحكمة والفلسفة .
وقد ترجم له ابن خلكان في الوفيات وأثنى عليه وذكر طرقاً من أخباره وعدّد
آثاره التي ألّفها في علوم الطب والالهيّات والحيوان . وكان من أجل أعماله
العلمية ترجمانه لكتب كثيرة من آثار جالينوس مع شرحها والتعليق عليها .
وقد ترجم له ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ومدح علمه وفضله وآثاره ،
ويذكر بروكلمان أن من آثاره العديدة التي كتبها لم يبق إلا كتابه عن الحيوان
وكتابه عن تفصيل جالينوس في الاسطوانات وشرحه على رسالة جالينوس في
المزاج المختلف ، وكتاب الغازي والمعتدي^(٢) .

والأديب الفقيه المقرئ محمد بن الحسن بن زياد النقاش (٣٦٦ - ٣٥١)
وكان من كبار الأئمة في علوم القرآن وقراءاته وتفسيره ، أقام بالموصل طويلاً
بدرس علوم القرآن والعربية ثم رحل إلى بغداد فأفاد الناس منه وقد خلف
آثاراً عديدة أشهرها (شفاء الصدور) في التفسير و(الإشارة) في غريب القرآن
و (الموضح) في معاني القرآن و (المعجم الكبير) في أسماء القراء وقراءاتهم
و (المعجم الأوسط) في القراءات و (كتاب العقل) و (كتاب أخبار
القصاص) و (كتاب ذم الحسد) و (كتاب دلائل النبوة) و (كتاب

(١) راجع دائرة المعارف للبستاني ، وكتات آثار الأديب الخوري وشهادة ١ / ١٩٧
واعلام التركلي ص ٨٩٢ وقاموس الاعلام لشمس الدين سامي التركي .
(٢) راجع ابن خلكان ، وابن أبي أصيبعة ١ / ٢٤٥ وبروكلمان G. A. L ١ / ٢٣٧
والذيل / ٤٢٢ .

إرم ذات العماد) و (المعجم الصغير في القراءات) . وقد ضاعت هذه الكتب كلها إلا قطعة من (شفاء الصدور) فإنها موجودة في دار الكتب المصرية ، والمتحف البريطاني و (كتاب الإشارة) فإنه موجود في مدرسة الملا زكريا في الموصل^(١) .

والشاعر الأديب الفحل أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد الخزومي السلامي (٣٢٦ - ٣٩٢) وهو من أهل بغداد إلا أنه نشأ في الموصل وسمت مكانته العلمية فيها. فأكرمته بنو حمدان وكانت حلقاته في الموصل حلقات علمية وله مناظرات مع أهل الموصل وأدبائها وأذكائها وكان حين دخل الموصل صبيًا ينظم الشعر فيتردد على حلقات أبي عثمان الخالدي وأبي الفرج اليعقوبي وأبي الحسن التلعفري وغيرهم وقد أعجبوا جميعًا بذكائه وفطنته^(٢) .

وبعد فإن هؤلاء هم أئمة العلم والدين والفلسفة والطب والحكمة والأدب والشعر في الموصل في الفترة التي نشأ فيها أبو الفتح بن جني . وهؤلاء هم الأئمة الفحول الذين كانت تلك الديار وأهلها بكرعوت من مناهل علمهم وفضلهم وأديبهم ولا ريب في أن أبا الفتح قد أفاد منهم إما مباشرة أو بالوساطة .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس



(١) راجع ابن خلكان ومعجم الأديباء لياقوت وبيروكان ١ / ٣٣٤ التذييل .
(٢) راجع أخباره في ابن خلكان ١ / ٢٩٨ وبقية الدهر ١ / ١٧٣ .

التعريف والنقد

ابن رشد

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد ، وهو من سلسلة نوابع الفكر العربي
طبع في دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٣

يشتمل هذا الكتاب على أربعة فصول هي : (١) عصر ابن رشد (٢) ابن رشد في عصره (٣) جواب ابن رشد (٤) منتخبات من آثار ابن رشد .
وقد اعتمد المؤلف في كتابة هذه الفصول على نصوص ابن رشد العربية التي بين أيدينا وعلى بعض الدراسات العربية والأجنبية ، فجاءت على اقتضاها كافية لتعريف القارئ بعصر أبي الوليد وحياته وفلسفته . ولا غرو فالأستاذ عباس محمود العقاد يجيد في هذا النوع من التأليف ، فيبسط الأفكار ويملمها على طرف التمام بأسلوب واضح وترتيب حسن .
ولئن كان من المتعذر هنا تفصيل الكلام على كل فصل من فصول هذا الكتاب فليس من المتعذر أن نقول ان كل فصل منها قد صور ناحية من نواحي ابن رشد تصويراً صحيحاً . ناذاً أراد المؤلف أن يشرح لنا أسباب نكبة ابن رشد قال : « فمن أجل أحواله أنه كان رجلاً يحسن المساجلة ولا يحسن المتابعة ، ولا يبالي تزيف لغة « البلاط » في سبيل تحقيق لغة العلم ورفع الكلفة من مجالس الباحثين فيه ولو كانوا من الملوك والأمرء . وبما يصح أن يشار إليه من لواحق هذا أنه غفل عن مكانة ابن رشد عند ملوك الموحدين . وهو أستاذ أستاذهم الأكبر ، فرد عليه دفاعاً عن الفلاسفة ولم يبالي في هذا الدفاع أن ينسب إليه المغالطة -

ومن مجمل أحوال الزمن أنه كان زمن المداوات الدينية ، وكانت أخطار الحروب فيه بين المسلمين والافرنج على أشدها ، فكان من أصعب الأمور على الحكام أن يتعرضوا لفضب العامة إذا وقع في وهم هؤلاء أن قاضياً من أعظم القضاة يشتغل بالعلوم التي يرتابون بها ويمحبونها من الكفر والضلالة . وقد اشتهر عن ابن رشد أنه كان مصادقاً لأخي الخليفة وتبين من تاريخ تلك الفترة أن المنافسة فيها على الملك كانت حرباً ضرورياً لا تنقطع في وقت من الأوقات ، فلا يبعد أن ينسكب الخليفة ابن رشد اتهاماً له بمشايمة أخيه واتهاماً لأخيه بمصاحبة الفلاسفة وإضمار الكفر والضلالة » (ص ٢٦) .

وإذا أراد المؤلف أن يتكلم على فلسفة ابن رشد قال : فلسفة ابن رشد على الأصح : « فلسفتان لا فلسفة واحدة : فلسفة ابن رشد كما فهمها الأوربيون في القرون الوسطى ، وفلسفة ابن رشد كما كتبها هو واعتقدها ودأت عليها أقواله المحفوظة لدينا » (ص ٣٠) وبين هاتين الفلسفتين « مواضع اختلاف يمس الجوهر أحياناً أو يسمح بتفسير آخر في غير تلك الأحيان » (ص ٣١) . وقد اعتمد المؤلف الفاضل في تلخيص الفلاسفة الأولى على ما كتبه (مورييس دووالم) في كتابه : تاريخ فلسفة القرون الوسطى ، كما اعتمد في تلخيص الفلسفة الثانية على نصوص (ابن رشد) العربية التي بين أيدينا غير معولٍ في ذلك على مصدر من المصادر الأجنبية .

ولكن الباحث الذي يتصدى لدراسة فلسفة (ابن رشد) كما كتبها هو واعتقدها لا يستطيع أن يهمل المصادر الأجنبية الحديثة ، لأن في هذه المصادر كثيراً من الدراسات التي توضح نصوص ابن رشد وتصور فلسفته أحسن تصوير . وقد فطن الأستاذ عباس محمود المقاد إلى هذه الحاجة فذكر في مصادره كتاباً لرينان عنونه : ابن رشد وفلسفته (Averroès et l'Averroïsme) ولكنه

أهم كثيراً من الدراسات الأخرى كدراسات (مولر) و (مونك) و (غوتيه) و (بالاسيوس) وغيرها - ولو استعان بهذه الدراسات لصور لنا عقل ابن رشد في شتى مشاركاته تصويراً أتم وأوفى .

وجملة القول ان صورة ابن رشد التي أبرزها المؤلف صورة آنية سريعة ليس فيها ما في فلسفة ابن رشد من نواح مختلفة ، وسبب ذلك يرجع الى أن المؤلف يكتب لجمهور القراء لا للعلماء المتخصصين ، وأظن أن الناس يقتنعون بهذا النوع من المختصرات أكثر مما ينتفعون بالمطولات .

جميل صليبا

نوابغ المغرب العربي (١)

الإمام المازري

حسن حسني عبد الوهاب

في طلائع هذه الرسالة (التي بلغت نحو مائة صفحة بقطع الربع) شذرات من تراجم أولئك الفُر الميامين الذين دخلوا الشمال الإفريقي من الصحابة والتابعين ، ومن اتقوا أثرهم واهتدى بهديهم إلى عصر المازري في القرن السادس الهجري .

استهل المؤلف - وهو الأستاذ الكبير حسن حسني عبد الوهاب التونسي الشهير - استهل بحثه بذكر بعض من وفدوا على البلاد وأقاموا بها بعد الفتح ، وهم الذين عينهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز سنة مائة من الهجرة لتفقيه الأفارقة في الدين ، وإرشادهم إلى هديه ، وإشراب قلوبهم حبه . وقد كان في مقدمة هذه البشة الدينية اسماعيل بن أبي المهاجر الخزومي عامل عمر بن عبد العزيز على المغرب ، ورأس البشة الدينية ، وعبد الله بن يزيد المعافري ، وعبد الرحمن ابن رافع التوخي ، ومنهم اسماعيل بن عبيد الأنصاري ، وكل من هؤلاء قد روى عن الصحابة ، واتخذ داراً يسكنها ، ومسجداً لمصلاه ، ومدرسة لتعليم

الناشئين : وقد تربى على أيديهم جمع كبير كانوا المربين الأولين لأبناء البلاد ، وهم الذين لقنهم علوم الشريعة . وذكر المؤلف طبقة ثانية يوافق ظهورها قيام الدولة الأغلبية في البلاد ، ومنهم أسد بن الفرات ، وقد تلقى عنه أبناء إفريقية مثل سحنون ، وسليمان بن عمران وغيرهما « ويمكن أن نعد أسد بن الفرات أول مؤسس للدولة الفقهية القيروانية » .

شرح الأستاذ المؤلف كيف دخلت « الحنفية » إفريقية في القرن الثاني ، والمدرسة المالكية في القرن الثالث ، ثم تنابعت الطبقات وترجم لمشاهيرها بإيجاز ، إلى أن بلغ بها القرن السادس ، فترجم للإمام المازري ، وأشهر شيوخه وتلاميذه . والمازري نسبة إلى مازرة بصقلية ، تقابل شمال البلاد التونسية ، وهي أول بلدة امتلكها الجيش الأغلي الفاتح على يد قائده القاضي أسد بن الفرات (م سنة ٢١٢) . ومن أشهر أئمة المازري إماما المغرب في وقتها أبو الحسن اللخمي (م ٤٧٨ هـ) وعبد الحميد الصائغ (م ٤٨٦ هـ) . ومن أكبر تلاميذه علما وسياسة محمد بن تومرت ، مؤسس الدولة الموحدية (وكانت وفاته ٥٢٥ هـ) والإمام أبوبكر بن العربي الأشبيلي (م ٥٤٣ هـ) .

ثم ذكر الأستاذ ابن عبد الوهاب ثناء العلماء عليه ، وآراءهم فيه ، وآثاره العلمية ، ونبدأ من فتاويه وجهره بالحق . وختم بحقه بهجرة الصقليين إلى إفريقية ، وتبميز المازري عن يشاركه اسما ولقباً وبلداً .

وقد وقعت بالطبع هنات لا يخلو منها كتاب (عدا ما في جدول الخطأ والصواب) وهي في ص ٨٢ س ٥ : الآ ، و ٨٩ س ٢ : واحداً بالآخر ، و ٩١ / ١٠ خمس قرون ، وصوابها : الأله . واحد والآخر . خمسة قرون .

فنشكر للأستاذ المؤلف حسن صفيته ، ونرجو له مزيد التوفيق في عمله العظيم .

مصادر الحق في الفقه الإسلامي

دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث

(٢)

توافق الإرادتين في مجلس العقد ، صحة التراضي ، (الغلط - التدليس - الإكراه)
ألقاها الدكتور عبد الرزاق السنهوري على طلبة قسم الدراسات القانونية

عرف الدكتور السنهوري بسعة اطلاعه على المذاهب الفقهية الإسلامية ،
وعلى القوانين الموضوعية في الدول العربية ، وما يقابلها من فقه الدول الغربية ،
وله مؤلفات في ذلك . وهذا هو الجزء الثاني من كتابه الفقه الإسلامي المقارن
بالفقه الغربي الحديث ، الذي ألقاه على طلبة قسم الدراسات القانونية في معهد
الدراسات العربية العالية ، من جامعة الدول العربية ، بالقاهرة .

(ولم نطلع على الجزء الأول منه) . وأوله : المبحث الثاني في تطابق الإرادتين
في مجلس العقد (أي إرادتي المتعاقدين) ، وفيه ثلاثة مطالب (١) التعاقد
بين الحاضرين (٢) التعاقد بين الغائبين (٣) حالات خاصة في إبرام العقد .
ثم يأتي المبحث الأول في الغلط - وهو حالة تقوم بالنفس تحمل على توم
غير الواقع - وفيه مبحث الغلط في الفقه الغربي ، والغلط في الفقه الإسلامي .
وفي المطلب الثاني : الأنواع الأخرى من الغلط ، كالغلط في الشخص ،
وفي الوكالة ، وفي إجازة الظئر ، والغلط في القيمة ، والغلط في القانون .
ثم المبحث الثاني في التدليس ، والمطلب الأول منه : التدليس في الفقه
الغربي ، والثاني : التدليس أو التغرير في الفقه الإسلامي .

وبليه : المبحث الثالث في الإكراه ، والمطلب الأول : الإكراه في الفقه
الغربي ، والثاني : الإكراه في الفقه الإسلامي . وفي كل من هذه المطالب
والمباحث فروع تتصل بها ، وقد بلغ هذا الجزء الثاني (٢٣٥) صفحة بالقطع المتوسط .

وتجد فيما كتبه الدكتور مامتاز به النقب الإسلامي من دقة التعبير ،
وجمال التصوير ، وموافقة قواعده وشواهد له لكل أمة ، على اختلاف الزمن ،
وارتقاء الأمم ، وتنوع المطالب . أثاب المولى الدكتور السهوري ، وزاده
إحساناً وتوفيقاً .

الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

سيرته . بطولته . عظمته

وضع الأستاذ السيد عبد الحميد الخطيب . جزآن في نحو (٥٧٠) صفحة

عما كان يردده الملك الإمام عبد العزيز آل سعود (رحمه الله تعالى) وبثبته
بالشواهد والبراهين أن مدار الأمة على التوحيد ، وأن العرب لم تكن لهم
وحدة حقيقية ، ولا جامعة عربية يحافظون عليها ويدافعون عنها إلا بالتوحيد
الذي ألف بين قلوبهم ، ووحد كلمتهم وعملهم ، فصانوا دماءهم وحفظوا أموالهم ،
وقلصوا ظل القياصرة والأكامرة عنهم ، بل كسروا شوكة الظالمين في أنحاء
المحور . ذلك بأن عقيدة التوحيد التي تغلخت في نفوسهم ، وجرت في عروقهم ،
قد ناطت رجاءهم في الله وحده ، لا يسألون إلا إياه ، ولا يخشون أحداً سواه
« وإن يمسك الله بضرب فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله » .
وفي حديث ابن عباس : (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) .
لما أخذ العرب بهذه العقيدة المثلى تركوا عبادة الحجر والشجر والبشر ،
والكواكب والملائكة والجن ، وعلّقوا خوفهم ورجاءهم بفاطر الأرض والسماوات ،
فطهرت عقولهم من لوثات الشرك والأخايل ، وزكت نفوسهم من الرذائل
والنقائص ، وأصبحوا علماء حكماء ، لا تعرف الخرافات والأوهام إلى قلوبهم سبيلاً ،
وأخذت معارفهم حظها من الشيوع والانتشار ، بحيث لم تبق أمة من أمم الأرض

لم تقتبس من نورهم ، أو تعطر مسامعها بشذى ذكرهم الفياح . هذا مجمل ما كان ينثره الملك من درره ، وكنا نسمعه في كثير من مجالسه العامة والخاصة ، وكان له أحسن وقع وأبلغ تأثير في نفوس المستمعين . وهو ما تراه الآن موزعاً من خطبه وأحاديثه في هذه السيرة التي رأى مؤلفها العلامة أن يسلك بها غير ما سلكه الكثيرون ممن ارتخوا للإمام الراحل في حياته وبعد مماته ، وكتبوا كثيراً في مآثره وصفاته ، إذ لم يتعرضوا لعمق عظمته في نفسه الكريمة ، وما انطوت عليه من إيمان وتقوى . (أو محاسبة ومراقبة) هما السبب الأقوى في كل ماتم على يده من الأعمال ، وما نالت به البلاد في عهده الميمون من أمن وطأنينة ، فأحب أن يكتب في هذه الناحية ليتخذ الناس من سيرته مثلاً علياً ، في هذه الحياة الدنيا . قال : « خصوصاً وإن مآدعاني إلى تأليف هذا الكتاب ما علمته من رغبة عميد الكلية العربية العامة بالباكستان ، في الحصول على معلومات مفيدة عن ملوك الإسلام وآثارهم في البلاد وطريقة حكمهم فيها ، ليدرسها النشء في هذه الدولة الناهضة (باكستان) التي يهجمها أن يعلم أبنائها الكثير عن مزايا الإسلام وفضائل ملوكه وأمرائه المعاصرين منهم والسابقين » .

وقد أهدى المؤلف كتابه بكلمة قيمة إلى سمو ولي العهد وأخيه (جلالة الملك سعود وسمو الأمير فيصل ولي العهد) وقدّم له مقدمة شرح فيها المذهب السلفي (المسّى بالوهابي !) شرحاً وافياً من عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الذي استجاب لدعوته ، إلى عهد الملك الراحل عبد العزيز (رحمهم الله تعالى) . وقد بدأه بمولده ونشأته ، وتأسيسه الملك ، وقضائه على الفتن الداخلية . ثم ذكر قضاءه على حكم آل الرشيد ، وحروبه مع الهاشميين ، وإعلان البيعة له ، وانعقاد مؤتمر العالم الإسلامي بمكة (سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م) . وحادث (المحمل) ، وفتنة الدويش ، وحماية الأدارسة ، وثورة ابن رفاعة ثم الأدارسة ، وتوحيد المملكة السعودية ، وبين الملك وإمام اليمن - عفوه

عن المبعدين - حل حزب الأحرار - خطب الزعماء بين يدي جلالة الملك والأمرء - تفاهم مصر والمملكة السعودية - اجتماع رضى التاريخي - ميثاق الجامعة العربية - رحلة الملك الى مصر - فلسطين والاتحاد العربي - الملك وقضية فلسطين - الحرب في فلسطين - زيارة الملك عبد الله - مدة الهدنة - لجنة التوفيق - النتيجة - (وهي أسوأ نتيجة وأخزأها) - الى عموم المسلمين ، (قصيدة للمؤلف) الملك وباكستان - باكستان كما رأيتها - باكستان في أربع سنوات - الملك وأندونيسيا - خطاب المؤلف في القصر الجمهوري الأندونيسي . هذا مجمل ما تضمنه الجزء الأول ، في نحو ثلاثمائة وأربعين صحيفة .

وأما الجزء الثاني من سيرته الميمونة فهو خاص بما يتعلق بحياة جلالة الخاصة وأخلاقه وعاداته ، وخطبه وآثاره ، وأبنائه وأصحابه وعمله .

قلت : وإن من أبرز أعماله (رحمه الله) وأفضلها ، أنه رأى أن أفضل ما تداوى به القلوب ، ويتزعج به منها مشاركات الشكوك ، هو جمع المصلين في كل صلاة على إمام واحد ، كما تقتضيه وحدة الإسلام ، فأمر أن يتناوب الأئمة عدة أئمة من فقهاء المذاهب الأربعة ، يأتى بكل واحد منهم في نوبته جميع المصلين ، فتم ذلك والله الحمد على أحسن وجه . وقد قضى الإمام عبد العزيز بهذا التوحيد العملي على كل خلاف قديم ، وأدخل عصر التفریق والتزريق في خبر كان ، وبات القول بأن التجديدين يكفرون إخوانهم المسلمين وإخوانهم يكفرونهم أضحوكة المعجائز والصبيان ، وأسطورة الكذب والبهتان . فنحن نذكر إخواننا المسلمين في سائر الأقطار بأن يحذوا حذو البيت الحرام ، قبله الإسلام بالاختصار على إمام واحد لكل صلاة توحيداً للأمة وجمعاً للكلمة ، ونحذرهم من ضرر تعدد الجماعة في وقت واحد . والكتاب محلى بموسم صاحب الجلالة وصاحبي السموات ولي العهد ، ونائب جلالة الملك ، وكثير من الأمرء والأعيان ، وفي ختام هذا الجزء الثاني سجل الصور لبعض أمرء وعظماء المملكة العربية السعودية .

والحاصل أن هذا الكتاب من أغزر الكتب مادة في موضوعه ، وأدلتها على ما ألف من أجله ، والمؤلف غني بتأليفه وآثاره عن التعريف به .

وقد مررت بي أغلاط قليلة كقوله في قصيدة الأستاذ الزركلي (ج ١ ص ٦٢ س ٢٥) ما استطعت ، صوابها « ما أسطعت » وفي (ص ٦٣ س ٧ منه) وللأية : « وللأية » بالياء ، وفي (ج ٢ ص ٨٣ س ١٥) سمحان : « سمحان » (وفي ص ٨٢ س ٢٠) المقدس . المقدس . المقس . صوابها كلها : « المقدسي » وفي ص ٨٣ س ٧ الكلام الطيب : « الكلام » .



المجموع الأول

أبحاث علمية إسلامية وفناوى في مسائل حديثة شرعية
 بقلم : عبد الله القليلي في (٧٧) صحيفة

الأستاذ القليلي صحافي قديم ، وكاتب مشهور ، فهو صاحب « الصراط المستقيم » التي كانت تصدر في يافا من أرض فلسطين ، وقد كانت معروفة بمعارضتها للمجلس الإسلامي الأعلى في سياسته ، ولكنها مثال الذوق والأدب ، وصدق القول والعمل ، والغيرة على الدين والوطن ، فهي تشبه جريدة البرهان التي كانت تصدر في طرابلس الشام للأستاذ المغربي ، كلتاهما كانت تصدر عن عقيدة راسخة ، وأدب جرم ، ونضل وعلم ، وهذه مقالات متنوعة ، افتتحت بمقدمة للأستاذ مظهر العظمة ، وبدئت بمقال الدعوة إلى الحق والخير ، ولا تعارض في الدعوة ، والفصل بين السنوحات والفتوحات ، ومحمد خاتم النبيين ، ومنها الجواب على ما يأتي : أيكون الإيمان سببا في زيادة الشقاء ؟ هل يباح الفطر للمال ؟ عشاء الميت ، القراءة للميت ، وختمها بأجوبة وفناوى على أسئلة :

« ضريبة الإنتاج والزكاة » وتأيد هذه الفتوى بالرد على من خالفها ، وتحديد النسل ، والسُّلف على الغلة ، وقبر الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . والأستاذ القليلي في ذلك كله ، وسط بين الغلو والتفريط ، يظهر ذلك من كلامه على مقالي السنوحات والفتوحات (أي المكية لابن عربي) فمن الكتاب المكفر ، ومنهم المؤول ، والأستاذ قائل بالتخطئة ، وفي مقال محمد خاتم النبیین رد محكم على دعاة النبوة الكاذبة في هذا الزمان ، ثم يان أن الإيمان من أسباب سعادة الإنسان لاشقائه ، واعتدال في الكلام على صيام العمال ، والاقتصار على السنة في أمر الموتى ، وعد ما تنفقه الحكومة على مستحق الزكاة من الزكاة الشرعية ، والكلام على تحديد النسل الشخصي (لا الاجتماعي العام) وإباحة التسليف على الغلة بشرطه . وهذا (المجموع الأول) كما ترى هو رائد خير ، وطلیعة صلاح وإصلاح لما يأتي بعده إن شاء الله ، فنحث المطالعین على الاستفادة منه .

ومن الأغلاط المطبعية (ص ١٢ س ١) باختلاف ومتعلقها : الواو زائدة . و (ص ٢٧ س ١٢) أن يتحاكون : وهي بمحذف النون . وبإتي الأغلاط طفيف ظاهر ، وأكثره في جدول الخطأ والصواب .

محمد بهجة البيطار

آثار معين في جوف اليمن (الجزء الأول)

لمحمد توفيق

هدد صفحاته (٤٠) صفحة من النظم الكبير و (٤٠) لوح مصور طبع في القاهرة سنة ١٩٥١

قدم المؤلف في هذا الجزء أولى دراساته عن جنوبي جزيرة العرب وهي بعض مشاهداته في رحلته العلمية الى جوف اليمن لدرس هجرة الجراد الرحال والكشف عن مناطق توالده وتكاثره في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ . اغتنم المؤلف هذه الفرصة التي نهيات له فقام أيضاً بدراسة جديدة لخرائب آثار هذه المنطقة والتقط لها صوراً فوتوغرافية استكملت أبحاثه القيمة .

غاصر قبله منذ منتصف القرن الماضي وفي قترات مختلفة عدد من علماء الغرب ورحلاته محاولين زيارة اليمن ، منهم من أصاب بعض النجاح في جولاته ومنهم من لم يفلح ولقي بعضهم حتفه بصورة مفاجئة .

بدأ المؤلف في هذا الجزء دراسته المستفيضة عن خرائب معين عاصمة الدولة المينية ، فوصف مشاهداته عن آثارها وتقاوسها ورقمها ونشر صورها . وسبق بحثه هذا مرجعاً أساسياً لدراسة آثار هذه المنطقة . ومن سميات هذه الدراسة أنها صمحت جملة نصوص كان جمعها غيره من الآثاريين وأضاف نصوصاً وصوراً جديدة تنشر لأول مرة .

وما يدعو الى الغبطة أن نرى إقبال طائفة من علمائنا العرب على دراسة هذه المواضع التي كانت الى عهد قريب وفقاً على علماء الغرب . ومن هو أحق من أبناء العرب بالعناية بدراسة تاريخ مدينة جنوب جزيرة العرب التي استمدت منها الحضارة العربية في الجاهلية والإسلام أصولها ؟ فللمؤلف شكرنا وتقديرنا .

J. A. Dagher - Repertoire des bibliothèques du Proche
et du Moyen Orient. Paris 1951

تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط

من وضع يوسف داغر

أمين دار الكتب الوطنية اللبنانية ، يقع في (١٨٢) صفحة

من القطع المتوسط طبع في باريس ١٩٥١

أحصى المؤلف في هذا التقويم دور الكتب العامة والمكتبات الخاصة العربية والأجنبية الموجودة في بلاد جزيرة العرب ومصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وتركيا وإيران ، ولم نجد بينها ذكراً لمكتبات المملكة الأردنية الهاشمية ، فهل يستنتج من ذلك أنها خالية من المكتبات مع أن نهضتها الثقافية الحديثة على ما نعلم كانت شاملة ويستغرب أن تهمل هذه الناحية الهامة من نهضتها .
يقدم هذا الكتاب خدمة جليلة للمشتغلين بشؤون دور الكتب ويرشد الطلاب والعلماء الى مناهل العلم في هذين الشرقتين ، ويعمل على زيادة الروابط الثقافية بين هذه البلاد وغيرها من الأقطار العالمية . ان فائدة هذا الكتاب واضحة وهي جديرة بالاحكام والاعتراف .

•••••

نقوش خربة معين

(مجموعة محمد توفيق) الجزء الثاني

لخليل يحيى نامي في (٣٤) صفحة من القطع الكبير . طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢

اقتصرت دراسات الأستاذ محمد توفيق في الجزء الأول من هذه المجموعة على وصف آثار خربة معين ونقل صور رقيمها وعهد الى الدكتور خليل يحيى نامي بنشر النصوص التي جمعها وترجمتها فيكون هذا الجزء بكلمة للجزء الأول حقق

فيه الناشر تسع عشرة كتابة من خبرة معين كانت بحاجة الى شرح منلقها ودرس محتوياتها والتعليق عليها ، ويقف المطالع في هذا البحث على مدى الجهد العلمي الذي بذله الأستاذ نامي لإخراج كتابه هذا الذي يستدل منه على مكانته العلمية في موضوع جديد له صلة وثيقة في دراسة تاريخنا العربي . فلمؤلف إعجابنا وإلى المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة الذي خصص سلسلة من منشوراته لمثل هذه الأبحاث القيمة شكرنا .

جعفر الحسني



ابن الحريري ومقاماته

تأليف الدكتور محمد أحمد الصديقي

طبعة آله آباد ، بالهند . في ٢٣٢ صفحة

لم تقع للمعاصرين من كتاب العرب على مؤلف في الحريري ومقاماته يستوعب البحث في حياة الرجل وآثاره . لذلك رحبنا أجمل الترحيب بهذا الكتاب الجديد يصدره أستاذ في جامعة بالهند كرسالة للدكتوراة ، يسد بها ثغرة من الثغرات الكثيرة في التأليف الأدبي .

خرج المؤلف يبحث شامل حافل ، تطرّق فيه إلى العصر العباسي ، فذكر المدارس والمعاهد والمراكز العلمية في البلاد العربية وغيرها ، وأشار إلى أثر الكوفة والبصرة في الأدب والعلم والثقافة ، وامتحن إلى الإشادة بالبصرة فقد كانت تُدعى قبة الإسلام ، وفيها كانت العناية باللغة في النحو ، ومنها كان الحريري . وتناول الدكتور الصديقي في بحثه أساليب الكتابة وأغراضها ، وسعى إلى دراسة المقالات والمقامات من حيث اللفظ والمعنى ، فعرض للصناعات اللفظية وزخرفة الكلام ، والنكف والتطويل والإطراء ، ليبلغ بنا إلى نشأة الحريري

وتربيته ودراسته وثقافته حتى كانت منه المقامات والرسائل والمؤلفات . وقد وقف الباحث عند المقامة وقفة غير قصيرة يحللها ويدرسها ، فهي كل ما يلقي في مجتمع الناس ، وهي المجلس من الكلام ، أو هي الرواية والخطبة والعظة ، بل إنها القصة الثرية وما يتخللها من شعر ينظمه صاحب المقامات . وموضوعها ذلاقة اللسان وفصاحة البيان ، وجمال التعبير ، في كل منها نكتة تدور حولها ، ولكل منها اسم تنسب إليه ، تجمع شوارد اللغة ونوادر التركيب ، في أسلوب مسجع ، أتيق الوشي ، تعج بالأمثال والحكم .

وقد أورد المؤلف آراء المستشرقين والشرقيين في المقامات ، فرأى أن الأولين أخذوا عليها وحدة مغزاها ، ووقفوا عند ابتزاز الأموال على طريقة رخيصة مبتذلة فيها الوضيع والدنيء ، وتقذوها لما بين جنباتها من حب ينكره الذوق السليم وشذوذ يأباه الخلق الكريم ، وأنها قصيرة لا تتصل بالدرامة أو الفاجعة أو غيرهما مما عرف الغربيون في مسرحياتهم وقصصهم وتمثيلهم .

ودافع الدكتور الصديقي عن الحريري ومقاماته ، وذكر الدوافع التي أهابت أصحابها إلى صنعها ، وبين تاريخ ذلك كما انتهى إليه عن سبيل البحث والدرس ، ورسم الأشخاص في المقامة ومصادر ألوانها وحكاياتها ، ثم رأى أن أكثر تلاميذ المقامات يعودون إلى الحريري لا إلى البديع في التقليد والاستعارة والاحذاء ، ووجد في أسلوبها طلاوة تسحر الألباب وبلاغة تحير العقول ، وأورد هنا كذلك آراء الكتاب والناقدين ، فهي تقبى من القرآن والحديث وتمتلئ بالجناس الأنيق والسجع الرشيق . وقال إنها مرآة لحياة البصريين الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأدبية ، وضرب الأمثلة على ذلك بنصوص أوردها مشروحة مضبوطة بالشكل ، ووازن بينها وبين مقامات البديع ، فأفصح عن المزايا والسيجايا ، ونصب نفسه منصب الخطيب الأريب والمحامي الأدب والكتاب المترسل ليدافع عن

الحريري في حماسة المحبة وغيره المخلص ، وذلك لسبب يعلمه كاتب المقدمة الأستاذ المفكر أبو الحسن عليّ الحسني الندوي ، معتمد دار العلوم في لكناو ، قال : « وقد دافع المؤلف عن الحريري مدافعة قوية لأنه من أنصار الحريري المتحمسين له ، وقد يؤخذ هذا عليه كناقذ ومؤرخ ، إلا أنه عقيدة وفكرة ، ولا يلام الكاتب على عقيدته وفكرته » . . . ثم قال : « وقد كان حقاً على الهند ، وهي التي لم تزل ولا تزال متمسكة بأهداب الحريري في الأسلوب الأدبي وتأثير هذا الكاتب في أساليبها وأوساطها الأدبية معلوم واضح أن تقدم كتاباً لائقاً عن الحريري الذي شغفت به هذا الشغف العظيم ، وقد كان هذا دليلاً عليها » . وهكذا قام المؤلف الصديقي بوفاء الدين في كتابه ، فقدّمه إلى جامعة أله آباد ، وأرقى فيه على الغاية من حيث دراسته وعرضه لآثار الحريري ومخطوطاته ومطبوعاته على غرار المؤلفات الحديثة في جامعات الغرب ، فلم يفته ذكر المصادر ووصف المخطوطات ومظانها . وقد رأينا أنه جمع بين دفتي كتابه ما قال القدماء والمحدثون في الحريري ومقاماته وعرض لها بالدرس والموازنة . وكان أسلوبه في ذلك البحث يتصل حيناً بأساليب القدماء من سجع واستعارة واقتباس ، ويتصل أحياناً بالمحدثين المترسلين في البساطة والسهولة .

وإذا كنا نحمد للدكتور الصديقي كتابه ، فانما نحمده أولاً ، لأنه صنعه بلغتنا العربية ، فجهد في ذلك جهداً كبيراً نعترف به ونشكره عليه ونثني على أياديه فيه ، فقد أراد أن يشركنا في قراءة بحثه وخلاصة درسه ، وكان لنا من ذلك متعة وفائدة ، فأضاف إلى مصادرنا المتبصرة المشتتة عن الحريري مصدراً جامعاً كثير الغناء وافر النفع ، يستوي مع الكتب الناجعة في هذا الباب ، ويستحق به صاحبه أجزل الثواب وأجمل الجزاء .

الملاحظ

تأليف الأستاذ حنا الفاخوري

دار المعارف ببيروت ١٩٥٣ - في مئة صفحة

في هذه المجموعة من تراجم الأعلام في « نوابغ الفكر العربي » عقد الأستاذ حنا الفاخوري فصلاً كبيراً للملاحظ ، إمام الأدب والفكر في أدبنا العربي . فصور العصر العباسي وما اختلف إليه من فتن وثورات وحروب ومعارك . وعرض للحياة الاجتماعية فتوفر على دراسة الترف والفراغ الذي أصاب الأمة الناشئة ، وما كان من رقيق وغلان وجوار ، وما نهض من فرق دينية وانهقد من حلقات فكرية ، وما قام من حركة علمية وثقافية ، ليرسم التيارات التي كانت تتجاوب في دنيا العراق من علوم الأمم القديمة وثقافتهم ، وما أفاد العرب منها في النقل والترجمة والافتباس ، وما قصر واختلف خلال ذلك في ميادين الأدب اليوناني ، ليلج بنا إلى حياة هذا الرجل العملاق .

فقد كان الملاحظ يمثل الأديب المثقف والكاتب الاجتماعي ، « دعى في صدره جميع معارف عصره في الأدب والدين والعلم والفلسفة » وأخذ بكل ما وقع له من كتب العرب واليونان والفرس والهنود ، فصاغها بلسانه وعرضها بأسلوبه ، وضرب المثل الرائع للرجل النابغة ، حتى قال فيه أبو هنان : « لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الملاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته ، كائناً ما كان ، حتى أنه كان يكثر دكاكين الوراقين ، ويبيت فيها للنظر » . وهذه شهادة عظيمة تنطق بفضل الملاحظ ، وتزيد بعقله الراجح وذكائه البالغ ، وتجمله صبورة للأديب على مدى الأجيال واختلاف الأقطار .

وكتب الملاحظ التي خلفها شاهدة على روعة ثقافته وسعة علمه ، وصل بعضها وضاع كثير منها . وهي فيما يقول النقاد تنيف على ثلاثمائة وخمسين كتاباً ،

يدلّ قليلها على فيض أدبه وواسع معرفته ، فهي دائرة معارف كما يقول الغرييون .
 فيها من كل فن أعجوبة ، ومن كل موضوع جانب الخطر ، وهي أخرى بأن تنسب
 إلى عدد عديد من الكتاب ، لكثرة ما فيها من قمع ومعرفة وأدب ، لم تغفل
 شاردة أو واردة في ثقافة العصر . كأن عقله آلة مصورة مسجلة ، ترى وتسمع
 فتحفظ كل ما ترى وتسمع خلال السنين التي عاشها الجاحظ ، حتى أثقلت ظهره ،
 فناء بها ووهنت قواه ، فأصيب بفالج ، ألزمه البيت وأسلمه إلى الهرم فالنقاء .
 فأسلم الروح وقد ناض التسمين ، في منتصف القرن الثالث للهجرة ، وخلف دويّا
 في سمع الدنيا ، وترك آثاراً في خزائنا العربية تزهى بها على الأمم ، ونستصغر
 أدباء العالم إذا ما جمعوا وأديتنا الكبير في صعيد واحد من رسالة العقل
 والأدب والحياة .

هذه هي الجوانب التي رسمها الأستاذ الفاخوري في كتابه من حياة الجاحظ ،
 وأتبعها بفصل عرض فيه مؤلفات الرجل وتناولها بالنقد ، وأبان فضلها وأدبها ونفها ،
 وأسهب في البيان والتبيين ، والنجلاء ، والترجيع والتدوير ، والحيوان ، ورسائل
 الجاحظ . وانهى إلى عرض منتخبات من آثاره هذه ، قدم لها ، وعلّق عليها ،
 وشرح خامضا ، فاستوفى البحث ، وأدّى الأمانة . وقد كنا نتمنى على المؤلف
 أن يتم دراسته بنظرة الغريين والمستشرقين إلى أديتنا ، فيحلّ ويوجز ما وقع منهم
 في بحوثهم عنه ، كما فعل حين عرض نظرة العرب إلى آثاره ، وهو حين يفعل
 ذلك يرشد أبناءنا إلى آفاق لا يبلغونها بغير مرشد : بعوج على يروكيان وغيره
 من المعاصرين عن أدرجوا قائمة بمخطوطاته التي لم تطبع ، وآثاره التي لم تنشر ،
 وذكروا دراسات نافعة فيه تشير هممتنا إلى بحث جذبي جديد . لا يعتمد على
 نظرة العرب فحسب وإنما يتطلع إلى نظرة العالم الغربي ، حين يحلّ عباقرته
 ويستوفى البحث في آثارهم . ولكن هذه الهنة الصغيرة لن تقلل من أهمية الكتاب
 الذي وضعه المؤلف واستحق عليه الثناء والشكر .

شاعران معاصران

تأليف الدكتور عمر فروخ

بيروت ١٩٥٤ ، في ٢٦٠ صفحة

أما الشاعران فهما ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي ، عاش أولهما في فلسطين ، وعاش ثانيهما في تونس ، فهما يمثلان جناحي هذا العالم العربي مشرقه ومغرب ، تجمع بينهما صفات كثيرة جعلت منها موضوع كتاب واحد . فقد قضيا في ربيعان الشباب ، بعد أن حملا مرضاً خطيراً في جسيهما ، ثم لفظا أنفاسهما في مستشفى أجنبي ، غريبين ، فذاعت شهرتهما بعد موتهما وتناولت شعريهما الصحف والاذاعات نشيداً وغناءً ودراسة .

ولد ابراهيم طوقان في صدر القرن العشرين سنة ١٩٠٦ بنابلس ، من أسرة عربية في فلسطين وتلقى دروسه الجامعية في الكلية الأمريكية ببيروت ، فلما تخرج منها عاد إليها مدرساً بعض الزمن فما أطاق التدريس فيها ، وتقلب على غيرها من المدارس بنابلس ، واشتغل في الاذاعة الفلسطينية ، ثم أسنّاداً في بغداد . وقضى في المستشفى الفرنسي بالقدس سنة ١٩٤١ ، متأثراً بقرحة في المعدة حملها خلال حياته القصيرة كعمر الورد ، كما قضى فوزي المعلوم وأبو القاسم الشابي ، من قبل . فلم يختلف عنهما ، وإنما سلك مسلكهما ليخلف دويماً بعده وأمسى لنقده يتساءل الناقد في حرفة أن لو مدّ الله في أجل الشاعر لكان من الأعلام النوابغ ، ولكنها سنة الله في الآجال والأعمار .

وقد عرض المؤلف الدكتور عمر فروخ حياة ابراهيم طوقان في تفصيل دقيق لأنه رافقه في الدراسة والحياة ، وتبادل وإياه الرسائل والكتب ، فبسط لنا من دقائق عيشه ما لا يعرفه إلا أقرباؤه المخلصون ، وسرد لنا من حوادث حياته

ما يغفله التاريخ لولاه ، فأثبت نصوصاً من هذه الرسائل دعمها تقده ووصفه .
 وذكر من الصحف ما وقف عليه وتجمع لديه ، فال مؤلف مارس الصحافة وأصدر
 مجلة « الأُمالي » ، لذلك أكثر من الشواهد والدلائل ما يصلح أن يكون
 تأريخاً للأدب المعاصر في فلسطين ولبنان فوق أنه تأريخ مفصل لحياة صديقه
 الشاعر ابراهيم طوقان . ولم يفت الناقد أن يورد مختارات من شعر الشاعر
 قبل أن ينشر على الناس ديوانه ، فتفرد بذلك وصبق إلى إثبات قصائد في
 روايات تختلف عما نرى في ديوانه المنشور اليوم ، وقدم لها وعلق عليها . وقد
 عرفنا صدق الوطنية عند شاعرنا ووقوفه للمتعمر الانكليزي في فلسطين وغير
 فلسطين ، وقرأنا له قصائد وطنية أصبحت اليوم أناشيد للمغرب والشام ولبنان
 تفيض بالجرأة والصراحة والقوة على أسلوب غربي من التفكير وبيان عربي في
 الصيغة والتعبير ، وذلك الى شعر في الغزل جميل رقيق ، وفي الوصف دقيق
 رشيق . فقد رسم مهنة التعليم التي مارسها بما لا يلحقه في الرسم لاحق ، فغلب
 عليه طابع السخرية والغمز بلغه بذكاء عبقري ، وسينكون له أثر بعيد في
 الأدب إذا ما تناول الدارسون ديوانه وأخباره بالتأليف والنقد والتحليل . ولا شك
 في أن أقوى مصادره يجدها الباحث فيما كتب عنه الدكتور فروخ في هذه
 الصفحات فهي ثمينة قيمة غالية لأنها مذكرات شخصية بين أديبين وزميلين ،
 نرجو أن ينشر أمثالها لتعيننا على دراسة العصر الحاضر وأدبائه .
 وأما أبو القاسم الشابي فقد كتب فيه الدكتور فروخ صفحانه عما قرأ في
 الصحف ودرس في كتاب أبي القاسم محمد كرو عنه ، ولكنه جود في عرضها
 وتلخيص حياته الشقية البائسة . فقد ناضل هذا الشاعر كذلك ضد الفرنسيين
 وتحمل آلام المرض ومات رحمه الله في المستشفى الإيطالي جنوبي عن عمر
 لا يتجاوز ستاً وعشرين سنة . وقد خلف لنا كذلك ديواناً لما يطبع الى اليوم ،

ولكن مختارات منه ظهرت في مجلة (أبولو) ، وجريدة « الامام » للسحر في مصر وفي غيرهما من الصحف . وهي تدل على إعجاب الشاعر بأدباء المهجر واتباعه خطواتهم وترسمه للآمي كثير منهم ، فأغرق في التشاؤم والصوفية والرمز ، فكان صورة لكثير من هذا الشعر الذي تقرأه في الأدب المهجري . ولكنه تنزل فكي في أمي وحرقة حبه اليأس البائس على طريقة الرومانتيكيين من الفرنسيين . ووصف الطبيعة فأبدع فيها ، ولكنه حلق في قصائده الوطنية لأنه استجاب الى داعي النضال في قومه ، وراجت اليوم في علمنا العربي لأنها تصف هذا الصراع الذي يحياه العرب ضد المستعمر . وربما كانت أناشيده في تونس قسماً أشد رواجاً وأمنع في التحليق لموقف أمته في كفاحها لهذه الأيام . ولا شك في أن الشاعرين « طوقان » و « الشابي » يحملان في ديوانيهما صوراً لمستقبل الشعر العربي تحفز نحو الجديد وتنحس بالآلام الأمة ، وتصف ما يقع تحت بصرها ، فتسير نحو الإبداع والاختراع ، إلى أن يتاح للجيل المقبل من الشعراء في إكمال خططهما ومتابعة نضالهما للوصول بالشعر العربي إلى ذروة الشعر العالمي ، وبجارية الشعر المعاصر في الغرب لكثير من أغراضه .

وقد كشف هذا الكتاب عن كثير من نواحي هذين الشاعرين ورسم دقائق هامة من سيرتهما ، وأثبت مختارات جميلة من شعرهما ، مما ينفع في تاريخ الأدب الحديث ، فاستحق مؤلفه ثناءً وشكراً ليدع وجهه .



الشعر العربي في المهجر

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

القاهرة ١٩٥٥ ، في ٢٩٥ صفحة

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تزع كثير من اللبنانيين والسوريين الى البلاد الأمريكية ، انتجاعاً للرزق ، أو هرباً من الظلم ، أو سعياً وراء آفاق جديدة في الحياة ، منها الشهرة والحرية ، فقد كانت أمريكا تغري بالهجرة ، وترحب باللاجئ وتفتح أمامه دروب الكسب والحياة . فلما هبطها هؤلاء الشرقيون حملوا معهم في صدورهم صور البلاد التي ترحوا منها ولغة الأمة التي نبتوا فيها ، وحبّ الربوع والأماكن التي عرفت نشأتهم وصباهم . لذلك عاشت أخلاقهم القديمة وما آكلهم المعروفة وحياتهم الموروثة في أقطارهم الجديدة سواء في أمريكا الشمالية أو الجنوبية .

وكان من ذلك أن تشكلت جاليات عربية في الدنيا الجديدة الى جانب الجاليات الأوروبية ، تمسك بتقاليدها خلال جيل كامل ، وتنقل عاداتها الى أبنائها وتؤريهم ، جهد الطاقة ، ما ورثت من أغان وصير وآداب . فلما قامت بينهم الصحف والمجلات باللغة العربية راحت تنقل من أحوالهم ونصف ما يقع لهم ، وما يحلو لهم أن يعلموا من أنباء وأخبار ، وما كان شعراؤهم يصوغون من الأشعار . وكان هذا الشعر عربياً لا يختلف عما كان ينشده إخوانهم وزملاؤهم في المشرق وخاصة في لبنان وسوريا من حيث المعنى والمبنى ، أول الأمر . ثم مالبت بعضهم أن طرق موضوعات غربية بأسلوب عربي ، كأنه يحاول التجديد . ولكن هذا التجديد نفسه استقى فيما ترى من بنايع لبنان وسحر الأندلس وصفاء الشام ، واختلاف قوة وضعف وإشرافاً وعموماً . وعجز آخر الأمر عن خلق أدب جديد يسير ركب الغرب أو يناقش الآداب الأجنبية للقرن العشرين .

وهكذا أخفت كثير من هذه المحاولات التي بذلها أبناؤنا في المهجر لاحتلال
الذرى وتساق جبال الوحي الجديد الغربي ، لأن الأجنحة ما تزال لينة ضعيفة
لا تمين على النهوض بهذه الأعباء الجسام والتخليق في السموات الغربية ، ولأن
الثقافة الأجنبية لم تتغلغل في صميم هاته القلوب العربية ولم تسر في دماء هؤلاء الشعراء ،
فقد كانوا يطيلون الوقوف عند معانينا القديمة ومواضيعنا الجديدة ، وكانوا
ينشدون الشعر ليتلى في منابرنا ويذاع في ندواتنا .

وهذا الأدب المهجري - إذا صح التعبير - جدير بالدراسة والنقد والتأريخ ،
فهو يمثل الأدب المخضرم الذي أخذ من القديم كثيراً من مبادئه وأخذ من الجديد
كثيراً من معانيه ، فلن يستطيع مؤرخ الأدب أن يجعله في القدماء خالصاً ،
ولن يجعله في الغربيين خالصاً كذلك ، وإنما هو أدب جديد يجب أن نكشف
فيه عن حياة هؤلاء الأعلام وآثارهم وتأثرهم بالأجواء التي عاشوا فيها ، والأهداف
التي يرمون إليها ، ويعلمون عنها في مجتمعاتهم ونواديبهم ومصيبتهم .

ولم تقع على كتاب يشبع هذا البحث درساً وتحليلاً ، فيوازن بين الشعر الجديد
في سوريا ولبنان وبينه في المهجر ، ذلك لأن الدواوين في المشرق لم تطبع
طباعة علمية كاملة ، والشعراء فيه ما يزالون في تردد الخجل بطبعون إلى ألوان
جديدة يضيفونها إلى دواوينهم لعلها تمثلهم تمثيلاً صحيحاً .

أما في المهجر فقد طبعت هذه الدواوين طباعة مشرقة ملونة ، فتبجح للناقد
أن يختار منها وأن يتناولها بالدرس والبحث ، وهذه كانت مهمة هذا الكتاب
الذي سطره الشاعر الناقد الأستاذ محمد غيد القتي حسن . فقد جمع « باقات
من الشعر » على حد تعبيره ، لكل شاعر عربي من الأمريكيتين ، وعرضها
عرضاً في هذا الكتاب ليمثل كثيراً من الألوان التي طرقتها شعراء المهجر ،
وقدّم بين يدي كل باقة عطرة بما كان لصاحبها من نشأة وثقافة وإطلاع ، في

سطور تتجاوز الصفحتين والثلاث أحياناً لترجمة كل شاعر منهم . فهي أقرب الى التعريف بهؤلاء الشعراء والتنويه باسمهم .

وقدّم بين يدي ذلك كله بدراسة نقدية تقارب المئة من الصفحات ، عرض فيها لتأثر هؤلاء الشعراء بالمعاني الغربية والعربية وبسط ما للدين والتصوف والضحك والبكاء من صور في شعرهم وأثر في تفكيرهم . ثم تناول الأوزان والأساليب ونساءل عن الحياة المادية في أمريكا وتقودها إلى شعرهم ، وانتهى إلى رغبة كثير منهم في التفلت من القيود والتسامح في اللغة ، « وارتكاب الضرورات التي لا بلجاً إليها الشعراء المحافظون إلاّ كارهين » .

وقد يخرج القارئ من هذه المقدمة البارة الى صورة تشبه صورة الشعر اللبناني والسوري في المشرق في جملتها . فكان هؤلاء الشعراء لم يفارقوا ذرى لبنان ووديان الشام ، ولم يترحوا الوطن ولم يستظلوا بناطحات السحاب ، وفي ذلك فضل لا ينتقصه منصف : هو أنهم حافظوا على لغة الأجداد ونظموا في قوافيهم وأوزانهم ، وعكفوا على صورهم وتشبيهاتهم ، لأنهم عاشوا مع الكتب القديمة والدواوين في بيوتهم ، وعكفوا على التجارة وكسب الرزق في ميادين الحياة الأمريكية . فلم يخلصوا من شعر المناسبات في رثاء ومدح ووصف ، ولم يخرجوا عن تقاليد المشرق في تحية الزعماء وتأبين المخلصين والقادة ، فاشتركوا في حياة الأمة العربية على ما بين الوطن والمهجر من فرق في المسافة والمكان والأغراض . ولذلك كان من فضل الناقد المؤلف أنه أرّخ لهذا الجناح من الشعر العربي المعاصر قبل أن يكتب ناقد في الجناح الشرقي ؛ فأفاض في الإعجاب بلغتهم وأسلوبهم ومعانيهم وقد خالف في ذلك رأي الشاعر عزيز أياظة شريكه في تقديم هذا الكتاب . ومن العجيب أن يشترك شاعران في بحث منشور وأن يختلفا الى أبعد حدود الاختلاف ، فقد رأى الشاعر أياظة ان « شعراء المهجر لم يفتحوا آفاقاً جديدة في الفن عجز عن الصعود إليها اخوانهم في لبنان ، وأن

الأدب المبهجري لم يتبلور بعد ، ولم يتخذ له صورة واضحة المعالم ، بحيث يفرد له أثر بعيد المدى في تطور الأدب العربي المعاصر» .

والشاعر أباطة يجد أن الشعر المبهجري كالشعر الأمريكي بالنسبة إلى موطنه الأول ، فإن الأدب الأمريكي لم يبلغ بعد مرحلة التآلق وإن كان في طريقه إليها .

وبعد ، فلا شك في أن هذا الكتاب خطوة جريئة في رسم مختارات هؤلاء الشعراء تتصدرها مطور في تعريفهم وتتقدمها صفحات في وصف أدبهم ، ترجو أن تتبعها خطوات علمية في تأريخ هؤلاء الأدباء وبسط مراحل عيشهم ، والموازنة بينهم في الشمال والجنوب ، والبحث عن أثر ثقافتهم ونشأتهم في أدبهم ، وتطور هذا الشعر في مراحل حياتهم ، فلبس من الخير أن نعيش معاصرين من غير أن نسجل الرأي ونسطر النقد ، فنظم الجيل وأدباءه . وطينا أن نتأثر القدماء فنقد الموازنة والوساطة والمفاصلة لشعراء عصرنا قبل أن يعنى النسيان ونخون الذاكرة وتضيع النصوص . ولهذا يستحق الأستاذ المؤلف محمد عبد الغني حسن كل شكر وثناء .



الموشحات الأندلسية

تأليف الدكتور فؤاد رجائي

حلب ١٩٥٥ ، في ١٣٦ + ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير

قبل أن يحضر القرن الأول للهجرة ، أقدم العرب على فتح الأندلس ، وتم لهم بذلك ملك ربوع كثيرة من آسيا وأفريقيا وبعض أوروبا . فتوسعت رقعة الحكم ، وشاع الغنى وكثر الترف ، وانصرف الأدباء إلى النشيد والغناء ، يرسلون قصائدهم في بحور كثيرة من الشعر . فلما ضاقت بهم هذه البحور اخترعوا

«الموشح» متأثرين بالموسيقا والغناء ، كانوا عرفوا مفتاح الاختراع في العروض فقلدوا الخليل وساروا على خطاه وجددوا فأضافوا إلى الأوزان المتداولة شعراً لا يحدّه وزن واحد أو عروض واحدة ، فهو واسع كالبحر نفسه يخوض فيه القائلون بحرية واسعة معتمدين على اللّحن والآلات . وهذا الفن الجديد نما في الأندلس وترعرع في غيطاته ورياضه وقرب جداوله ، فكان له رواج كبير سجل في أدبنا صفحات لامعة جديرة بالدراسة والنقد والتأريخ . وقد انصرف القدماء إليه فألف ابن سناء الملك «دار الطراز» وكتب الصفي الحلبي كتاباً في فنونه ، وأنشأ غيرهما في التعريف به وتأريخه ، حتى كان العصر الحاضر فالتفت المستشرقون إلى دراسته وفهم «هارتمان» وغيره ، وكان من الخير أن يكتب الدارسون عندنا في الإشارة إليه ، والبحث فيه ، والتعرض لموسيقاه .

ومن خير الكتب المتأخرة التي صدرت في باب هذا الكتاب ، ألّفه طيب وقف درسه على الجراحة ، وانتقل منها إلى الأنغام ، فحشق الموشح وأخذ به ، وأراد أن يعود مع الماضي إلى نشأته وتطوره فكان منه هذا التأليف الطريف . جعل فصوله الأولى للتاريخ العربي في الأندلس ، فبسط الفتح والحكم والدول ، وعرض للأمويين ثم العباسيين ليرسم ملوك الطوائف في تفصيل يكاد يستنفد ما في تواريننا المطبوعة في الشرق ، وذلك ليبلغ إلى الحديث عن الشعر في هذه الربوع ، فقد نقل عن القزويني قوله : «قل أن ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يماني الأدب ، ولو مررت بفلاح خلف فدانه ، وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه وفي أي معنى طلبته منه» . وضرب الأمثلة لهذا الشعر في العهد كآها حتى سقطت غرناطة في يد الأسبان سنة ٨٩٢ هـ ، في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد .

وانتهى إلى أن «زرياب» وفد على الأندلس قادماً من العراق ليحمل إلى إخوانه . في الفردوس الجديد مواهبه وعبقريته في الموسيقا ، فأضاف إلى ما عندهم

قاعدة جديدة في الغناء ووضع القواعد في تعليمه فكأنه أنشأ أول معهد موسيقي في هذه البلاد ، ثم بين فضل الرجل على اختراع الموشح في الأندلس .
وعقد المؤلف فصلاً في الإيقاع واللحن والغناء ، وفصل الأمر فيها حتى استوفى ما يريد من براهينه الموسيقية وأوزانه الغنائية ، لينتهي إلى تقطيعه وأقفاله وأغصانه وما يوافق ذلك من الألحان في أمثلة شعرية جميلة موفقة ، فاستغرق بذلك القسم الأول من كتابه في ١٢٦ صفحة .

وقد جعل القسم الثاني لإثبات نصوص الموشحات مع رسم ألحانها بالعلامات الموسيقية العربية (النوتة) تقريباً لما من أذهان الغربيين والمستشرقين الذين يريدون أن يطلعوا على موسيقانا العربية وشعرنا القديم الذي كان يغنى ، وفن الموشح ، ليؤمنوا أن العرب شاركوا في بناء الموسيقى العالمية ، وهدفوا إلى رفعتها خلال حضارتهم ونهضتهم . وهذا الرسم الموسيقي دونه السيد نديم علي الدرويش ، فخدم بذلك الموشح في ميدانه الموسيقي وعمل مع زميله على نجاح الكتاب .
ولذلك نرجو لهذا المؤلف رواجاً عند أبنائنا ، يتطلعون فيه إلى اختراع الأجداد في الموشح وبراعتهم في فنونه ، ويقرءون هذا الشعر المختار الرقيق ، وينظرون إلى الألحان والموسيقى نظرتهم إلى تراث قديم يجب أن نعمل على وعائه وحفظه وبمسه والاعتزاز به ، وشكر من يقوم بالكتابة فيه . وفق الله المؤلف الدكتور رجائي إلى ما فيه رفعة الموسيقى العربية ، وجزاء خيراً على ما بذل من مال وجهد .

الشيخ نجيب الحداد

تأليف الأستاذ عادل الغضبان

دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٣ - صفحاته ١١٠

راجت في السنين الأخيرة طريقة جديدة في الترجمة لأعلامنا لم تكن من قبل . فقد قام في الشام ولبنان ، مؤلفون بكتبون في القدماء والمحدثين سير الأدباء والفلاسفة والمؤرخين على نمط من التحقيق العلمي يستثير الإعجاب . فيه وصف للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية التي عاش فيها هؤلاء الأعلام ، وفيه بسط لدقائق هذه الحياة ، واعتماد على نصوص قديمة وحديثة تنكح على الاستقراء والاستنباط كما يفعل الغربيون سواء بسواء . من ذلك ما ألف الأستاذ خليل مردم بك في التوزدق وجريز وغيرهما ، وما ألف المرحوم الجندي في ابن المقفع وأمرى القيس ، وما كتب الأستاذ فؤاد البستاني في سلسلة الروائع . وقد أرادت دار المعارف في مصر أن تقوم بنصيبها في ترجمة الأعلام والتأليف في سيرة حياتهم ، فكان منها مجموعة صالحة ، فيها هذا الكتاب .

رسم فيه مؤلفه الأستاذ عادل الغضبان الحركة السياسية للنصف الثاني من القرن التاسع عشر في لبنان وسوريا ، فوصف الحال التي كانت تسيطر على هذه الربوع ، وعرض للنفوذ الأجنبي فيها وما كانت تقاسيه الأمة العربية من احتلال وانحلال وضنك وبؤس وضيق . فقد تمارر عليها ظلم الأتراك والانكاذ والفرنسيين ، وفث في عضدهما فتن وفلاقل وثورات ومذابح ، اضطرت كثيراً من المفكرين إلى أن يتزحوا إلى مصر ، ففيها معان جديدة من حرية وحقوق ونظم للحكم جاءت عن سبيل اتصالها بالغرب ، فخرت فيها الأقلام وسالت فيها القصائد وراجت فيها الصحف ، وقامت مسارح التمثيل ، وانتشرت الترجمة ، فظفرت المكتبة العربية بنفائس من كتب الغرب ، واتسعت آفاق المعرفة في

القطر المصري ، وتوفرت المطبعة على إخراج كثير من الكتب نفعت المتعلمين وزادت في عدد المثقفين ، فكان نشاط كبير يبشر بخير للغة العربية وأبنائها . وكان في جملة الواقدين إلى أرض الكتانة أميرة الحداد ، فدخل الصبي نجيب الحداد مدرسة الفرير بالاسكندرية ، وعاد مع أهله إلى لبنان حين اندلعت الثورة العراقية فأكمل علومه ببيروت ، ثم عين أستاذاً للعربية والفرنسية في بعلبك ، ولكنه بعد عام واحد أجاب دعوة صاحب «الاهرام» بالاسكندرية ، فهاجر إلى مصر ، يكتب في الجريدة ويترجم زهاء تسع سنوات ، ينشئ بعدها جريدة «لسان العرب» مع أخيه وصديق له . وينصرف إلى الكتابة في الصحف والمجلات والتأليف والترجمة ونظم الشعر ، في جدته وكفاح ليعيش مما يدره عليه قلمه إلى أن أنهكه العمل ، فدب إلى صدره الداء حتى غلب العلم ، وطفا عليه فأسلم صاحبه إلى الموت (في شهر شباط سنة ١٨٩٩) ، وهو في ربيع العمر لم يتجاوز الثانية والثلاثين من سنه . صرفها في الدرس والتحصيل والتأليف والترجمة ، رفيقاً للمعابر والأوراق ، يصبحها نهاره وأكثر ليله ، ليخلف في الأدب الحديث صفحات تنطق بنبوغه ومواهبه ، وتخلده في ركب النوابع ، وتحميه من أسرته محل الوارث الأمين ، فقد كان أبوه شاعراً للأمير بشير الكبير ، وأمه من بيت اليازجي ابنة الشيخ تاحيف . فأخذ عن هذين البيتين فضيلة الكتابة ونعمة الفهم ، وتأثر خطواتهما ، كما فعل النوابع من شعرائنا القدماء يروون لغبرهم ثم يروي عنهم الشعراء والأدباء .

كذلك كان نجيب الحداد ، إذ خلف ديواناً من الشعر هو «تذكار الصبا» وقصصاً وروايات تمثيلية تبلغ الثلاثين عدداً في عدد السنين التي عاش ، فكانته بعد العشرين جعل لكل سنة ثلاثة من الكتب عدا ما كان منه من مقالات ومقطعات . ويبدو أن النثر والشعر اجتمعا في نصرة عبقرته فجملته في الكتاب والشعراء المرموقين لعصره وبعد عصره ، فهو مشرق الديباجة في نثره وتأليفه

يترجم كما ينشئ ويكتب كما ينظم في سليقة وإبداع وفطرة وبديهة ، ويتناول مواضيع شتى من سياسة واجتماع وتمثيل ، فيشارك المصريين الوطنيين في عاطفتهم ضد المحتل ، وينهض بسبب الكاتب الاجتماعي الذي يصور المفاصد ويقترح السبل الرشيدة لحياة حميدة سعيدة .

وأظهر ما في آثاره ديوانه ، فقد كان فيه مجدداً ، يجمع بين الفكرة الطريفة والأسلوب المتين ، فينشئ شعره في خلجات النفس ونجوى الفؤاد . فيؤدي ما لقلبه عليه من دين وما لشعوره عنده من هزة ، ويروي غليل المثقف الطموح فينشئ في المسرحية شعراً نراه من أوائل الأعلام الذين اشتهروا في أدبنا الحديث . وينتهي المطاف بالشاعر عادل الغضبان وهو يتحدث عن الشاعر الكاتب نجيب الحداد بعد أن يستوفي الكلام في أربعين صفحة ، ليختار من آثاره ويعرض من نتاجه ، في ذوق لطيف وعرض جميل ، يحلبه بالتعليق ، والتفسير ، والشرح ، والموازنة ، والتقديم ، فيبلغ بستين صفحة ما رسمه لكتابه . ويخرج القارئ من هذه الصفحات وهو على وقوف تام من حياة العصر والرجل وآثاره ، لا تفوته غاية ولا ينقص عليه تقصير ، فقد كتبت في أسلوب الأديب المحقق ، ورشاقة الشاعر الأريب ، وبلاغة الناقد المتعمق ، وإحاطة المؤرخ الأمين ، لذلك نشكر له يده في التأليف وبراعته في الترجمة ونستزيده في العمل لمؤلاه الأعلام ، جزاء الله عن العريية كل الخير .

الدكتور سامي الدهان

تاريخ مصر ١٣٨٢ - ١٤٦٩

القسم الثاني ١٣٩٩ - ١٤١١

ترجمه الى الانكليزية من حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي

الأستاذ وليم بوبر William Popper

مطبعة جامعة كاليفورنيا ١٩٥٤

بين يدينا القسم الثاني من تاريخ مصر الذي ترجمه الى الانكليزية الأستاذ وليم بوبر وينضم حواث ١٣٩٩ الى ١٤١١ في حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي المعروفة باسم «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» . وكنا أتينا في (ص ١٥٠ جزء ١ مجلد ٣٠) على ذكر القسم الأول من الفترة التي يقوم الأستاذ بوبر بنقلها الى الانكليزية وتبدأ في ١٣٨٢ أي بحكم السلطان يرقوق أول السلاطين البرجية أو الشراكسة . وقد نشرت جامعة كاليفورنيا هذا القسم الثاني كما نشرت القسم الأول في سلسلة منشوراتها في النبلولوجيا السامية .

يشتمل كتاب النجوم الزاهرة على تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامي حتى عام ١٤٦٩ وهي السنة التي سبقت موت المؤلف . غير أن المترجم الأميركي اقتصر على نقل القسم الأخير من هذا التاريخ الى الانكليزية وهو القسم الذي شهد المؤلف معظم حوادثه بنفسه وقد أراد المترجم أن يقدم الى قراء الانكليزية نموذجاً من كتابة التاريخ عند العرب من قبل مؤلف مطلع على العصر الذي يكتب عنه . ويتناول هذا القسم الثاني الذي بين يدينا حكم الملك الناصر فرج (١٣٩٩ - ١٤١١) وينتهي بمقتله ومن الحوادث التي يرويها بالتفصيل دخول تيورلنك الى حلب ودهشق والفظائع التي رافقت دخول الناجح المغولي .

وقد أخذ المترجم المواد التي ترجمها عن المجلد السادس للنجوم الزاهرة ولكنه لم يذكر الطبعة العربية التي أخذ عنها وربما كانت طبعة جامعة كاليفورنيا .

ووضع المترجم أرقام صفحات الأصل المصري في الحواشي وكذلك تاريخ الحوادث بالسنين والشهور الميلادية كما وضع في رأس كل صفحة تاريخ السنة الهجرية التي تحصل فيها الحوادث واسم السلطان الحاكم . وهوامش الترجمة خالية من الايضاحات والتفسير المتعلقة بالمصطلحات الواردة في النص ، وفيما سوى ذلك فان الترجمة دقيقة مضبوطة والطباعة متقنة . ولعل المترجم ترك الفهارس اللازمة بأسماء الأعلام والمواضيع والأماكن الجزء الأخير لأن الجزئين الأولين ليس فيهما فهارس .

مورج هداد

مورج هداد

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني

الناشر : هلموت ريتز

طبع في استنبول بمطبعة الحكومة ١٩٥٤

ان كل مشغل بعلوم البلاغة ليتقبل هذه النشرة الكثيرة الفوائد بقبول حسن لما فيها من التصحيح والتصويب ، وقد أشار في خاتمة مقدمته الانكليزية الى نشرة المنار المصرية الأولى والثانية لأسرار البلاغة ، وذكر المخطوطة الطرابلسية التي اعتمد عليها صاحب المنار ، وما قام به الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده وصاحب المنار والشقيطي من تصحيح هذه المخطوطة وتقوم عباراتها ، بعد معارضتها بنسخة أخرى من الأسرار وجدت في إحدى دور الكتب الاستنبولية ، ولم يعين صاحب المنار هذه النسخة ، وأما الناشر الفاضل ريتز فقد اعتمد في نشر أسرار البلاغة على مخطوطات أربع ، أقدمها مخطوطة خسرو باشا التي روى اليها بحرف H ، وقد كتبت في جبل الصالحية بدمشق سنة ٦٦٠ للهجرة ، واتخذها أصلاً لهذه النشرة الحديثة ، وما بها من نقص أكمله من المخطوطات الثلاث المنقولة عن هذه النسخة الوالدة . . .

والمخطوطات الثلاث الأخرى من : مخطوطة فيض الله المنسوخة سنة ٩٤٧ هجرية ،
وقد رمز لها بحرف F ، والثانية المخطوطة الحميدية ، وقد رمز لها بحرف D ،
وهي مجموعة كتب ثلاثة أحدها أسرار البلاغة المكتوبة سنة ٩٤٢ هجرية ،
والثالثة مخطوطة مراد ملا المرموز لها بحرف L ، وقد كتبت ما بين القرنين التاسع
والعاشر للهجرة ، وقد أشار الناشر الى هذه المخطوطات بحروفها الرمزية والى
عباراتها المختلفة بدقة بالغة . وان لم يبين أحياناً لنا العبارة الصحيحة التي هي
أشبه بأسلوب الجرجاني ، وأوضح لمعناه ، وكثيراً ما يجد الإنسان عبارة المنار
التي صححها الأستاذ الإمام موافقة للنسخة الخسروية الأصلية ، أو هي أقوم قبلاً .
وأما شواهد الاسرار فقد أرجعها الى دواوينها وقائلها ، وذكر أسباب قولها مع
ترجمة وجيزة لكل شاعر وتاريخ وفاته ، وان لم يوجد البيت الشاهد في الديوان
نبه على ذلك ، وبذلك على مالقيه الناشر من جهد ونصب في تحقيق الاسرار
ذكره الشاهد في مظانه العلمية والأدبية مع بيان الصفحات ، وقد يبلغ عدد
هذه المظان نحو الثلاثين ، مما يدل على أن الناشر كمادة المستشرقين قد احتشد
لهذه النشرة بذكر اختلاف النسخ الأربع ، وترقيم الشواهد الشعرية لأحسانها ،
وترقيم سطور النص في كل صفحة بوضع رقم لكل ثلاثة أسطر ليسهل الرجوع
الى عبارات النسخ الأربع المعتمدة ، مع العناية بالفهارس الدراسية التي تبسر
الدرس والمراجعة ، منها جدول للتصويبات والاستدراكات ، وفهرس للشعراء مع
صفحات شواهدهم ، وفهرس للأشخاص الذين مر ذكرهم ، وفهرس لصدور الآيات
وآخر لقوافيها مما يوقع الباحث على ما ينشده ، وفهرس للآيات وآخر للإحداث
والأمثال والحكم وأقوال الناس ، وفهرس لأسماء الكتب المذكورة في الحواشي .
ومما نستدركه على جدول استدراكاته تصحيحه لضبط بيت المرقش الأكبر :

النشر منك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عتم

فهو في الكتاب هكذا صحيح الضبط الشعري ، لا النحوي ، لأن (دنانير) ممنوعة من الصرف ، وقد رأى الناشر أن البيت مخالف لقواعد النحو فحذف التنوين من دنانير ، وهي مصروفة لوزن الشعر ، والرواية على صرفها .

وذكرنا أن المستشرقين يهتمون الاهتمام كله بجمع النسخ المختلفة - كما كان دأب سلفنا العربي الصالح - وبذكر اختلاف عبارات هذه النسخ الممنوعة ، وجلهم لا يهتم بترجيح العبارة القريبة التي تلائم المعنى العلمي الصحيح ، ونظم الناشر إن اطلقنا عليه هذا القول ، إلا أنه مما سها عن ترجمته لتصحيح المتن وتوضيحه ما جاء في الصفحة الثامنة تذكره على سبيل المثال : «نقد تبين لك ان ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن» هذا هو نص النسخة الخسروية بتقديم (إلا) على (مستحسن) ، وفي النشرة المنارية هكذا : «... لما وجد فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن» وعليه المعنى الصحيح .

وهذه النشرة أصح يحملها متنا من النشرة المنارية ، وأذكر لك على سبيل المثال ما جاء في النشرتين نشرة المنار وهذه النشرة من القول بمد بيت الفرزدق : وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

ففي نشرة المنار : «فانظر أبتصور أن يكون ذلك للفظ من حيث أنك أنكرت شيئاً من حروفه أو صادقت وحشياً غريباً أو سوقياً ضعيفاً ، أم لبس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر ...» وعبارة الخسروية في هذه النشرة : «... أبتصور أن يكون ذمك للفظ ...» وهو أجلى وأعلى ، وقد يكون من غموض التعبير يحثك عن مرجع المشار إليه والضمير .

ومن السهو في شكل المتن قوله في الصفحة ١٨ والنظر الثامن : «انصرفت عن ظنك الأول ، وزلت عن الذي سبق من التخيل» والصواب (وزلت) بضم الزاي لأنها بمعنى تحوّل ، وكنا نقى لو أن الناشر عني بنقط الباءات

للتفريق بين (علي) العلم و (علي) حرف الجر فيضع نقطتين تحت الياء المسبوقة بكسرة ، والمفتوح ما قبلها يجرّد من النقط ، كما ينقط الياء المسبوقة بسكون ، ولكنه جرّد الياءات كلها من النقط مثاله (١٢ / ٢١) : « وكأنها الديباج الخسرواني في مراى الأَبصار ، ووشى اليمين منشوراً على أذرع التجار » .

هذا ولا يزال كثير من عبارات المتن التي قوّمها التصحيح بممارسة النسخ بالخسروية في حاجة الى شرح بتبر لطلاب الآداب ما غمض عليهم من معاني الكتاب ، وذلك لا يمنعنا من الثناء الأطيب على هذا المستشرق المولع بنشر آثار أجدادنا ، وقد عرفناه بآثاره الممتعة ، ويبض أياًديه على الأدب العربي ، وله بهذا الكتاب الذي بذل جهاده في نشره الحسن فضل مذكور وسعي مشكور .

التوضي

م

محاضرات في اقتصاديات سورية

للدكتور أحمد السمان

نشر معهد الدراسات العربية العالية ، الملاحق بجامعة الدول العربية محاضرات في « اقتصاديات سورية » ألقاها الدكتور أحمد السمان مدير معهد الحقوق ، وأستاذ علم الاقتصاد ورئيس الجامعة السورية بالوكالة ، على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية العالية في الجامعة العربية ، بحث فيها عن الحياة الزراعية والصناعية ، والتجارية ، والتغذية في سورية ، والتعاون الاقتصادي العربي .

وقد خص الزراعة السورية بحث عن الأراضي السورية والأراضي المستثمرة منها ، وتربتها ونسبة أمطارها ، وكية مياه أنهارها ، وطريقة الاستثمار ، والملكية المشاعة ، وعدد سكانها ، وبين أعمال الحكومة في مساعدة الزراعة من الوجهة المالية ، وتوسيع شبكة الري ، ومقدار الإنتاج الزراعي من الحبوب والبقول

والقطن والتبغ والشحندر والزيتون والخضر والفاكهة ، وذلك من المصادر الحكومية ، وقد أجاد في بحث ذلك -

وبحث عن الصناعة السورية البتية ، واستعرض بإيجاز في الألفاظ ، وكثير من المعاني ضرر الانتداب الماضي على البلاد ، وفوائد الاستقلال الوطني ، وعن إعفاء الآلات الصناعية المستوردة ، وخواص الأراضي السورية ، وإمكانية وجود البترول ، وضرورة زيادة القوة الكهربائية ، وقلة رؤوس الأموال التي سببت ارتفاع فوائد الديون ، وغلاء أسعار الوقود وبين أنواع الصناعة الرئيسية في البلاد كالمطاحن والقونسروة والزيت والسكر والتبغ والامنت والزجاج ، والفزل والنسيج ومصناعات صغيرة أخرى ، وإنتاج كل منها ، وقد شكك من ضيق الأسواق ، وارتفاع أسعار الانتاج ، الأمر الذي حال دون مزاحمة الانتاج الأجنبي ، ودون تصديره كما ينبغي ، وقد كان موفقاً في هذا البحث الدقيق ، ولعل الحكومة تزيد في اهتمامها ، بفتح أسواق جديدة للصناعة السورية .

ولما بحث عن التجارة السورية ، ذكر المصاعب التي أوجدها الانتداب ، وأن الانتداب كان همه بسط السلطان السيامي ، والاحتفاظ بالبلاد للانتاج الفرنسي ، ثم بين المقادير المصدرة والمستوردة ، وإن الجمارك كانت للحصول على الأموال ، للإملاء صندوق المفوضية الفرنسية ، على أن الحكومة السورية عندما استقلت صارت تعقد الاتفاقات التجارية ، وخاصة الاتفاقات التي عقدتها مع البلاد العربية ، وأنها أحيت مرفأ اللاذقية ، وأصدرت المرسوم رقم ١٥١ الذي عود التاجر السوري على الاتصال المباشر مع الأسواق الخارجية .

ثم أفرد بحثاً عن العلاقات الاقتصادية بين سورية ولبنان ، واستعرضها منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى انتهائه ، ومنذ ذلك الحين حتى اليوم ، وأوجز الاتفاقات التي جرت بين الطرفين ، وهو يجيد قيام اتحاد اقتصادي بينهما بلائهم

مصالح البلدين ، وهذا ولا ريب خير للطرفين ، إنما تنفيذه يحتاج الى وقت تتقارب فيه القلوب ، ويقنع كل من الفريقين بفائدة ذلك الاتحاد .

ثم بحث عن النقد السوري من أول الاحتلال الفرنسي ، حتى انتهائه ، وكيف وضعت فرنسا يدها على القطع الأجنبي الذي كان الحلفاء أعطوه الى مكتب القطع ، لأخذ ورق نقدي سوري بدلاً منه لصرفه في البلاد ، وكيف أن فرنسا أوعزت الى مصرف سورية ولبنان سنة ١٩٤٨ فأعلن أن الليرة السورية قد فقدت قوتها الايراثية في لبنان ، وأن الحكومة السورية قامت بما يجب عليها بجمعات النقد السوري قوباً ، ومالاً لإقامة نظام اقتصادي . وهذا هو واقع الحال .

وألقى الدكتور السمان محاضراته بالبحث عن الوحدة الاقتصادية العربية ، واستعرض المباحثات التي جرت بين الحكومات العربية ، ثم قال بضرورة الوحدة الاقتصادية العربية ، لرفع مستوى العرب الاقتصادي والسياسي ، وإني أعتقد أن البلاد العربية تحتاج الى استقرار وهذا لا يكون إلا بالوحدة الاقتصادية والسياسية معاً .

الحق إن الدكتور السمان كان موفقاً في محاضراته هذه ، وقد كانت مادتها جريئة وإن الحلول التي قال بها هي الحلول المعقولة ، ورجاؤنا أن تعيرها الحكومات العربية أذناً صاغية ، لأن البلاد العربية في أشد الحاجة الى إصلاحات جمة ، وأولها الإصلاح الاقتصادي ، ضمن الوحدة الاقتصادية العربية ، وحتى السياسية ، إذ يكفينا هذا الفقر ، وهذا التباعد في أمة واحدة ، بينما نجد الشعوب الأجنبية المتعادية بالأمس ، قد أصبحت اليوم تتكلم اقتصادياً وسياسياً .

منير الشريف



آراء وأنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ١٥ كانون الأول سنة ١٩٥٥ برئاسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين . وقد صدرت ستة مراسيم بإقرار انتخابهم وتعيينهم . وهذه أسماؤهم وأسماء أقطارهم مع تاريخ مراسيمهم وتعيين أرقامها :

الاسم	القطر	تاريخ المرسوم	رقم
الأستاذ عبد الله كنون	مراكش	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٠
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي الهند		٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤١
الأستاذ س . ديدر نغ	السويد	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٢
الدكتور بيارد ضودج	الولايات المتحدة	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٣
الأميركية			
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور تونس		٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٤
الأستاذ علال الفاسي	مراكش	٢٩ شباط سنة ١٩٥٦	١٠٤٥



وفاة الشيخ سعيد العرفي

(١٨٩٦ - ١٩٥٦)

لقد اجمع العلني العربي عزيزاً من أعضائه المراسلين هو الشيخ سعيد العرفي
مفتي الفرات •

ولد الفقيه في مدينة دير الزور سنة ١٨٩٦ وطلب العلم بها وبعد الانتهاء
من الدراسة الرشدية سنة ١٩٠٩ دخل المدرسة العلمية وأخذ الإجازة بالعلوم
النقلية والعقلية سنة ١٩١٦ من رئيس المدرسين بها الشيخ حسين الأزهرى
مفتي الفرات السابق •

وحضر على مشايخ من أنحاء شتى وأخذ إجازتهم منهم الشيخ بدر الدين الحسيني بدمشق وشيخ الشافعية في مصر والشيخ محمد النجدي من هيئة كبار العلماء في الأزهر . وكان مع ثقافته العربية يعرف اللغة التركية .

عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في دير الزور سنة ١٩١٨ ومحمياً للخزينة سنة ١٩٢١ والمدرس الأول وفي سنة ١٩٣٣ عين رئيس لجنة أوقاف الفرات والجزيرة . وفي سنة ١٩٣٦ انتخب نائباً عن دير الزور في المجلس النيابي . وفي سنة ١٩٣٩ انتخب مفتياً لمحافظة الفرات . وفي سنة ١٩٤٢ انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي . كما انتخب رئيساً لمجلس الأوقاف الأعلى في إحدى دوراته سنة ١٩٥٠ .

وله عدة مؤلفات منها سيرة خالد بن الوليد ، واللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية . وما لم يطبع من مؤلفاته تفسير القرآن ، ورسالة في الدفاع عن الفلاسفة وغيرها . وتوفي في ٢١ آذار سنة ١٩٥٦ .

عرف الفقيه بالعلم والإخلاص والجرأة . ومواقفه الوطنية ومالتي في سبيلها من الاضطهاد في أيام الانتداب معروف .
رحمه الله رحمة واسعة .

رأي في تفسير اللزومية السادسة والخمسين

في العدد السابق من هذه المجلة الشطر الثاني من تعليقات واستدراكات الدكتور عبد الوهاب عزام على شرح لزوم ما لا يلزم الذي ألفه الدكتور طه حسين والأستاذ إبراهيم الأبياري وقد جاء في العدد المذكور من ١٤٨ ما يلي :

اللزومية السادسة والخمسون

أقروا بالآله وأثبتوه وقالوا لا نبي ولا كتاب
ووطء بناتنا حل مباح رويدكم فقد بطل العناب

يقول الشارح :

« وظاهر أنه يشير الى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب السماوية والتشكيك فيها . والوطء النكاح ، ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج اخ » .

ويعلق على ذلك الدكتور عزام بما يلي :

وأنا لا أذهب الى أن الشارح لا يعرف فرق ما بين الخوارج والباطنية ، ولا يدري عقيدة الخوارج وأحسبه أراد بالخوارج الخارجين على الدين ، لا الفرقة المعروفة في تاريخنا ! ولكنني آخذ عليه استعمال كلمة الخوارج هنا فيما قصد اليه ، ففيها تضليل للقارئ أو جلب تهمة الجهل الى الشارح .

هذا ما علقه الدكتور عبد الوهاب عزام .

* * *

وقد تراءى لي معنى غير ما تقدم أحيت عرضه على القراء :

فالشطر الأول من اللزومية (أقروا بالآله وأثبتوه) . فالذين يثبتون الآله ويقرون به يبعد جداً أن لا يقرؤا بالأنبياء والكتب المنزلة ، ولذلك أرى أن بقدر الخبر في الشطر الثاني هكذا : (وقالوا لا نبي) بعد فبيننا (ولا كتاب)

مع قرأتنا أو نحو ذلك . والمعري يريد بذلك التعريض بجماعة من الفقهاء بقرون بالآلة ويقولون لاني بعد نبينا ولا كتاب مع قرأتنا ثم يأتون بعد ذلك بما يخالف قولهم وعقيدتهم فيقعون في التناقض ويحددون بما آمنوا به ، ولذلك يقول في آخر الزومية (رويدكم فقد بطل العتاب) فلا كلام مع هذه الجماعة .
أما حل وطء البنت فالقرآن الكريم يقول (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وإخوانكم وعماتكم وخالاتكم) إلى آخر الآية .

ولكن بعض الفقهاء بحثوا في البنت التي تولد من سفاح هل هي بنت شرعية أم لا ؟ فقد نفوا ذلك وجعلوها غريبة عن أبيها ، وبنوا على ذلك جواز نكاح الأب لها وتزوجه بها ، وقد أثار ذلك نقداً لاذعاً من الفقهاء الآخرين ممن لا يقولون بهذا القول .

والمعري كان من هؤلاء النافذين في هذه الزومية . ولكنه سلك مسلك الإبهام في تقده خوفاً من قيام الفقهاء عليه .

وقد أشار لهذا النقد الزمخشري في قصيدته التي يقول فيها :

إذا سألوا عن مذهبي لم أجب به	وأكتمه كجانه لي أسلم
فإن حنفيًا قلت ، قالوا بأنني	أبيع الطلا وهو الشراب المحرم
وإن مالكيًا قلت ، قالوا بأنني	أبيع لهم أكل الكلاب ، وهم هم
وإن شافعيًا قلت ، قالوا بأنني	أبيع نكاح البنت والبنت تحرم

إلى أن يقول :

تعجبت من هذا الزمان وأهله فما أحد من ألسن الناس يسلم

وبعد فإني أرى أن المعري المتوفى سنة (٤٤٩) يشير في هذه الزومية إلى هذه المسألة الفقهية التي كانت مثار بحث ونقد حتى زمن الزمخشري الذي كانت ولادته بعد وفاة المعري بثاني عشرة سنة .

ترج - وتأرجح

إننا من زمان ، نسير مع العلامة الأستاذ المغربي نتابع الفصول التي يكتبها في تصويب ألفاظنا خطأ استعمالها في منشورات بعض المنشئين والكاتبين . وقد رأينا ، وما تزال نرى في تلك الفصول دروساً كبيرة الفائدة لكل من يتصدى للكلام والكتابة ، ويتوخى معرفة الأصول اللغوية وحقائق أحوالها . وقد طالعنا كلمته المنشورة في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي الصادر في ١ تموز سنة ١٩٥٥ ، ونرى أن تكون لنا مع الأستاذ وقفة يسيرة حول إحدى التصويبات .

أخذ - حفظه الله - على نشرة مصرية استعمالها «التأخلق» في قولها : «الدعوة الى التأخلق بالأخلاق الإسلامية .» ورأى في تصويبها أن يقال «التخلق» ثم استطرد فقال : وهذا الخطأ يشبه خطأهم في قولهم : تأرجح الأمر بين كذا وكذا . ورأى في تصويبه أن يقال : ترجح . هنا نود أن نقف مع الأستاذ ، وأن ندلي برأينا في ناحية من نواحي هذا الفعل .

إن مادة الكلمة «رجح» . ثم أدخلت عليها الحركة والتاء ، فالفعل ثلاثي مزيد بحرفين ملحق بالرباعي المزيد بحرف .

والإطلاق باب جاز وقد نص عليه ، بأن يزداد على أصول بناء حرف أو حرفتان ليصير البناء على مثال كلمة أخرى في أنواع تصريفها . مثل تجلب مادتها «ج ل ب» ، ثم زيدت باء ثانية في آخرها وتاء في أولها لتصير على مثال تدحرج في تصريفها .

علي أن بالمعجم من هذه المادة ، «مرجوحة وأرجوحة» ، فإلى المانع أن

يصاغ من هذين الاسمين فعلان على وزن تفعّلان ، فنقول : تترجّع وتأرجع ؟
ان الصوغ من الأسماء الجامدة وارد ، فقد قالوا : تمسكن ، وتمنّدل ،
وتمدرع ، من المسكين والتنديل والمدرعة .

وقالوا : رأسه ، وعضده ، وصدره ، وظهره ، إذا ضرب رأسه وعضده
وصدره وظهره . . وقالوا : ساقه ورّجحه وعصاه إذا ضربه بسيف ورمح وعصا .
وقالوا : أرض مأسدة ومسبعة ، من الأسد والسبع .

هذا وان مجمع اللغة العربية بمصر قد أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان
الجامدة فقال : « ومع كثرة الاشتقاق من أسماء الأعيان لم يصرح المتقدمون
فيه بالقياسية ، وحملهم على ذلك أمران : الأول قلة ماورد من مشتقات الأعيان
بالنسبة الى ماورد من مشتقات المعاني . والثاني أن المشتق يحمل دائماً الحدث
إما مع الذات أو الزمان أو المكان ، والذي يقيّد الحدث وحده حتى يكون
مناطقاً للاشتقاق انما هو المصدر ، لكن لما كانت كثرة المشتقات من الأعيان
في ذاتها مطمئنة وحاجة العلم لا الأدب ماسة الى الاشتقاق من أسماء الأعيان
رأى المجمع اللغوي اعتباره قياساً . »

وبعد فان اشتقاق « تأرجع » من الأرجوحة يختلف قليلاً عن اشتقاق
« تأخلق » من الأخلاق . ذلك لأن الحمزة موجودة في الشكل الافرادي
للأرجوحة وليست موجودة في الشكل الافرادي للأخلاق ، أي في الخلق .
والاشتقاق من المفرد جائز دون الاشتقاق من الجمع . فهناك كثيرون قد اشتقوا
أفعالاً من أسماء مفردة واستعملوها في كتاباتهم فقالوا : تمّدين ، وتأقلم ،
وتمذهب ، وتمنطق . . من المدينة والاقليم والمذهب والمنطقة . فهل هناك من
اشتق أفعالاً من أسماء مجموعة ؟

وتزيد فنقول : إن الفعل « ترجع » في المفهوم العام يعني أن يظلب جانب

على جانب ويرجع عليه ، أكثر مما يعني التذبذب والتردد بين الجانبين بخلاف الفعل «تأرجح» الذي لا دلالة له إلا على ما يظهر من حركة الأرجوحة ، وهي التردد بين الجانبين والجهتين جيئةً وذهاباً .

وليس من الصواب استعمال اللفظ الدال على الأعم في حين إرادة الاختصاص . وعلى هذا يكون فعل «تأرجح» أوفى بالمراد وأوضح دلالة على المعنى الموضوع له . وبعد فإنا نرى اشتقاق تأرجح من الأرجوحة وترجع من البرجوحة ولا نرى ما يمتعها .

ولست أقف عند هذا الحد فيما نحن بصدد بل أرى أن أقبس على «تأرجح» فأتناول من هنا وهناك معاني لا أراها تؤدي بسوى أفعال مشتقة على نحو ما اشتق فعل تأرجح . أرى أن اشتق من الأجنبي والاقطاعي ، فأقول في المواطن الذي يفعل فعل الأجنبي والاقطاعي : «تأجنب» و «تأقطع» كما يقال : تفرّس وتأمرّك .

ولست أرى فعلي «تجنب وتقطع» بغنيات شيئاً في الدلالة على المعنى المطلوب لذلك .

وما أذهب فيما كتبت إلى أني أخذت على الأستاذ المغربي في اللغة مأخذاً ، أو اني استدركت عليه أمراً ندّ عنه ، ولكنني أرى في هذا وأمثاله موضع نظر ومجال بحث ، فحسبي أن يطالعنا الأستاذ من ذلك بما يجلو الغمّة ويتقعر الغلّة .

عارف أبوشقرا

منتخبات من معجم الكواكي

- ١ -

المقدمة

دفعني الى القيام بهذا العمل الشاق ، ما كنت أجده من الصعوبة في مراجعة كثير من المصادر العلمية والفنية واللغوية للوقوف على معنى لاصطلاح كيميائي أو شرح لكلمة فيزيائية أو صيغة لمادة دوائية مبثورة هنا وهناك لم أكن لأعرض لثلها لو كان في خزانة الكتب العربية معجم يعنى بتفسير لجميع المصطلحات الكيميائية وما يحتاج اليه الكيميائي والفيزيائي والصيدلي والطبيب وطالب هذه الفروع . فشعرت بلزوم التشمير عن ساعد الجد والعمل لملاء الفراغ في هذه الخزانة تلافياً لما قصر عنه اللف .

فبدأت متكللاً على الله مستمداً منه المعونة ، يجمع هذه الشوارد المتبعثرة في بطون الكتب والمجلات والمحاضرات وبعض المعاجم شارحاً بإيجاز فيه الكفاية ، وجعلتها في كتاب أسميته (معجم الكواكي في الكيمياء وما إليها) يكون مرجعاً بين أيدي المشتغلين بالتأليف والترجمة وطلاب الطب والصيدلة وفروعها يشيهم عن الاستعانة بكثير من الكتب والمجلات والمؤلفات والمعاجم العربية والافرنجية للوصول الى ما يفتون من معنى لكلمة ، أو مدلول لمصطلح لا يعثرون عليه إلا بشق النفس وإلا اذا وجدت لديهم مكتبة غنية بالكتب الفنية على اختلاف أنواعها وموضوعاتها ولغاتها مما لا يتيسر إلا للقليل الفني الشغف بالمطالعة والدرس والتأليف .

وما أنا ذا كره على صفحات مجلتي هذه منتخبات من هذا المعجم مما هو من وضعي مع اشتقاقه العربي (وأحياناً اشتقاقه الغربي) ثم شرحه الفني . وأرحب

بكل نقد وتشرح إظهاراً للحقيقة التي بنشدها الجميع حتى إذا ما وجدت الحق بجانب الناقد التزيه لكلمة (أو مصطلح) بحثت عن غيرها ناظراً بعين الاعتبار إلى ما أبداه من نقد أو ملاحظة شاكراً له اهتمامه في تحري الصواب . والله سبحانه أسأله التوفيق في الحال والمآل .

ملاحظة :

- وزن (فَعَلَ) يدل على عامة أو حالة غير اعتيادية من علة أو فساد .
 - وزن (فُعَالَة) يدل على بقية شيء أو رديته أو يان حالته .
 - وزن (فَعُول) يدل على القابلية .
 - وزن (فَعُولِيَّة) للاسم أو الحالة من (فَعُول) .
 - وزن (فُعَال) أكثر ما ورد في ألم أو مرض أو عرض .
 - وزن (مَفْعَلَة) يدل على (الذي يفعل) عدا عما ورد كاسم آلة وفيه معنى الذي (يعمل ويفعل) مثال : مَحْشَرَة للآلة التي تحترق - مَحْشَرَة ، التي تخلص - مَحْشَرَة ، التي تحتاج الخ .
 - وزن (فَعْلَان) يدل على الاضطراب والحركة .
 - بعض الاشارات الاختزالية الخاصة بهذا المعجم :
- | | |
|----|---------------------|
| = | للمعاني المترادفة . |
| | للمعاني المختلفة . |
| ث | للتقل النوعي . |
| ص | للاصهار . |
| غل | للعليات . |
| ف | لتحريف النور . |
| : | للمثال أو الشرح . |

—	بدلاً من الكلمة الأصلية .
•	إشارة للكلمة التي هي من وضعنا .
غ	قصرام .
صغ	منتفرام .
ملغ	ملفرام .
لم	لمتر .

* * *

(١) Å Å

رمز وحدة الأطوال الصغرى . اختصاراً من اسم (آتفيسْترم) الفيزيائي
السويدي المشهور بتجاربه وأبحاثه على الطيف الشمسي ، تخليداً له . هذه الوحدة

١٠— تساوي ١٠ من المتر أو ١٠— من الملم .

(٢) Abat 'نشاشة .

لغة : من (قشّ الوطبُ) أخرج ما فيه من الريح) . فنا : الجلد الذي
أخذ انتفاخه بالزوال ، من مصطلحات فن الدباغة .

(٣) Abats (suif d' —) شحم السلاية •

(من اللاتينية à battuer : الضرب ، الضغط ، الذبح) . لغة : (وزن فُعالة ،
اشتقاقاً من (السَّاب وهو من الذبيحة إهابها وأكرعها وبطنها الخ) . فنا : الشحم
يتكون بغلي معدة البقر ورؤوسها .

(٤) Abeilles (cire d' —) شمع ، موم .

(من اللاتينية : cera : الشمع) . لغة : الشمع ، محرّكة وتسكين الميم ،
مولّد ، هذا الذي يستصبح به أو موم العسل) . (شمع شموعاً شمعاً
مشمّعة ، لَب و مَرَج . || والشئ شموعاً تفرّق بينه || مك بشموع
بالعبر ، مخلوط به . || أشمع السراجُ سطع نوره . || شمع شمعاً أَلَبه .
والثوب غمسه في الشمع المذاب) .

(الموم : بالضم ، الشمع . لا أداة للحائك يضع فيها الغزل وينسج به « مكوك ») .

فتا : الشمع أو الموم : مادة لينة ضاربة للصفرة يمنع منها النحل خلاياه .
= مادة مماثلة تنفرز من كثير من النباتات . لا مزيج صمغ اللك والترينتين يستعمل لإرشام الرسائل و (الطرود) البريدية ونحوهما .

الشمع الذي يصنعه النحل الأهلي : يتركب من حمض شمع العسل (مه روتينك) وحمض شمع النحل (ميريسيك) وغول (السروقي) و (الميريسي) وأسترانها .
ث ١٩٦٦ و ١٩٦٧ . يضرب الى الصفرة ، ويُقصر بتعريضه للشمس والندى .
من أنواعه الشمع البكر (— vierge) مه ٦٢ . والشمع المبيض (— blanchie) وهو المضاف اليه ٢ — ٥ ٪ من الشمع ، مه ٦٢ .

استعماله : للتلميع . ويمزج بأقلام الطبع على الحجر ، وبشمع الإرشام (الاختام) . ولصنع شموع الإضاءة .

الشمع النباتي : ما يفرزه كثير من النباتات (بعض أنواع النخيل الشمعية ciriers) . يستعمل في دور الصناعة لعمل الشموع والصابون .

الكواكبي

.....

(يتبع)

تصويب تطبيع وقع في هذا الجزء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠٤	٢١	الصفدي	الكني
٢١٠	٢	المتس	الملتس
٢٢٥	١٨	جاب قضاء . .	جاي قضاء . .

—————

صفحة فهرس الجزء الثاني من المجلد الحادي والثلاثين

١٧٧	مجموعة ابن النقيب أو بواكير الحدائق والمعرف	للأستاذ خليل مردم بك
١٨٧	الاصطلاحات الفلسفية (٢)	للدكتور جميل صليبا
٢٠٢	رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار	للأستاذ عبد الهادي هاشم
٢٢٢	التكية السليمانية في دمشق (١)	للأستاذ جعفر الحسي
٢٣٨	وفاء الجندي والبرم	للأستاذ خير الدين الزركلي
٢٤١	إيرانية البحتري (٢)	للأستاذ عبد القادر المغربي
٢٥٣	بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية (٢)	للأستاذ محمد سهبة اليطار
٢٧١	الدراسات العربية في الولايات المتحدة	للدكتور بايلي وايندر
٢٨٣	أبو الفتح بن جني (١)	للدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

٣٠٢	ابن رشد	للدكتور جميل صليبا
٣٠٤	نوابغ المغرب العربي (١)	
٣٠٦	مصادر الحق في الفقه الإسلامي	للأستاذ محمد سهبة اليطار
٣٠٧	الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل معمر	
٣١٠	المجموع الأول	
٣١٢	آثار ممين في جوف الين (الجزء الأول)	
٣١٣	تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط	للأستاذ جعفر الحسي
٣١٣	نقوش خربة ممين	
٣١٤	ابن الحريري ومقاماته	
٣١٧	الجاحظ	
٣١٩	شاعران معاصران	للدكتور سامي الدهان
٣٢٢	الشعر العربي في المهجر	
٣٢٥	الموشحات الأندلسية	
٣٢٨	الشيخ نجيب الحداد	
٣٣١	تاريخ مصر ١٣٨٢ - ١٤٦٩	للدكتور جورج حداد
٣٣٢	اسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني	للأستاذ عز الدين التبوخي
٣٣٥	محاضرات في اقتصاديات سورية	للأستاذ منير الشريف

آراء وأنباء

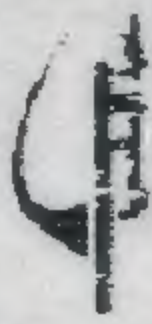
٣٣٨	انتخاب أعضاء مراسلين	
٣٣٩	وفاة الشيخ سيدي العربي	
٣٤١	رأي في تفسير الزومية السادسة والخمسين	للأستاذ محمد أحمد دهمان
٣٤٣	ترجح وتأرجح	للأستاذ عارف أبي شقرا
٣٤٦	منتخبات من معجم الكواكي (١)	للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي
٣٤٩	تصويب تطبيع وقع في هذا الجزء	

مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقٍ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- ٣ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
- ٤ - نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي المحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ - نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي المحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ - رسالة الملائكة لأبي العلاء الميري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ - المهرجان الأتني لأبي العلاء الميري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - المستجاد من فملات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - البيزة لبازيار العزيز بالله الفاضلي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ . ف . جبريالي
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع نكلته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ - ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ - ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني
- ٢٠ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني

- ٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه
الدكتور يوسف العش
- ٢٤ — ديوان الوأواء دمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلد الثانية) :
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن غلي بن محمد الربيعي : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٨ — أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور
صلاح الدين المنجد
- ٢٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . مترسكين .
- ٣٠ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٣١ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣٢ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الامتانيولي : شرحه
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣٣ — غريدة القصر وجريدة المعصر للعاد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء
الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل
- ٣٤ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسي عبد الوهاب
- ٣٥ — المتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٣٦ — تكملة إصلاح ما تفلط به العامة للجواليقي
- ٣٧ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخليل الحلبي

بتحقيق الأستاذ
عن الدين التنوخي



Bibliotheca Alexandrina



0652757